BIRZEIT UNIVERSITY

كلية الآداب- الدراسات العليا

برنامج الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة

عنوان الرسالة:

معركة مخيم جنين: التشكيل والأسطورة (نيسان 2002)

Jenin Refugee Camp Battle: The Formation and the Myth (April 2002)

رسالة ماجستير مقدمة من

جمال مصطفى عيسى حويل

بإشراف الدكتور: عبد الرحيم الشيخ

2012

كلية الآداب- الدراسات العليا

برنامج الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة

عنوان الرسالة:

معركة مخيم جنين: التشكيل والأسطورة (نيسان **2002**)
Jenin Refugee Camp Battle: The Formation and the Myth (April 2002)

رسالة ماجستير مقدمة من

جمال مصطفى عيسى حويل

لجنة المناقشة

د. عبد الرحيم الشيخ

د. حماد حسين

د. سمير عوض

قُدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في برنامج الدراسات العربية المعاصرة من كلية الآداب في جامعة بيرزيت- فلسطين

2012

معركة مخيم جنين: التشكيل والأسطورة (نيسان 2002)

Jenin Refugee Camp Battle: The Formation and the Myth (April 2002)

رسالة ماجستير مقدمة من

جمال مصطفى عيسى حويل

إشراف

د. عبد الرحيم الشيخ

تاريخ المناقشة: 2012/1/4

أعضاء لجنة النقاش:

د. عبد الرحيم الشيخ (رئيساً)

د. حماد حسين (عضواً)

د. سمير عوض (عضواً)

قُدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في برنامج الدراسات العربية المعاصرة من كلية الآداب في جامعة بيرزيت - فلسطين

2012

إهداء

إلى شهداء معركة جنين، وشهداء الشعب الفلسطيني في جغرافيات الوطن والمنافي،

القائد الشهيد ياسر عرفات، وأخي التوأم الشهيد نجيب حويل، ورفيق البندقية الشهيد القائد أبو جندل.... وأسرى معركة جنين، وأسرى الشعب الفلسطيني، ومن يرى بأعيننا شروق شمس فلسطين من عتمة زنزانته: أخي القائد الوطني الكبير الأسير مروان البرغوثي، والأسير القائد عبد الكريم عويس، وإلى من يرون "لحظة الانتصار بأعيننا": الغائب أبي، والحاضرة أمي، وحبات القلب زوجتي حنين، وابنتيَّ ريتا ومريم...

"إما لقاء في القدس، وإما لقاء في السماء"

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر والتقدير والحب للأخ والصديق والزميل الأستاذ الدكتور عبد الرحيم الشيخ، القائد الأكاديمي لمعركة مخيم جنين، والذي خاض معي يوميات المعركة بتفاصيلها وأحداثها، بفرحها وحزنها، وتنقل معي من بيت إلى بيت ومن حارة إلى حارة، وتعرف على المقاومين كل باسمه ولقبه، وعاش مع أهالي مخيم جنين همهم وتعبهم وحزنهم وفرحهم باستشهاد أبنائهم أو حزنهم باعتقالهم أو إعاقتهم، ومرارة اعتقالهم ثانيةً، بعد عقد على انقشاع غبار المعركة، في صورة أشبه ما تكون برواية الجزائري الطاهر وطار "الشهداء يعودون هذا الأسبوع"... فهو الصديق والأستاذ الذي وقف معي ودعمني في كتابة تاريخ هذه المعركة، تشكيلاً وأسطورةً، ورافقني عيشها من جديد عبر توثيقها وتأصيلها كتجربة في الصمود والتصدي وإمكانية النصر على العدو، هذه المعركة التي لم تحظ باهتمام الباحثين والدارسين والمسئولين، واعتبارها عنواناً لحرية الشعب الفلسطيني وكرامته.

كما يتوجب الشكر للأخوين والصديقين الأستاذين أعضاء لجنة النقاش، وأعضاء غرفة العمليات الأكاديمية، الدكتور حماد حسين والدكتور سمير عوض، اللذين كان لهما الدور الكبير في زرع ثقافة وسياسة وطنية أصيلة تعمل على حفظ وعي الأجيال من الإحساس بالهزيمة أمام ظلم الاحتلال الإسرائيلي وجبروت آلته العسكرية، واللذين صبرا صبرًا جميلاً عليَّ، وتحملاني، والتمسا لي العذر بالتأخيرات المتكررة وأنا في طريقي لإنجاز هذه الرسالة. وللدكتور عميد ركن خالد علا، أبو الوليد، الذي سهر معي الليالي في رسم الخرائط العسكرية لسير معركة جنين، وسواها من التحليلات والمقارنات، كل الشكر... أقف للجنة الإشراف إجلالاً وإكباراً لدعمهم ودورهم في توثيق معركة جنين، لتكون نموذجاً قابلاً للتناسخ. كما وأتقدم بالشكر والامتنان إلى الدكتورة، المؤرخة والصديقة، رنا بركات، التي أبعدتها دولة الاحتلال الصهيوني عن فضاء الوطن وفضاء جامعة بيرزيت وخاضت معركتها "الخاصة" ونجحت في العودة، على تدقيقها للمصادر الإنجليزية، ومراجعتها لخلاصات هذه الرسالة التي اعتبرتها جزءاً من "الثقافة الوطنية الحقيقية" التي تؤمن بها، ومثلها معظم الفلسطينيين في الوطن والمنافي.

وللأخ الشاعر مراد السوداني، الأمين العام لاتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين، ورفيق سلاحي ودراستي في برنامج الدراسات العربية المعاصرة في جامعة بيرزيت، الذي سهر وتعب معنا حتى الصباح، "وصياح الديكة،" حتى ننجز هذا العمل، رغم حاجته لكل دقيقة، ورغم تعدد مسؤولياته على "أُحد الثقافة الفلسطينية." كما أتقدم بالشكر وافر الامتنان لزملائي الأكاديميين الآخرين من طلبة الماجستير في برنامج الدراسات العربية المعاصرة جامعة بيرزيت: الأخت أروى أبو هشهش التي بذلت كل ما بوسعها للمساعدة في إمدادي بأدبيات الدراسة، وخاصة تلك المتعلقة بما كتب عن المعركة: فلسطينياً، وعربياً، ودولياً. والشكر الموصول للأخ طه أبو سرية، لوقوفه الدائم إلى جانبي. والأخ إبراهيم ربايعة الذي لم

يأل جهداً في تزودي بشكل مستمر بالمراجع والأدبيات المتعلقة بتاريخ مدينة جنين ومخيمها، وهو والذي عـــاش معركـــة مخيم جنين شبلاً... ولتغطيته على "غيابي الأكاديمي" عن جامعة بيزريت التي دخلتُ عقدي الثاني في برنامجها الأكـــاديمي، وأنا في الأسر!

أما بالغ الشكر والإجلال، فهو لأسرى الحرية من محافظة جنين ومخيمها، الشهداء الأحياء، والفاعلين الرئيسين في معركـــة جنين، والذين أمدوني بشهادات مهمة عما حدث ورأوه في معركة جنين، وخاصة إلى راغب أبو دياك-رئـــيس نـــادي الأسير في محافظة جنين. و الشكر موصول، أيضاً، لكل الأخوة الذين قابلتهم وأخذت شهاداتهم، مـــن أســـرى محـــررين و"مطاردين." والحب للأهل في محافظة جنين ومخيمها الذين وقفوا معنا وساندونا في صنع الأسطورة أثناء المعركة.

والشكر الوافر مستحق للأخ معاوية الكامل الذي اهتم وتابع وساعد في ترجمة بعض الأدبيات والكتب والمقالات العبرية ، والبحث في مصادر الإنترنت، وتوفير أية معلومات تتعلق بمعركة جنين. والأخ علاء فخرى تركمان لما أمده من مراجـــع ومساعدة أثناء وجودي في مكتبة بلدية جنين. وللأخ طايل حمايل، نائبي في تمثيل طلبة فلسطين في الجامعة الأردنية، والذي كان يحفزني دوماً على إنجاز هذه الرسالة، وزوجته الكريمة نهلة التي سهرت وتعبت وهي تقوم بطباعة وحل ألغاز وطلاسم هذه الرسالة ومسوداتها، ولولا متابعتها لأحداث المعركة في حينه لما استطاعت طباعة بعض أجزاء الرسالة. والأخ المناضل بلال دويكات لدعمه وسؤاله وحضي على إكمال وانجاز هذا الرسالة. وللأخ نايف الشيخ، أبو طـــارق، علـــى دعمـــه وكلماته التي أمدتني بالعزيمة الأكاديمية، وغيرها.

ولأسرتي، مباشرة وغير مباشرة، كل الحب والامتنان على وجودهم معي أولاً، وعلى كل ما قدموه لي: أخـــي عبـــد الله الذي شاركني همومي وشجوني واللحظات الصعبة، ووجوده معي، رفيق السلاح في معركة جنين، والإلحاح علي إنجـــاز هذا المشروع لتوثيقها. والأخ عمرو ونفين العكر اللذان تواصلا معي وأمداني بالقوة، وســـانداني في الوصـــول إلى نهايـــة الرسالة. وحبَّة القلب، شكراً، لزوجتي حنين التي رافقتني ودعمتني وساندتني مطاردًا ومقاومًا ومحاصـــرًا وأســـيرًا ونائبًـــا و"باحثاً" عنها وعن معاني الفداء لأجل البقاء، ولإيمانها بضرورة مواجهة الاحتلال بكل الوسائل حتى ننال الحرية، ونحقـــق العودة، ونقيم الدولة الفلسطينية.

من زرعين، إلى مخيم جنين، إلى زرعين ثانيةً: الوحدة والمقاومة طريق العودة ... سنعود

ملخص الرسالة باللغة العربية

تعتبر معركة مخيم جنين (1-12 نيسان 2002) من أبرز محطات الصمود والانتصار في التاريخ الفلسطيني المعاصر. ذلك أنها دشنت، ولأول مرة، نموذجاً للانتصار على الكيان الصهيوني الاحتلالي "من داخله،" إذ كانت معركة جنين التجربة العسكرية الفريدة، وتكاد تكون الوحيدة، في تاريخ الانتصارات الفلسطينية من داخل فلسطين المحتلة (بعد تأسيس دولة إسرائيل العنصرية في العام 1948 وحرمان الفلسطينيين من تشكيل حداثتهم وإقامة دولتهم) مقارنة بمعارك مثل الكرامة، وبيروت، والحصارات المتوالية على الفلسطينيين وقيادتهم التاريخية.

وتستمد هذه الدراسة أهميتها القصوى من ثلاثة عناصر أساسية: (1) أنها الدراسة الأولى التي تُعَدُّ تاريخاً لصيقاً بالحدث نفسه نظراً لخصوصية أن المقاوم، الذي صار "الباحث" لضرورة أكاديمية، قادم من صميم التجربة التاريخية نفسها، وفي مراحلها المختلفة، والاطلاع، بعد ذلك، على كم هائل من الأدبيات التي دونت الحدث "من الخارج"، فكان للبعض القليل منها علاقة بـــ"ما حدث فعلاً"، ولكثير منها نصيب من تشكيل "أسطورة المعركة" بدلاً من "تشكيل صورتها" الواقعية؛ (2) كما إنها الدراسة الأولى التي تبين مدى النقص في عملية "استخلاص العبر" من هكذا تجارب من قبل المستويين الرسمي والشعبي كما يكون عليه الحال في الطرف الصهيوني بعيد كل معركة؛ (3) إن تدوين تأريخ تفصيلي مشفوع بالتحليل السياسي والعسكري والثقافي لمعركة مخيم جنين من شأنه أن يعزز ثقافة المقاومة في ظل الاحتلال الصهيوني المتواصل وفي ظل قناعة البعض باستنفاد خيار المقاومة المسلحة، وخاصة بعد إعلان فشل خيار المفاوضات، ومحدودية ما يمكن أن يقدمه خيار المقاومة الشعبية.

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة على السؤال الرئيس التالي: ما هي الخصوصية التاريخية، والعسكرية، والسياسية لمعركة مخيم جنين في ربيع العام 2002؟ كما تهدف إلى إزالة ما علق بتدوين تاريخ المعركة من أسطرة وتناقض تأريخي ناتج عن عدم امتلاك المصادر المناسبة، واختلاق بعضها. وعليه، فإنه للإجابة على السؤال المركزي، تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة على أربعة من الأسئلة الفرعية التالية: ما هي الخلفيات التاريخية لاستهداف مخيم جنين أخذاً بعين الاعتبار النسيج الاجتماعي والثقافي للاجئي المخيم؟ وما هي أوديسة المقاومة التي أصبحت نموذجاً وطنياً، وإقليمياً، وعالمياً، في مقاومة الاحتلال؟ ما هي عوامل الانتصار والصمود في معركة جنين في ظل وضع سياسي وعسكري غير متوازن؟ وما هو أثر معركة مخيم جنين على المخيال السياسي والعسكري والثقافي: فلسطينياً، وإسرائيلياً، وعربياً، وعالمياً؟

وتنطلق هذه الدراسة من مجموعة فرضيات يمكن اختزالها في فرضية كبرى مفادها: إن خصوصية معركة جنين، مواجهة وانتصاراً، نبعت من قناعة لاجئي المخيم بأنه لا ملاذ آخر لهم ولا لجوء مرة أخرى؛ والتفاف هؤلاء واحتضانهم للمقاومين؛ وتوحُّد قوى العمل الوطني والإسلامي تحت قيادة عسكرية واحدة و"غرفة عمليات مشتركة." ونتيجة لوجود

هذه المقومات، والاستعدادات الجيدة، وتوفر القناعة وروح المقاومة والفداء، وتقبُّل القيادة السياسية الفلسطينية في حينه، متمثلة بالرئيس الشهيد ياسر عرفات، الذي كان محاصراً ومعزولاً في أقل كيلومتر مربع في مقاطعة رام الله، لخيار المقاومة المسلحة وما ردفه بها معنوياً من خلال إطلاق مفهوم "جنين غراد،" والتواصل المباشر مع المقاومين في الميدان. هذا، بالتضافر مع القيادة السياسية لفصائل المقاومة الأخرى التي انضوت تحت الجبهة ذاتها في مقاومة الهجمة العسكرية الصهيونية على جنين. كما تنطلق الدراسة من فرضية أن نجاح المقاومة العسكرية في جنين في ظل ترد سياسي وعدم توازن عسكري شكَّل نموذجاً "للانتصار في أي مكان" على المستويات الفلسطينية، والعربية، والعالمية، كما حصل في حرب تموز التي شنتها إسرائيل على لبنان في العام 2006، وتذكير سماحة السيد حسن نصر الله-الأمين العام لحزب الله بنموذج النصر في جنين، شأنه في ذلك شأن القيادة العراقية، ونموذج الصمود في الحرب على غزة في حرب الكانونين في العام 2008-2009. ولعل آخر الفرضيات في هذه السياق تستند إلى أن نموذج الانتصار في مخيم جنين استطاع تدشين نموذج ردعي محلي في ظل ظروف عسكرية غير متوازنة.

ومن حيث المنهجية، فنظراً لخصوصية المقاوم/"الباحث" ومركزيته في معركة جنين نفسها (إعداداً، ومقاومةً، وأسراً، وتحملاً للتبعات)، وكونه قد شارك بفاعلية في "غرفة العلميات المشتركة" وإدارة عمليات "كتائب الأقصى" خلال المعركة؛ وفاعلاً سياسياً من خلال تبوئه مراكز قيادية متقدمة في حركة فتح، وعضويته في المجلس التشريعي الفلسطيني... فإن الاعتماد المركزي كان على التأريخ الشخصي للمعركة. غير إنه، ولغرض المهنية البحثية والأمانة الأكاديمية، فقد عمل المقاوم/"الباحث" على دراسة الأدبيات، الثانوية في معظمها، ومقارنتها بالشهادات الشخصية والوثائق (السمعية، والبصرية، والمكتوبة) التي لديه، وتلك التي جمعها أو حررها أو ساهم في إخراجها إلى النور خلال فترة اعتقاله في أعقاب المعركة، أو من خلال فاعليته الاجتماعية والثقافية والسياسية في مخيم جنين والمشهد الفلسطيني عموماً في الفترة الحالية. هذا بالإضافة إلى مجموعة من المقابلات مع شخصيات فلسطينية من مستويات: سياسية، وعسكرية، وإعلامية.

هنا، تُكتب هذه الرسالة لا كما تُكتب معظم الرسائل والأطروحات الأكاديمية، مع وافر الاحترام لها، ذلك أن كتابتها ليست لغرض أكاديمي بحت، وإن كانت في سياق أكاديمي بحت، هو إنجاز متطلب أكاديمي لنيل درجة الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة من جامعة بيرزيت. بل تأتي الكتابة في إطار تأمل المقاوم لتحوُّله إلى "باحث"-مع-وقف-التنفيذ في موضوع مقاومته، بين ضرورات التذكُّر وسياسات الذاكرة. بين من عاش التجربة، ومن يتألم منها، ومن يتأمل فيها ليخطو مع شعبه خطوة للأمام. وكمقاوم، قبل أن أكون، "الباحث" باحثاً-مع-وقف-التنفيذ ، كان هناك ثلاث محطات أساسية تم من خلالها التوثيق والتدوين للكثير من الأحداث التي ما زالت شاخصة بين باصرتيَّ، على الرغم من مرور الأيام: (1) تدوين أحداث المعركة أثناء وقوعها (بالاشتراك مع الشهيد القائد أبو جندل) عبر عدد من الصحافيين المرافقين للمقاتلين، والتصريحات لوسائل الإعلام، وكتابة المذكرات التي ضاعت خلال المعركة؛ (2) توثيق المعركة خلال مرحلة الاعتقال، وقد ضاع معظمها باستثناء ما جاء في كتاب الأسير المناضل وليد دقة "يوميات المقاومة في مخيم جنين؛"

(3) توثيق المعركة من خلال هذه الرسالة الأكاديمية لنيل درجة الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة من جامعة بيرزيت. وعليه، فهذه المنهجية "غير الأكاديمية البحتة" هي "منهجية النار." فالمنهجية هي أداة الوصل بين الباحث وموضوع بحثه، هي كملقط النار الذي يتخذ شكل يد حامله وينقل الطاقة من يده نحو النار كما ينقل اتجاه الحركة...لكن الباحث، حين يكون في وسط نار المعركة و"مقاوماً" بها، فليس ثمة من مسافة بينه وبين النار. وعليه، تكون أفضل المنهجيات هي "منهجية النار" نظراً وممارسةً.

وأما بنية الدراسة، فتتشكَّل بنية من خمسة فصول، إضافة إلى المقدمة والمرجعية (قائمة المصادر والمراجع والملاحق)، وهي:

الفصل الأول-مقدمات معركة مخيم جنين (أسئلة المقاومة وأسئلة الكتابة): يتناول تقديماً عاماً للسياقين التاريخي والأكاديمي لمعركة مخيم جنين مع تركيز خاص على أسئلة المقاومة، وأسئلة الكتابة كثنائية أسهمت في صناعة معركة مخيم جنين كحدث تاريخي، وكموضوع للدراسة الأكاديمية التي تحاول فحص معاني هذا الحدث الاستثنائي في التاريخ الفلسطيني الحديث. يتكون هذا الفصل من مبحثين أساسيين: يضطلع المبحث الأول بتوضيح التركيبة الأكاديمية لموضوعة الرسالة، من حيث: مقاربة الرسالة لمعركة جنين، صورةً وأسطورةً؛ وكيف أسهمت في بلورة إشكالية هذه الدراسة؛ وتحديد فرضياتها؛ وتطبيق منهجيتها التي تتسم بقدر عال من الفرادة؛ وأهميتها؛ وصعوباتها؛ وحدِّ مصطلحاتها. فيما يتناول المبحث الثاني نقداً تفصيلاً للأدبيات التي تناولت موضوعة البحث الرسالة المركزية.

الفصل الثاني: مخيم جنين في سياقه الفلسطيني: يغطي هذا الفصل مسحاً شاملاً لواقع مخيم جنين في سياقه الفلسطيني ضمن أربعة سياقات عامة: أولها، مخيم جنين في سياقه التاريخي، ويقدم خلفية تاريخية بانورامية عن مدينة جنين من العصر الكنعاني وحتى اللحظة، ومدينة جنين، ومخيمها، نشأةً وموقعاً، في التاريخ الحديث والمعاصر. فيما يتناول محور مخيم جنين في سياقه الاجتماعي، البنية الاجتماعية لأهالي المخيم، من حيث البلدان الأصلية للجوء، ومستويات المعيشة، ومرافق الحياة الاجتماعية الثقافية والتعليمية، والجهات الراعية لها. وأما المحور الثالث، فيختص بإلقاء الضوء على مخيم جنين في سياقه العسكري. وأما المحور الرابع، والأخير، فيركز على مخيم جنين في سياقه السياسي عبر سرد موجز للصراع العربي الإسرائيلي، وبدء "عملية السلام وانهيارها"، وبخاصة بعد تأسيس السلطة الفلسطينية وتعثر تطبيق بنود اتفاقية أوسلو.

الفصل الثالث: الإعداد للمعركة-الخارطة والميدان: يعمل هذا الفصل على توصيف الأجواء التي سبقت شن العدوان الإسرائيلي على مخيم جنين، وبخاصة تصعيد الأعمال العدائية على المدن الفلسطينية، وحصار الرئيس ياسر عرفات في مبنى المقاطعة في رام الله، وتهيئة الساحة الإسرائيلية والعالمية لضربة موجعة للفلسطينيين. ويغطي هذا الفصل هذه الأجواء من إرهاصات شن عملية "السور الواقي"، كما يغطي إرهاصات كسر"السور الواقي" على يد المقاومة الفلسطينية، وذلك ببدء التجهيز لصد العدوان الإسرائيلي الذي تبدت ملامحه في اجتياح آذار 2002 لمدينة جنين، وذلك عبر البدء بتشكيل

غرفة العمليات المشتركة، ووضع الخطة العسكرية الفلسطينية للمعركة على المقاومة الفلسطينية للحيلولة دون تصفية المقاومة في مخيم جنين التي كانت هدف الحملة الإسرائيلية.

الفصل الرابع: الصورة والأسطورة (يوميـــات المعركة): بصبر وتفصيل هائلين، يسرد الفصل الرابع يوميات المقاومة في معركة جنين من يومها ما قبل الأول (الإثنين، الموافق 2002/4/1، وحتى اليوم التالي لانتهائها (الجمعة، الموافق 2002/4/12). وتسرد هذه اليوميات على لسان كاتب الرسالة بوصفه مشاركاً في المعركة منذ وضع الخطة وتشكيل غرفة العلميات وحتى اليوم الحادي عشر الذي تمت فيه مفاوضات إنهاء المعركة و"تسليم" من تبقى من المقاومين.

الفصل الخامس: خلاصات معركة جنين (وملاحظات نقدية): يتأمل هذا الفصل، الأخير من الرسالة، في معركة جنين بوصفها تجربة قابلة للتناسخ. وهذا "الفصل الأخير" لا يكتب بوصفه "خلاصة" كما هو الحال في معظم الرسائل والأطروحات الأكاديمية، ذلك أن الكتابة هنا ليست لغرض أكاديمي بحت، وإن كانت في سياق أكاديمي بحت. بل تأتي كتابة لهذا الفصل في إطار تأمل المقاوم لتحوُّله إلى باحث في موضوع مقاومته، بين ضرورات التذكُّر وسياسات الذاكرة. بين من عاش التجربة، ومن يتألم منها، ومن يتأمل فيها ليخطو مع شعبه خطوة للأمام. وعلى ذلك، يتناول هذا الفصل خلاصات الرسالة وخلاصة المعركة ككتلة واحدة، فيرصد محطات توثيق تجربة معركة جنين: خلال المعركة، وفي الأسر، وبعد التحرر من الأسر، وأثناء الدراسة الأكاديمية؛ ويركز على صعوبات إجراء هذه الرسالة بين "الباحث" و"المقاوم؛" كما يعرض بعض التأملات في "الخطة العسكرية" التي وضعتها المقاومة، و"يوميات المقاومة" نفسها بوصفها تنفيذاً لتلك الخطة أو خروجاً عنها، بالإضافة إلى مسرد خاص للدروس والعبر من ميدان المعركة، وتجربة الكتابة عنها.

Abstract

The Jenin Refugee Camp Battle (1-12 April 2002) is considered one of the most important events in contemporary Palestinian history, for this moment symbolizes steadfastness and victory and represents the first episode of triumph from within the belly the beast—in Palestine—from the time of the Nakba in 1948 where the state of Israel defeated Palestine and interrupted Palestinians from achieving their own modern nation-state.

The importance of this study stems from three factors. *First*, this thesis is a primary source that is inherently attached to the events of the battle, as the author is a refugee who was a principle actor in the battle. The author was subsequently imprisoned by the Israelis, and later became a Palestinian Legislative Council member, elected while in prison. Released after eight years, the author continues to participate in the on-going Palestinian struggle against Israeli occupation, of which this thesis is a part. *Second*, this thesis is a rare study that not only summarizes the events of the battle, but also provides a rare, self-reflective analysis of lessons from the battle, both strategic and political. *Third*, through this in-depth political, military and cultural analysis of the battle, voice is given to the revival of the possibilities embedded within the choice of armed struggle. Though the traditional historiography of modern Palestine would have it that the path of armed struggle ended in massive defeat for the Palestinians, this thesis offers a contrary analysis showing that armed struggle is still very much a valid choice in light of the (1) official and obvious failure in the negotiations path and (2) severe limits to so-called civil resistance, which has of late gained great currency in academic and political circles.

The main problematic of this thesis explores the question of what is the historical, military and political uniqueness of the Jenin Refugee Camp Battle fought in the spring of 2002. It aims at cleansing the narrative of the battle from the myths and historical paradoxes that resulted from a dearth of sources and the fabrications that have surrounded the story since it began. This study explores four minor questions: (1) what is the historical background that provoked targeting Jenin refugee camp considering the social and cultural make-up of the inhabitants of the camp? (2) What is the odyssey of resistance that became a national, regional and international model of resisting occupation? (3) What are the factors and frameworks of understanding the concept of victory considering the imbalanced political and military situation within the Palestinian condition? (4) What is the impact of Jenin Refugee Camp Battle on the political, military and cultural imagination in the Palestinian, Israeli, Arab, and international spheres?

The main argument (hypothesis) of this thesis is that victory was achieved because of three main factors that are a direct product of contemporary Palestinian history. *First*, as refugees who were driven from their homes twice within two generations, those who were in the camp at the time of the battle, armed and otherwise, believed that there was no choice but to defend the camp and remain there as they would not be made into refugees for a third time. *Second*, the freedom fighters were among the residents of the camp, and therefore the entire camp fostered and supported the resistance throughout the battle. *Finally*, the unity that was achieved among national and Islamic factions allowed the formation of the leadership of this popular battle. The factions were united under one military commandership, forming a collective and united "war room." This united leadership in the camp gained support from the Palestinian political leadership under the late president Yasser Arafat, as well as regional and international support from the movements and masses that believe in armed struggle against colonialism and the colonial army's massive imbalance of military power.

The uniqueness of this thesis has much to do with its author's primary political and military status within Al-Aqsa Martyrs Brigades, the Palestinian Liberation Movement (*Fateh*), Palestinian political prisoners movement and a Palestinian Legislative Council (PLC) member. This status provided

the author with both oral and written sources related to the battle in three phases: the actual battle, the subsequent access he achieved in prison among other veterans of the battle, and the academic training that enabled him to put this experience within its scholarly form in this thesis. All of this led to what the thesis describes as the "methodology of fire," which combines both theory and practice at once.

As for the structure of the thesis, it divided into five main chapters in addition to the introduction and conclusion and appendixes:

Chapter One: Introductions to the Battle of Jenin Refugee Camp: Questions of Resistance and Questions of Writing. This chapter provides a general introduction to the historical and academic context of the Jenin Refugee Camp Battle.

Chapter Two: Jenin Refugee Camp in its Palestinian Context. This chapter provides a comprehensive survey to Jenin refugee camp in Palestine considering four main fields: historical, social, military and political.

Chapter Three: The Preparation for the Battle, the Map and the Battlefield. This chapter describes the atmosphere that preceded the battle in its political and military context, in addition to a detailed outline of the formation of the "War Room" of the camp and drawing out of the battle plans.

Chapter Four: "The Formation and the Myth:" the Battle Diaries. This chapter narrates the daily resistance battle from 1 April to 12 April 2002.

Chapter Five: Conclusion and Critical Remarks. This chapter reflects on the lessons learned from the battle both on political and military levels in addition to advocating for the possibilities of armed struggle using this battle as a paradigm that can be cloned in the larger Palestinian struggle against Zionist-Israeli settler-colonialism.

قائمة المحتويات

المقدمات..... أ-ط

إهداء

شكر وتقدير

ملخص باللغة العربية

ملخص باللغة الإنجليزية

قائمة المحتويات

الفصل الأول: مقدمات معركة مخيم جـــنين (أسئلة المقاومة وأسئلة الكتابة)..... 1-33

1.1 مقاربة أولى: جنين-الصورة والأسطورة

1.2 أهمية الدراسة

1.3 إشكالية الدراسة

1.4 فرضية الدراسة

1.5 منهجية الدراسة (مفتتح غير أكاديمي)

1.6 صعوبات الدراسة

1.7 بنية الدراسة

1.8 مراجعة الأدبيات (الأسطورة)

الفصل الثاني:مـــخيم جـــنين (في سياقه الفلسطيني)..... 34-58

2.1 مخيم جنين في سياقه التاريخي

2.2 مخيم جنين في سياقه الاجتماعي

2.3 مخيم جنين في سياقه العسكري

2.4 مخيم جنين في سياقه السياسي

الفصل الثالث: الإعداد للمعـــركة (الخارطة والميدان)..... 59-75

3.1 إرهاصات كسر السور الواقي

3.2 تشكيل غرفة العمليات المشتركة

3.3 الخطة العسكرية للمعركة كما وضعتها المقاومة الفلسطينية

3.4 تصفية المقاومة في مخيم جنين: الهدف والاستهداف
3.5 (ما قبل) اليوم الأول، الإثنين 2002/4/1: إعادة احتلال جنين
3.6 الخطة "U" مقابل الخطة "O": الخطة العسكرية لقوات الاحتلال الإسرائيلي

الفصل الرابع: الصورة والأسطورة (يوميـــات المعركة)..... 76-115
4.1 اليوم الأول: ما قبل الصفر-هواجس المخيم وهواجس الاحتلال قبل بدء المواجهة
4.2 اليوم الثاني: إكمال الحصار، استكمال العزيمة
4.3 اليوم الثالث: لسعة النحلة المباركة
4.4 اليوم الرابع: الرئيس يراهن والمقاومون ينجحون الرهان
4.5 اليوم الخامس: كمين في حارة الطوالبة، وجثث شهداء على دفعات
4.6 اليوم السادس: المقاومة مستمرة، وإسرائيل تلقي القنابل الفراغية
4.7 اليوم السابع: كمين رفع المعنويات-مواجهة حارة أبو جواد
4.8 اليوم الثامن: "نحن قوم لا نستسلم: ننتصر أو نموت"
4.9 اليوم التاسع: كمين الـــ 13 المبارك
4.10 اليوم العاشر: شهيد "فعلي" مع وقف التنفيذ!
4.11 اليوم الحادي عشر: الحصار الأخير ومُرِّ الخيارات
4.12 اليوم الثاني عشر: استشهاد أبو جندل-المايسترو رئيس غرفة العمليات

الفصل الخامس: خلاصات معركة جنين (وملاحظات نقدية) 116-123
5.1 محطات توثيق معركة جنين
5.2 صعوبات البحث: بين الباحث والمقاوم
5.3 تأملات في "الخطة العسكرية" و"يوميات المقاومة"
5.4 دروس وعبر من الميدان

الملاحق..... 124-151
ملحق رقم (1): الخسائر المادية في المنازل بعد معركة جنين
ملحق رقم (2) شهداء معركة الدفاع عن مخيم جنين
ملحق رقم (3): أسماء القتلى الإسرائيليين في المعركة حسب موقع جيش الاحتلال على الإنترنت

ملحق رقم (4): أسماء المقاومين المحكومين مدى الحياة
ملحق رقم (5): المقابلات الشخصية
ملحق رقم (6): أسماء المدن و القرى التي ينتسب إليها سكان مخيم جنين
ملحق رقم (7): الأسلحة الصغيرة والتي استخدمها المقاومون
ملحق رقم (8): المقاومون من القوة التنفيذية في الأمن الوطني
ملحق رقم (9): مقارنة بين قوات المقاومة الفلسطينية والقوات الإسرائيلية
ملحق رقم (10): مقارنة القوى والوسائل
ملحق رقم (11): قائمة في أسماء الجرحى الانتفاضة من المعاقين حركيا في مخيم جنين
ملحق رقم (12): خريطة اجتياح محافظة جنين
ملحق رقم (13): خريطة توزيع المقاومين والعبوات والسواتر
ملحق رقم (14): خريطة تقدم قوات الاحتلال في حارات المخيم
ملحق رقم (15): خريطة الكمائن
ملحق رقم (16): صورة عن تلخيص جريدة "معاريف" الإسرائيلية لنتائج المعركة
ملحق رقم (17): مرثية للشهيد نجيب حويل في ذكراه الثانية
ملحق رقم (18) قصيدة زرعين يا درة المرج

المرجعية..... 154-152

الفصل الأول:

مـــقدمات معركة مخيم جـــنين

(أسئلة المقاومة وأسئلة الكتابة)

1.1 مقاربة أولى: جنين-الصورة والأسطورة

1.2 أهمية الدراسة

1.3 إشكالية الدراسة

1.4 فرضية الدراسة

1.5 منهجية الدراسة (مفتتح غير أكاديمي في منهجية النار)

1.6 صعوبات الدراسة

1.7 بنية الدراسة

1.8 مراجعة الأدبيات (الأسطورة)

". . . من المؤكد أن أي فكرة عمومية من قبيل "حكم ذاتي محدود" قد تقود إما إلى المزيد من الاستقلال، أو بالقدر نفسه إلى مزيد من التبعية والهيمنة. وفي كلا الحالين يصبح الواجب الرئيسي للفلسطينيين أن يعرفوا ويفهموا الخريطة العامة للأراضي التي رسمها الإسرائيليون، وأن يطوروا من ثم أساليب فعلية للمقاومة. في تاريخ الغزو الاستعماري كان المنتصر دوماً هو أول من يرسم الخرائط، لأن الخرائط هي دائماً أدوات الفتح، يجري رسمها أولاً ثم تنفيذها لاحقاً. فالجغرافيا إذاً هي فن الحرب، لكنها يمكن أن تكون أيضاً فن المقاومة، إذا كان بحوزة الطرف الآخر خريطة واستراتيجية مغايرتان. قد لا يكون خطأ منظمة التحرير الفلسطينية الأكبر أنها وقعت إعلاناً متسرعاً ولا معقولاً للمبادئ مع إسرائيل، بل إن خطأها الأساسي هو أنها لم تعبئ، قبل مباحثات أوسلو وبعدها، الطاقات الهائلة للشعب الفلسطيني."

إدوارد سعيد

الفصل الأول: معركة مخيم جنين-أسئلة المقاومة وأسئلة الكتابة

يتناول هذا الفصل تقديماً عاماً للسياقين التاريخي والأكاديمي لمعركة مخيم جنين مع تركيز خاص على أسئلة المقاومة، وأسئلة الكتابة كثنائية أسهمت في صناعة معركة مخيم جنين كحدث تاريخي، وكموضوع للدراسة الأكاديمية التي تحاول فحص معاني هذا الحدث الاستثنائي في التاريخ الفلسطيني الحديث. وعليه، يتكون هذا الفصل من مبحثين أساسيين: يضطلع المبحث الأول بتوضيح التركيبة الأكاديمية لموضوعة الرسالة، من حيث: مقاربة الرسالة لمعركة مخيم جنين، صورةً وأسطورةً؛ وكيف أسهمت في بلورة إشكالية هذه الدراسة؛ وتحديد فرضياتها؛ وتطبيق منهجيتها التي تتسم بقدر عال من الفرادة؛ وأهميتها؛ وصعوباتها؛ ومصطلحاتها. فيما يتناول المبحث الثاني نقداً تفصيلاً للأدبيات التي تناولت موضوعة الرسالة المركزية، وهي معركة مخيم جنين، وذلك لتسهل مقارنتها بيوميات المعركة كما تروى على لسان من شارك فيها في الفصل الرابع من هذه الرسالة. وتغطي هذه المراجعة أربعة محاور، تتناول: الأدبيات الوصفية التي بوصف المعركة بتفاصيلها اليومية؛ والتقارير الفلسطينية والإسرائيلية والدولية، الرسمية منها وغير الرسمية؛ والأدبيات التي تناولت المعركة إعلامياً؛ وأخيراً الأدبيات التي عنيت بالتركيبة القيادية والسياسية والعسكرية لمخيم جنين.

1.1 مقاربة أولى: جنين-الصورة والأسطورة

تعتبر معركة مخيم جنين (التي وقعت في الفترة الممتدة بين 1-12 نيسان من ربيع العام 2002) من أبرز محطات الصمود والانتصار في التاريخ الفلسطيني المعاصر. فقد شكّلت تلك المعركة نموذجاً في الإعداد والصمود والتصدي، ولكنها دشنت، كذلك، ولأول مرة، نموذجاً للانتصار على الوحش الصهيوني الاحتلالي "من داخله،" إذ كانت معركة جنين التجربة العسكرية الفريدة وتكاد تكون الوحيدة في تاريخ الانتصارات الفلسطينية من داخل فلسطين المحتلة (بعد تأسيس دولة إسرائيل العنصرية في العام 1948 وحرمان الفلسطينيين من تشكيل حداثتهم وإقامة دولتهم) مقارنة بمعارك مثل الكرامة، وبيروت، والحصارات المتوالية على الفلسطينيين وقيادتهم التاريخية.

وعليه، فإن البحث في هذه المعركة، ومن الداخل وعلى يدي أحد فواعلها المركزيين، سيلقي الضوء، وعن قرب، على نموذج تمت أسطرته والترويج له أو التقليل من شأنه لصالح أجندات سياسية وعسكرية واستراتيجية مختلفة. فمن خلال عيش أجواء ما قبل المعركة من مطاردة، والمساهمة في المعركة لحظة بلحظة ضمن وحدة وطنية فريدة للغاية، ومن ثم الابتعاد عن ميدانها وما خلفته من أثر على أرض مخيم جنين وفي وعي الصديق والعدو، وقضاء ما يزيد عن سبع سنوات ونصف في السجن شهدت تدويناً جزئياً لـــ"لحظة معركة مخيم جنين" في التاريخ الفلسطيني الحديث عبر كتاب الأسير وليد دقة ***يوميات المقاومة في مخيم جنين 2002***، ومجموعة أخرى من "المدونات" التي جرت كتابتها في السجن ونجت من عسف إدارات سجون الاحتلال... بعد كل ذلك، تم الاطلاع على كم هائل من الأدبيات التي دونت الحدث "من

الخارج"، فكان للبعض القليل منها علاقة بـــ"ما حدث فعلاً"، ولكثير منها نصيب من تشكيل "أسطورة المعركة" بدلاً من "تشكيل صورتها" الواقعية.

لقد كان للرغبة في تفسير هذا الفارق الهائل، والذي قد يسهل الإشارة إلى سبب وجوده لتحليل عابر، بين "الصورة" و"الأسطورة"، ولعدم وجود مدونة جامعة و"موضوعية" للمعركة... النصيب الأكبر في تشكيل الدافع لكتابة هذه الدراسة التي راوحت بين "الأكاديمي" و"الشخصي" لتبحث عن "معنى المعركة"، و"معنى النصر"، و"معنى الهزيمة" في سياق تغيب فيه المعاني بالخطابة السياسية وعدم التدقيق التاريخي في ما قد يكون من أهم محطات تاريخ فلسطين الحديث، ويغيب معه المقاوم/"الباحث" عن الفارق الكبير بين من يصنع التاريخ، ومن يكتبه. وعليه، تسعى هذه الدراسة إلى الوقوف لحظة تأمل على قرب شديد من المعركة، تاريخياً ومكانياً وروحياً، للإجابة على سؤال: ماذا فعل المنتصرون بالنصر؟ وماذا فعل المهزومون بالهزيمة؟ وكيف استطاع الفلسطينيون المزاوجة بين فهم تجربة مخيم جنين كـــ"ملحمة صمود وتصدي" من ناحية كونهم قد انتصروا، وكـــ"مجزرة" من حيث حجم الخسائر والتضحيات؟ ولماذا بالغ المبالغون الذين لم يشاركوا في المعركة في الكتابة عنها "عن بعد"؟ ولماذا زهد الزاهدون، وهم الأفضلون الذين يحملون السلاح، الذين خاضوا غمارها في الكتابة عنها وليس بينهم وبينها حجاب؟

1.2 أهمية الدراسة

تستمد هذه الدراسة أهميتها القصوى من ثلاثة عناصر أساسية: العنصر الأول، هو إنها ستكون الدراسة الأولى التي تُعَدُّ تاريخاً لصيقاً بالحدث نفسه نظراً لخصوصية أن المقاوم، الذي صار "الباحث" لضرورة أكاديمية، قادم من صميم التجربة التاريخية نفسها. ولعل ما يضفي فرادة على هذه الفرادة هو كتابة هذه الرسالة في سياق ومحفل أكاديمي، وليس من باب تمنئة الذات أو كتابة سيرتها لترف تخليدها. وذلك يعني أن صدور هذه الدراسة بلبوس أكاديمي يخرجها من حيز الملكية "الشخصية" لكاتبها، إلى فضاء الملكية العامة للشعب الفلسطيني الذي يسعى، وخاصة خلال العقدين الأخيرين (الأخير من القرن العشرين والأول من القرن الحادي والعشرين)، إلى تدوين رسمي وشعبي لحكايته التاريخية الجمعية.

أما العنصر الثاني للأهمية، فإن هذه الدراسة ستكون الأولى التي تبين مدى النقص في عملية "استخلاص العبر" من هكذا تجارب من قبل المستويين الرسمي والشعبي كما يكون عليه الحال في الطرف الصهيوني بعيد كل معركة. فعلى الرغم من أن الفلسطينيين والعرب أحوج ما يكونون للحظات انتصار على العدو الذي انكسرت أسطورة أنه "لا يقهر"، إلا إنهم لم يتأملوا، ناهيك عن أنهم لم يدرسوا، هذه اللحظات النادرة في تسجيل الانتصار عليه. تحاول هذه الدراسة النظر في معركة مخيم جنين كلحظة انتصار، أو نشوة انتصار عابرة على الأقل، من أجل بحث كيفية استنساخها حين تقتضي الضرورة مع عدو ثبت تاريخياً واستراتيجياً أنه لا يفهم إلا لغة القوة، لأنه لا يستعمل مع غيره إلا هذه اللغة.

وأما العنصر الثالث لأهمية الدراسة، فهو أن تدوين تأريخ تفصيلي مشفوع بالتحليل السياسي والعسكري والثقافي لمعركة مخيم جنين من شأنه أن يعزز ثقافة المقاومة في ظل الاحتلال الصهيوني المتواصل وفي ظل قناعة البعض باستنفاد خيار المقاومة المسلحة. وعلى الرغم من أن فكرة هذه الرسالة، ومعظم بحثها قد تم قبل قرار قيادة السلطة الفلسطينية، مدعومة من قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، وامتدادها العربي والإسلامي والعالمي، بالتوجه إلى الأمم المتحدة في الحادي والعشرين من أيلول للعام 2011 إلى الأمم المتحدة لطلب نيل العضوية الكاملة لدولة فلسطين في الأمم المتحدة، وما تضمنه ذلك من إعلان رسمي لفشل "خيار المفاوضات" الذي تم تصويره على امتداد قرابة عقدين من الزمن بأنه الأوحد على الطاولة...

على الرغم من ذلك كله، فإن المداخلة المركزية لهذه الدراسة، إضافة إلى بعدها التوثيقي الذي يترع عن البطولة هالة الأسطرة، هو بث إشارات تفيد بأن فشل "خيار المفاوضات" لم يفتح الباب أمام مبادرات سياسية أكثر جدية وجذرية وعملية كما في التوجه للأمم المتحدة؛ ولا أمام خيار "المقاومة الشعبية السلمية" الذي بات خياراً ذائع الصيت في أربعة أركان فلسطين وخارجها على أيدي مناصري القضية الفلسطينية... وحسب، بل إن تجربة معركة مخيم جنين، تضع الخيار الذي تم طويه رسمياً وشعبياً إلى إشعار آخر، وهو خيار الكفاح المسلح، الذي قامت عليه منظمة التحرير الفلسطينية وكبرى فصائلها (حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح) وما سواها من فصائل المقاومة الوطنية والإسلامية... تضع هذا الخيار رهن العودة ذات النتائج التي تم تجريبها-الانتصار الفيزيائي النسبي، والمعنوي المطلق، في معركة مخيم جنين ربيع العام 2002.

1.3 إشكالية الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة على السؤال الرئيس التالي: ما هي الخصوصية التاريخية، والعسكرية، والسياسية لمعركة مخيم جنين في ربيع العام 2002؟ كما تهدف إلى إزالة ما علق بتدوين تاريخ المعركة من أسطرة وتناقض تأريخي ناتج عن عدم امتلاك المصادر المناسبة، واختلاق بعضها. وعليه، فإنه للإجابة على السؤال المركزي، تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة على أربعة من الأسئلة الفرعية التالية:

(1) ما هي الخلفيات التاريخية لاستهداف مخيم جنين أخذاً بعين الاعتبار النسيج الاجتماعي والثقافي للاجئي المخيم؟ ويتضمن هذا السؤال استدراجاً لتاريخ مخيم جنين في استحداث أنماط متميزة من المقاومة الجماهيرية والتنظيمية، والتي تجلت في تشكيلات العمل المقاوم في الانتفاضة الأولى (للعام 1987) وامتدت حتى معركة مخيم جنين (للعام 2002)، التي لم تحل الاتفاقيات السياسية و"ثقافة ما بعد أوسلو" من تغييبها؟

(2) وما هي أوديسة المقاومة التي أصبحت نموذجاً وطنياً، وإقليمياً، وعالمياً، في مقاومة الاحتلال؟ وهنا، سيقوم هذا السؤال بحمل مرآة الذاكرة لأحداث المعركة في أيامها الإثني عشر، إذ ستتم كتابة مدونة المعركة لحظة بلحظة استناداً إلى الذاكرة المدعمة ببعض الشواهد المرئية، والمسموعة، والمكتوبة. وكيف يمكن نزع ظاهرة الأسطرة عن المعركة وتحويلها إلى منجز انتصاري سياسي وعسكري وثقافي فلسطيني؟

(3) ما هي عوامل الانتصار والصمود في معركة جنين في ظل وضع سياسي وعسكري غير متوازن؟ ويعنى هذا السؤال، أولاً، بتدشين معركة مخيم جنين كتجربة انتصار على الرغم مما ألحقته آلة الاحتلال الصهيوني من خسائر في الأرواح وأذى في الممتلكات، وما بدا استمراراً لأبشع أنواع التطهير العرقي في تاريخ هذه الآلة. ومن ذلك، سيتم التدليل على مؤشرات النصر عبر سياق سردي تفصيلي لـــ(عدم) توازنات المعركة.

(4) ما هو أثر معركة مخيم جنين على المخيال السياسي والعسكري والثقافي: فلسطينياً، وإسرائيلياً، وعربياً، وعالمياً؟ وسيتعرض هذا الفصل لأصداء المعركة وتبعاتها في المستويات المذكورة، بالإضافة إلى تبيان الكيفية التي تم بها (أو لم يتم على نحو صحيح) استثمار معركة مخيم جنين فلسطينياً، وكيف يمكن البناء على هذا النموذج المقاوم في المواجهة المفتوحة مع الاحتلال الصهيوني.

1.4 فرضية الدراسة

تنطلق هذه الدراسة من مجموعة فرضيات يمكن اختزالها في فرضية كبرى مفادها: إن خصوصية معركة جنين، مواجهة وانتصاراً، نبعت من قناعة لاجئي المخيم بأنه لا ملاذ آخر لهم ولا لجوء مرة أخرى؛ والتفاف هؤلاء واحتضانهم للمقاومين؛ وتوحُّد قوى العمل الوطني والإسلامي تحت قيادة عسكرية واحدة و"غرفة عمليات مشتركة." ونتيجة لوجود هذه المقومات، والاستعدادات الجيدة، وتوفر القناعة وروح المقاومة والفداء، وتقبُّل القيادة السياسية الفلسطينية في حينه، متمثلة بالرئيس الشهيد ياسر عرفات، الذي كان محاصراً ومعزولاً في أقل كيلومتر مربع في مقاطعة رام الله، لخيار المقاومة المسلحة وما ردفه بها معنوياً من خلال إطلاق مفهوم "جنين غراد،" والتواصل المباشر مع المقاومين في الميدان. هذا، بالتضافر مع القيادة السياسية لفصائل المقاومة الأخرى التي انضوت تحت الجبهة ذاتها في مقاومة الهجمة العسكرية الصهيونية على جنين. كما تنطلق الدراسة من فرضية أن نجاح المقاومة العسكرية في جنين في ظل ترد سياسي وعدم توازن عسكري شكَّل نموذجاً "للانتصار في أي مكان" على المستويات الفلسطينية، والعربية، والعالمية، كما حصل في حرب تموز التي شنتها إسرائيل على لبنان في العام 2006، وتذكير سماحة السيد حسن نصر الله-الأمين العام لحزب الله بنموذج النصر في جنين، شأنه في ذلك شأن القيادة العراقية، ونموذج الصمود في الحرب على غزة في حرب

الكانونين في العام 2008-2009. ولعل آخر الفرضيات في هذه السياق تستند إلى أن نموذج الانتصار في مخيم جنين استطاع تدشين نموذج ردعي محلي في ظل ظروف عسكرية غير متوازنة.

1.5 منهجية الدراسة (مفتتح غير أكاديمي في منهجية النار)

نظراً لخصوصية المقاوم/"الباحث" ومركزيته في معركة جنين نفسها (إعداداً، ومقاومةً، وأسراً، وتحملاً للتبعات)، وكونه قد شارك بفاعلية في "غرفة العلميات المشتركة" وإدارة عمليات "كتائب الأقصى" خلال المعركة؛ وفاعلاً سياسياً من خلال تبوئه مراكز قيادية متقدمة في حركة فتح، وعضويته في المجلس التشريعي الفلسطيني... فإن الاعتماد المركزي سيكون على التأريخ الشخصي للمعركة. غير إنه، ولغرض المهنية البحثية والأمانة الأكاديمية، سيعمل المقاوم/"الباحث" على دراسة الأدبيات، الثانوية في معظمها، ومقارنتها بالشهادات الشخصية والوثائق (السمعية، والبصرية، والمكتوبة) التي لديه، وتلك التي جمعها أو حررها أو ساهم في إخراجها إلى النور خلال فترة اعتقاله في أعقاب المعركة، أو من خلال فاعليته الاجتماعية والثقافية والسياسية في مخيم جنين والمشهد الفلسطيني عموماً في الفترة الحالية. هذا بالإضافة إلى مجموعة من المقابلات مع شخصيات فلسطينية من مستويات: سياسية، وعسكرية، وإعلامية (وبخاصة حين تتحول هذه الرسالة إلى كتاب)، نحو: القائد مروان البرغوثي، المفكر العربي والقائد الوطني الدكتور عزمي بشارة، والدكتور صائب عريقات، والدكتور ناصر القدوة، والدكتور أحمد الطيبي، واللواء فيصل أبو شرخ، واللواء محمد ضمرة (أبو عوض)، والإعلامي ليد العمري ... وغيرهم.

هنا، تُكتب هذه الرسالة لا كما تُكتب معظم الرسائل والأطروحات الأكاديمية، مع وافر الاحترام لها، ذلك أن كتابتها ليست لغرض أكاديمي بحت، وإن كانت في سياق أكاديمي بحت، هو إنجاز متطلب أكاديمي لنيل درجة الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة من جامعة بيرزيت. بل تأتي الكتابة في إطار تأمل المقاوم لتحوُّله إلى "باحث"-مع-وقف-التنفيذ في موضوع مقاومته، بين ضرورات التذكُّر وسياسات الذاكرة. بين من عاش التجربة، ومن يتألم منها، ومن يتأمل فيها ليخطو مع شعبه خطوة للأمام.

وكمقاوم، قبل أن أكون، "الباحث" باحثاً-مع-وقف-التنفيذ ، كان هناك أربع محطات تم من خلالها التوثيق والتدوين للكثير من الأحداث التي ما زالت شاخصة بين باصرتيَّ، على الرغم من مرور الأيام:

(1) أولى هذه المحطات كانت مع الشهيد أبو جندل، حيث توافقنا، خاصة بعد اجتياح آذار في العام 2002، على توثيق وتدوين يوميات معركة نيسان، لما لذلك من أهمية في حفظ الذاكرة ونقل التجربة بما لها وما عليها، وتسجيلاً للمشاهدات والأحداث لاستخلاص العبر والإفادة وتأصيل وعي ومدارك الأجيال الفلسطينية التي أريد ويراد وسيراد لها نسيان خيار الكفاح المسلح ضد أعتى آلة عسكرية في المنطقة، وهي الآلة الاحتلالية

الصهيونية. وقد تم الاتفاق على التوثيق من خلال الكتابة اليومية حول الأحداث كل في مكانه، وكان ذلك بطريقتين. طلبنا، في الطريقة الأولى، من الأخوة المقاومين المتواجدين في أمكنة أخرى تزويدنا بتفاصيل ما يحدث لديهم. وأما الطريق الثانية، فكانت بث "أخبار المقاومة" عبر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية من أجل توثيق وحفظ هذه الأحداث. وقد كان ذلك لإدراكنا أن ما بحوزتنا من توثيق سيتم إتلافه أو فقدانه خلال الاجتياح والعصف والتدمير.كنا نمتلك كاميرا فيديو كانت بحوزة أحد المقاومين واسمه غسان نغنغية، وقد قام بتسجيل الكثير من الأحداث إلا أنه تم تدمير هذه الكاميرا.كما تواجد لدينا أحد الصحافيين، مراسل جريدة الأيام من أبناء المخيم، وهو محمد بلاص، الذي قام بتسجيل الكثير من الروايات.

(2) أما المحطة الثانية، فكانت خلال مرحلة الاعتقال، إذ تم توثيق جزء من هذه التجربة من خلال الأسير وليد دقة في كتابه ذائع الصيت، وإجراء توثيق مع عدد من المقاومين الذين تم اعتقالهم حديثاً، حيث تم تسجيل شهاداتهم ويومياتهم في المعركة. على الرغم من أنها اقتصرت على أربعة مقاومين لا يمثلون المعركة بشكل كامل. وقد كان ذلك من خلال كتابه الذي نشرته مواطن-المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، بعنوان: *يوميات المقاومة في مخيم جنين 2002*، والذي كان الدكتور عزمي بشارة، مشكوراً، قد أخرج مسوداته من السجن حين كان لا يزال عضواً في البرلمان عن حزب التجمع الديمقراطي الفلسطيني، الحزب الأكثر رؤيوية وحفاظاً على الخطاب الفلسطيني والهوية الوطنية في فلسطين المحتلة في العام 1948.

(3) وأما المحطة الثالثة، فكانت حين قمت بمحاولة توثيق أيام المعركة وشهاداتها من خلال مقابلة كل من شارك في المعركة بسبب معرفتي بهم وثقتهم بي أثناء التواجد في سجون الاحتلال الصهيوني. وأيضاً بسبب تنقلي المستمر في سجون الاحتلال حيث تنقلت ما يزيد على خمسين مرة خلال سبع سنوات ونصف،ما أتاح لي المجال لرؤية ومقابلة معظم المقاومين. وأحيانا كنت أحاول أن أنقل بعض الشهادات من خلال الأخوة المفرج عنهم أو من خلال بعض المحامين أو من خلال التواصل التلفوني "نقّال مهرَّب" مع الخطيبة. ولكن الحقيقة المرة أن جزءاً كبيراً من الشهادات قامت إدارة السجون بإتلافه وتمزيقه.

(4) وأما المحطة الرابعة والأخيرة، فقد كانت تجربتي كـــ"باحث،" بكل ما أثارته هذه الكلمة من تندُّر مشرفي الدكتور عبد الرحيم الشيخ الذي وصفني بـــ"الباحث المجازف، غريب الأطوار، الباحث عن الجنون والمشاكل"، الباحث-مع-وقف-التنفيذ... تندراً على أنني لا ينبغي أن أصف نفسي بـــ"الباحث" لأنني أكتب هذه التجربة في سياق أكاديمي، بل أن أحافظ على مكانتي كلاجئ، ومقاوم، وأسير، وسياسي، أو كباحث مغرق في المشاركة بخلق الفعل ومشاهدته في آن معاً، لا كـــ"مؤرخ شفوي" ولا كـــ"باحث إجرائي" ولا كـــ"أنثروبولوجي محلي".... وذلك لتتجلى الموضوعية في أوضح صورها. وعليه، حملني مشرفي الأكاديمي،

وزميلي، وصديقي على أن أستخدم "ضمير المتكلم،" بتنويعاته المختلفة، بدلاً من "الباحث،" والضمير الجمعي "نا" بدلاً من الضمير الإشاري "ـــهم" ! وعليه، فهذه المنهجية "غير الأكاديمية البحتة" هي "منهجية النار" كما أطلق عليها مشرفي الشيخ. فالمنهجية، في اعتقاده، الذي صار اعتقادي كذلك عبر التجربة الكتابية، هي أداة الوصل بين الباحث وموضوع بحثه، هي كملقط النار الذي يتخذ شكل يد حامله وينقل الطاقة من يده نحو النار كما ينقل اتجاه الحركة...لكن الباحث، حين يكون في وسط نار المعركة و"مقاوماً" بها، فليس ثمة من مسافة بينه وبين النار. وعليه، تكون أفضل المنهجيات هي "منهجية النار" نظراً وممارسةً.

1.6 صعوبات الدراسة

تتجلى أكبر صعوبات هذه الدراسة في صعوبة البحث بين عالم "المقاوِم" وعالم "الباحِث" وعلى الرغم من ذلك، فقد كانت تجربتي كباحث أصعب بكثير من تجربتي كمقاوم، وذلك للأسباب التالية:

1. أن ثمة الكثير من المعلومات الحساسة التي ينبغي إبداء الكثير من الحرص في الخوض في تفصيلاتها سواء على المستوى العسكري، أو السياسي، أو الاجتماعي داخل مخيم جنين وخارجه، قبل معركة مخيم جنين، وأثناءها، وبعدها، وحتى الآن؛
2. أنني أقوم بالكتابة بعد فترة طويلة من وقوع المعركة؛
3. عملية تجميع المصادر والمراجع المختلفة كانت صعبة لأن توثيق المعركة لم يتم بشكل علمي وموضوعي، وكل من كتب ووثق المعركة، باستثناء الشهادات التي جمعها الأسير وليد دقة ربما، لم يكن متواجداً في المعركة في الغالب؛
4. كان هناك تحيز حزبي واضح وعدم موضوعية في كتابة هذه "الشهادات"؛
5. لاحظت مبالغة الأهالي، وأحيانا بعض المقاومين، في سرد بعض الأحداث وعدم صحتها أحيانا؛
6. عميلة التوثيق، رسمياً، كانت قليلة، وحين تمت كانت "المصادر" بسبب عدم التوثيق الرسمي للأحداث بشكل جدي، وعدم إعطائها الاهتمام الكامل؛
7. وجدت صعوبة عند كثير من المقاومين، الذين تم الإفراج من السجون، في تذكر الأحداث، أو عدم الرغبة، التي أتفهمها، في زيادة الطين بلة في "تضخيم ملفهم الأمني!" لدى العدو الصهيوني.

1.7 بنية الدراسة

تتشكَّل بنية هذه الدراسة من خمسة فصول، إضافة إلى المقدمة والمرجعية (قائمة المصادر والمراجع والملاحق)، وهي:

الفصل الأول: مقدمات معركة مخيم جنين (أسئلة المقاومة وأسئلة الكتابة): يتناول تقديماً عاماً للسياقين التاريخي والأكاديمي لمعركة مخيم جنين مع تركيز خاص على أسئلة المقاومة، وأسئلة الكتابة كثنائية أسهمت في صناعة معركة مخيم جنين كحدث تاريخي، وكموضوع للدراسة الأكاديمية التي تحاول فحص معاني هذا الحدث الاستثنائي في التاريخ الفلسطيني الحديث. يتكون هذا الفصل من مبحثين أساسيين: يضطلع المبحث الأول بتوضيح التركيبة الأكاديمية لموضوعة الرسالة، من حيث: مقاربة الرسالة لمعركة جنين، صورةً وأسطورةً؛ وكيف أسهمت في بلورة إشكالية هذه الدراسة؛ وتحديد فرضياتها؛ وتطبيق منهجيتها التي تتسم بقدر عال من الفرادة؛ وأهميتها؛ وصعوباتها؛ وحدِّ مصطلحاتها. فيما يتناول المبحث الثاني نقداً تفصيلاً للأدبيات التي تناولت موضوعة البحث الرسالة المركزية، وهي معركة مخيم جنين، وذلك لتسهل مقارنتها بيوميات المعركة كما ستروى على لسان من شارك فيها في الفصل الرابع من هذه الرسالة. وتغطي هذه المراجعة خمسة محاور، تتناول: الأدبيات الوصفية التي بوصف المعركة بتفاصيلها اليومية؛ والتقارير الفلسطينية والإسرائيلية والدولية، الرسمية منها وغير الرسمية؛ والأدبيات التي تناولت المعركة إعلامياً؛ والأدبيات التي عنيت بالتركيبة القيادية والسياسية والعسكرية لمخيم جنين؛ وأخيراً، تقيم المعركة، الدروس والعبر المستفادة.

الفصل الثاني: مخيم جنين في سياقه الفلسطيني: يغطي هذا الفصل مسحاً شاملاً لواقع مخيم جنين في سياقه الفلسطيني ضمن أربعة سياقات عامة: أولها، مخيم جنين في سياقه التاريخي، ويقدم خلفية تاريخية بانورامية عن مدينة جنين من العصر الكنعاني وحتى اللحظة، ومدينة جنين، ومخيمها، نشأةً وموقعاً، في التاريخ الحديث والمعاصر، من حيث ريادتها في خوض معارك التحرر الفلسطينية منذ السنوات التأسيسية للهوية الفلسطينية مطلع القرن العشرين وحتى معركة مخيم جنين في العام 2002. فيما يتناول محور مخيم جنين في سياقه الاجتماعي، البنية الاجتماعية لأهالي المخيم، من حيث البلدان الأصلية للجوء، ومستويات المعيشة، ومرافق الحياة الاجتماعية الثقافية والتعليمية، والجهات الراعية لها. وأما المحور الثالث، فيختص بإلقاء الضوء على مخيم جنين في سياقه العسكري، حيث يتتبع نشأة أنوية المجموعات العسكرية المسلحة في جنين ومخيمها مركِّزاً على خلايا الفهد الأسود (الذراع العسكري لحركة فتح)، والنسر الأحمر (الذراع العسكري للجبهة الشعبية)، وكتائب الشهيد عز الدين القسام (الذراع العسكري لحركة حماس)، كما يلقي الضوء على بعض العمليات العسكرية التاريخية المؤسسة لأبناء جنين، وما كان لها من دور في تكريس ثقافة المقاومة في المخيم. وأما المحور الرابع، والأخير، فيركز على مخيم جنين في سياقه السياسي عبر سرد موجز للصراع العربي الإسرائيلي، وبدء "عملية السلام وانهيارها"، وبخاصة بعد تأسيس السلطة الفلسطينية وتعثر تطبيق بنود اتفاقية أوسلو بفعل المماطلة الإسرائيلية. ويتضمن ذلك سرداً للملامح التفصيلية لمرحلة المفاوضات الثانية، وعودة حزب العمل إلى الحكم، وفشل قمة كامب ديفيد وما بعدها، مع توضيح للموقفين الفلسطيني والإسرائيلي في قمة كامب ديفيد التي انتهت بانسداد الأفق السياسي، واندلاع انتفاضة الأقصى، وشن إسرائيل لعملية "السور الواقي" التي كان خوض معركة مخيم جنين من أهم معالم الرد عليها.

الفصل الثالث: الإعداد للمعركة-الخارطة والميدان: يعمل هذا الفصل على توصيف الأجواء التي سبقت شن العدوان الإسرائيلي على مخيم جنين، وبخاصة تصعيد الأعمال العدائية على المدن الفلسطينية، وحصار الرئيس ياسر عرفات في مبنى المقاطعة في رام الله، وتهيئة الساحة الإسرائيلية والعالمية لضربة موجعة للفلسطينيين باستغلال أجواء "الحرب على الإرهاب" التي أتاحتها "عقيدة بوش" بعد هجمات الحادي عشر من أيلول في العام 2001 على أمريكا. يغطي هذا الفصل هذه الأجواء من إرهاصات شن عملية "السور الواقي"، كما يغطي إرهاصات كسر"السور الواقي" على يد المقاومة الفلسطينية، وذلك ببدء التجهيز لصد العدوان الإسرائيلي الذي تبدت ملامحه في اجتياح آذار 2002 لمدينة جنين، وذلك عبر البدء بتشكيل غرفة العمليات المشتركة، ووضع الخطة العسكرية الفلسطينية للمعركة على المقاومة الفلسطينية للحيلولة دون تصفية المقاومة في مخيم جنين التي كانت هدف الحملة الإسرائيلية. وهنا، يتناول هذا الفصل سردية (ما قبل) اليوم الأول من المعركة، أي الإثنين 2002/4/1، مركزاً على فظاعة المخطط الإسرائيلي الراغب في "إعادة احتلال جنين،" وعلى تكهنات المقاومة الفلسطينية بالخطط العسكرية الإسرائيلية، وبخاص الخطة "U" مقابل الخطة "O" لاجتياح المخيم وتصفية المقاومة.

الفصل الرابع: الصورة والأسطورة (يوميـــات المعركة): بصبر وتفصيل هائلين، يسرد الفصل الرابع يوميات المقاومة في معركة جنين من يومها ما قبل الأول (الإثنين، الموافق 2002/4/1، وحتى اليوم التالي لانتهائها (الجمعة، الموافق 2002/4/12). وتسرد هذه اليوميات على لسان كاتب الرسالة بوصفه مشاركاً في المعركة منذ وضع الخطة وتشكيل غرفة العلميات وحتى اليوم الحادي عشر الذي تمت فيه مفاوضات إنهاء المعركة و"تسليم" من تبقى من المقاومين. وتتناول هذه اليوميات، على نحو تفصيلي، اليوم الأول الذي هو ما قبل ساعة الصفر والذي ترصد فيه هواجس المخيم وهواجس الاحتلال قبل بدء المواجهة؛ واليوم الثاني الذي تسرد فيه كيف أكملت قوات الاحتلال الإسرائيلية حصارها، وكيف استكملت المقاومة في جنين إعدادها وعزيمتها؛ ثم تواصل المذكرات سرد قصص الشهادة والفداء السوريالية في اليوم الثالث؛ والتي تستمر لليوم الرابع حيث يحقق المقاومون رهان الرئيس ياسر عرفات بصمودهم وإيقاعهم لخسائر مؤلمة في صفوف العدو؛ إلى اليوم الخامس الذي تتحقق فيه مزيد من الإنجازات العسكرية عبر كمين في حارة الطوالبة؛ وفي نهاية هذا اليوم وبدء اليوم السادس تستمر المقاومة، وجثث شهداء تدفن على دفعات، وتلقي إسرائيل قنابلها (شبه) الفراغية؛ ليأتي في اليوم السابع كمين رفع المعنويات في مواجهة حارة أبو جواد؛ وكأنه تحضير لليوم الثامن الانتقالي (عبر مزيد من الشهداء)؛ نحو اليوم التاسع، يوم كمين الـــ 13 المبارك/"القاتل الذي سقط فيه 13 جندياً إسرائيلياً، أسهم سقوطهم في زيادة تكالب القوات الإسرائيلية لإنهاء المعركة، وعدم دفع المزيد من الخسائر... نحو اليوم العاشر وشهيده "الفعلي" مع وقف التنفيذ؛ إلى اليوم الحادي عشر، يوم الحصار الأخير ومُرِّ الخيارات بـــ"التفاوض" لإنهاء العمليات العسكرية وتسليم من تبقى من المقاومين. وأخيراً، يوم ما بعد الانتهاء الفعلي للمعركة، اليوم الثاني عشر، الذي قضى فيه شهيداً أبو جندل، "المايسترو" و"رئيس غرفة العمليات،" الذي كان أول القتلى وآخر من يموت.

الفصل الخامس: خلاصات معركة جنين (وملاحظات نقدية): يتأمل هذا الفصل، الأخير من الرسالة، في معركة جنين بوصفها تجربة قابلة للتناسخ. وهذا "الفصل الأخير" من الرسالة لا يكتب بوصفه "خلاصة" كما هو الحال في معظم الرسائل والأطروحات الأكاديمية، مع وافر الاحترام لها، ذلك أن الكتابة هنا ليست لغرض أكاديمي بحت، وإن كانت في سياق أكاديمي بحت، هو إنجاز متطلب أكاديمي لنيل درجة الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة من جامعة بيرزيت. بل تأتي كتابة لهذا الفصل في إطار تأمل المقاوم لتحوُّله إلى باحث في موضوع مقاومته، بين ضرورات التذكُّر وسياسات الذاكرة. بين من عاش التجربة، ومن يتألم منها، ومن يتأمل فيها ليخطو مع شعبه خطوة للأمام. وعلى ذلك، يتناول هذا الفصل خلاصات الرسالة وخلاصة المعركة ككتلة واحدة، فيرصد محطات توثيق تجربة معركة جنين: خلال المعركة، وفي الأسر، وبعد التحرر من الأسر، وأثناء الدراسة الأكاديمية؛ ويركز على صعوبات إجراء هذه الرسالة بين "الباحث" و"المقاوم؛" كما يعرض بعض التأملات في "الخطة العسكرية" التي وضعتها المقاومة، و"يوميات المقاومة" نفسها بوصفها تنفيذاً لتلك الخطة أو خروجاً عنها، بالإضافة إلى مسرد خاص للدروس والعبر من ميدان المعركة، وتجربة الكتابة عنها.

1.8 مراجعة الأدبيات (الأسطورة)

أثناء مراجعة الأدبيات ذات العلاقة بموضوع المجزرة أو المعركة، كما يسميها البعض، والتي حصلت في مخيم جنين في ربيع العام 2002 تبين أن عدد الأدبيات التي تناولت المعركة ليست كثيرة، على الرغم من تنوعها بين كتب ومقالات وتقارير وأقراص مدمجة، ركزت غالبيتها على وصف المعركة التي دارت. وفي هذا السياق، يمكن تقسيم الأدبيات إلى خمسة محاور رئيسة، هي:

1.8.1 المحور الأول: الأدبيات الوصفية التي وصفت المعركة بتفاصيلها اليومية

يمكن القول إن غالبية الأدبيات وقعت ضمن هذا المحور، إذ ركزت على وصف ما جرى في المعركة وصفاً تفصيلياً في بعض الأحيان، ولعل واحداً من أهم هذه الأدبيات كتاب *يوميات المقاومة في مخيم جنين*[1] للأسير وليد دقة، الذي قام بإعداد هذا الكتاب من داخل السجن، إيماناً منه بأهمية نقل تجربة معركة جنين على ألسنة من كانوا حقاً داخل المعركة، حيث يقدم الكتاب شهادات حية لأربعة من المقاومين الذين شاركوا في المعركة، ويهدف الكاتب بذلك إلى حفظ هذه التجربة من التزوير والتشويه، بالإضافة إلى اعتبارها مادة أصيلة يمكن الاعتماد عليها لتقييم التجربة والاستفادة منها باعتبارها مصادر أولية، وأيضاً أهمية مثل هذه التجربة في الحفاظ على روح المقاومة التي تعرضت إلى العديد من الضربات في ظل الحملة الشرسة التي تقودها أمريكا وإسرائيل ضد المقاومة، ووصفها بالإرهاب، مستغلة بذلك أحداث الحادي عشر من أيلول 2001.

[1] وليد دقة. *يوميات المقاومة في مخيم جنين*. رام الله: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية- مواطن، 2002.

يبدأ الكتاب بشهادة الحاج علي الصفوري ومن ثم شهادة جمال حويل. ركزت هاتان الشهادتان على وصف المعركة التي دارت ووصف الاستعداد المسبق لها. ورغم الاستعداد الجدي للمعركة إلا إن المناضلين وصفوا الذخيرة المتوفرة بالمتواضعة حيث لم تتعد البنادق الخفيفة والعبوات الناسفة محلية الصنع، وعدد من البنادق من طراز إم-16، وعدد من بنادق الكلاشينكوف، وقطعة واحدة .R.P.G ومعها ثلاث قذائف فقط. بالإضافة إلى ذلك وصف المناضلين الاستعداد العسكري للمعركة وكيفية توزيع المقاتلين في المخيم.

تتناول الشهادتان هاتان أيضاً، الحديث عن قصص الاستشهاد التي حصلت، ومن هؤلاء الشهداء، رائد الكرمي، محمود طوالبة، عبد فرج، أشرف أبو الهيجا، سليم السعدي، زياد زبيدي، طارق دراوشة، نضال سويطات، مصطفى الشلبي، محمد طالب، وزياد العامر. والحديث بشيء من التفصيل عن عملية اغتيال أو تصفية للشهيد أبو جندل، وشهداء آخرين. في هذا السياق، يذكر أن الجيش الإسرائيلي قام بعدد من عمليات الإعدام للكثير من المدنيين وبعض هذه العمليات كانت أمام الأهالي، بالإضافة إلى الحالات التي تم دفنها حية تحت الأنقاض ومنها الشهيد محمود الحلوة، والشهيد منير الوشاحي وأمه أم مروان الوشاحي. وبخصوص الأعداد لم يتجاوز عدد الشهداء من العسكريين 35 شهيداً. أما المدنيون، فقد تراوح عددهم بين 60- 70 شهيداً. مقابل ذلك فإن عدد الجنود الذين قتلوا في المعركة بلغ 40 جندياً، على خلاف ما تقول الرواية الإسرائيلية بأن عددهم كان بين 26-28 جندياً.

تحدثت الشهادتان بشيء من التفصيل عن التركيبة القيادية للمخيم، بالإضافة إلى الحديث عن الوحدة التي كانت موجودة في المعركة، والتي تجاوزت الانتماءات الفصائلية والحزبية، وبهذا السياق تطرقت الشهادتان لقضية مشاركة السلطة والأمن الوطني في المعركة، إذ كانت طبيعة المشاركة مشاركة فردية، حيث أن المقاومة لم ترفع كشعار نهائياً من قبل السلطة. واختتمت هاتان الشهادتان بالحديث المفصل نوعاً ما عن الحصار في البيت الأخير والذي تم من بعده اعتقال المناضلين، بعدما قدم سماحة السيد حسن نصر الله-الأمين العام لحزب الله مبادرة بتسليم الضابط المأسور لديه مقابل الحفاظ على أرواح المقاتلين. رغم أن الحفاظ على أرواح المقاتلين، لم يتم بناءً على هذه المبادرة.

أما بخصوص الشهادتين التاليتين، وهما شهادة المناضل يحيى الزبيدي، والمناضل عبد الجبار خليل خباص، بالإضافة إلى الأمور الأخرى التي ذكرت في الشهادتين السابقتين، فقد تناولتا دور الأهالي والنساء في المشاركة في المخيم من حيث إمداد المقاتلين بالطعام والدواء والماء، وكذلك مراقبة الجنود، وعن صمود أهالي المخيم حتى اليوم السادس، ولكن وبعد أن أدرك المقاومون أن الاحتلال الإسرائيلي لا يميز بين مدني وعسكري، وبعد عمليات الإعدام للمدنيين، وهدم المنازل فوق من فيها، طلب المقاومون من الأهالي مغادرة المخيم. بالإضافة إلى ذلك تم الحديث عن الاستعداد السياسي إلى جانب الاستعداد العسكري للمعركة. والحديث، أيضاً، عن حالات المناضلين الذين حوصروا وجردوا من السلاح و لم يبق لهم خيار سوى تسليم أنفسهم.

أما كتاب جنين *غراد*[2] لأمين مبيض، فيعرض مجموعة من روايات أهالي المخيم التي تصف المعركة بتفاصيلها اليومية، ويصف من خلال هذه الروايات قصص الاستشهاد في كل يوم. وقبل ذلك يبدأ الكاتب بتعداد المعارك التي تعرضت لها المدينة عبر التاريخ (1230 ق.م - 1948)؛ ومن ثم يقدم لمحة تاريخية عن مخيم جنين الذي تم اعتماده رسمياً من قبل المنظمة الدولية في سنة 1951. وفي سياق الحديث عن نشأة المخيم، يتحدث الكاتب عن السبب في كون مخيم جنين شكل هدفاً للكيان الصهيوني، ويشير إلى عدد الاستشهاديين الذين قاموا بعمليات داخل الخط الأخضر وكانوا قد خرجوا من المخيم أو تدربوا فيه. يتحدث الكاتب، أيضاً، عن التباين في القوى بين الطرفين، فقد أعد الاحتلال الإسرائيلي للاجتياح المخيم كماً هائلاً من الدبابات والطائرات والأسلحة الأمريكية ذات الطراز الحديث والمتطور، مقابل الذخيرة المتواضعة التي تم وصفها سابقاً، إلا إن الاستعداد عند أهالي المخيم تجاوز الاستعداد العسكري إلى الاستعداد المدني والمعنوي. كذلك يقدم الكتاب صورة للمخيم بعد المجزرة وبعد عودة الأهالي إليه، حيث أصيبوا بالحزن والذهول جراء ما شاهدوه مما لحق بالمخيم من الدمار؛ ويتحدث عن الأعداد الهائلة من الأجانب ولجان المساعدات والصحافيين الذين جاؤوا لمشاهدة الخسائر المادية والبشرية التي خلفتها المجزرة. وحسب هذا المصدر، فإن الخسائر البشرية كانت 52 شهيداً و305 جريحاً، في حين أن أعداد القتلى من الجنود الإسرائيليين بلغت 23 قتيلاً.

أما على المستوى المادي، فقد كان عدد المنازل الذي دمر دماراً كاملاً 480 منزلاً، في حين أن أعداد المنازل التي دمرت جزئياً، ولكنها لم تعد صالحة للسكن، وصلت إلى 300 منزلاً، إضافة إلى التدمير الكامل في البنية التحتية من شوارع وشبكات صرف صحي، وشبكات الكهرباء وغيرها. هنا، تناول الكاتب مجموعة من الممارسات التي قام بها جيش الاحتلال الإسرائيلي والتي تندرج ضمن جرائم الحرب، مثل: عدم التمييز بين المدنيين والعسكريين في القتل، وإعدام المدنيين، وعدم السماح لسيارات الإسعاف الوصول للجرحى، واستخدام المدنيين كدروع بشرية. هذا، ويختم الكاتب كتابه بإدراج مجموعة من آراء بعض الشخصيات واللجان في المجتمع الدولي عما حدث في جنين، والذي وصف، وإن كان في بعض الأحيان بلغة خجولة، بأنه مجزرة.

ومن ضمن الكتب التي وصفت المعركة، كتاب مخيم جنين *أسطورة... هزت العالم*[3] لغسان نزال. وشأنه شأن الكتب الأخرى، تحدث عن المعركة، وعن اللحظة التي تجمعت فيها الدبابات وحاصرت المخيم من كل الاتجاهات، ولحظة البدء الفعلي للمعركة واصفاً حركة الجنود وحركة المقاتلين بنوع من التفصيل. يدرج نزال مجموعة من الجرائم التي قام بها الجيش الإسرائيلي، ولكن ضمن تصنيفه الخاص، ومن ضمنها الإعدام المباشر. يعطي الكاتب على هذا النوع من الجريمة

[2] أمين المبيض. *جنين غراد-الاجتياح الإسرائيلي ومجزرة المخيم*. د.م: د.ن. 2003.

[3] غسان نزال. *مخيم جنين أسطورة... هزت العالم*. عمان: المؤلف. 2002.

مثالاً لشاب حاول التسلل إلى المخيم من سور المستشفى، لكن جنود الاحتلال اعتقلوه وقاموا بالتحقيق معه، وحسب شهادة امرأة شهدت الموقف: وضعوه على مقدمة دبابة ومن ثم أطلقوا رصاصة عليه. ومن هذه الأعمال، أيضاً، القتل تحت الضوء. هنا، يتحدث الكاتب عن عملية قتل الممرضة فدوى جمّال التي خرجت لإسعاف شقيقتها، وكانت قد أصيبت بعيار ناري في قدمها، فقام جنود الاحتلال بقنصها على الرغم من أنها كانت تلبس لباس التمريض الأبيض وتضع شارة الهلال الأحمر. وكما يذكر الكاتب فإن عملية القتل تمت من مسافة قريبة ما يعني أن الجنود كانوا على علم بأنها ممرضة. ومن ضمن هذه الأعمال، كذلك، قتل المعاقين، مثل قتل كمال زغير، وهو معاق جسدي وعقلي كان يتحرك على كرسي متنقل وقد وضع على كرسيه علما أبيض، ولكن جنود الاحتلال قاموا بإطلاق النار عليه، وفيما بعد قامت الدبابات بدهس جثته التي تحولت إلى أشلاء مفرومة.

يتحدث الكاتب، أيضاً، عن قصة أربعة مناضلين أصبحوا رموزاً من رموز النضال، ويصفهم الكاتب بـــ "أربعة أبطال وثلاثة شهداء،" وهم: الشهيد يوسف قبها المعروف بـــ"أبو جندل" من الأمن الوطني، والشهيد محمود طوالبة من الجهاد الإسلامي، والشهيد قيس عدوان من كتائب القسام، والمقاوم الأسير جمال حويل. ويورد الكاتب قصة استشهاد هؤلاء الثلاثة وأسر الأخير. وفي هذا السياق، لابد من الإشارة إلى وجود بعض التناقضات حول عدة أمور في الكتب التي تناولت معركة جنين. ولعل واحدة من هذه التناقضات، أو على الأقل الاختلافات السردية التي ستظهر في الفصل الرابع من هذه الدراسة بوضوح، قصة استشهاد أبو جندل. لابد من الإشارة، بداية، أن أبو جندل كان قائد رئيساً في المعركة. إن رواية من كانوا مع أبو جندل في المعركة، وحتى في لحظة إصابته الأولى، والمرجح أن استشهاده كان من بعدها، وهي الرواية التي تم تناولها في كتاب *يوميات المقاومة في مخيم جنين* للأسير وليد دقة، تفيد بالتالي: إن جيش الاحتلال الإسرائيلي بعد مقتل الجنود الـــ 13 في كمين، كثفوا القصف، ما أدى إلى انهيار المعنويات لدى بعض المقاتلين، تحديداً في ظل انتشار إشاعات حول استسلام بعض القادة المركزيين في القتال أو استشهادهم، الأمر الذي أدى إلى استسلام العديد من المقاتلين، وتبقى مجموعتان فقط، من المقاتلين: مجموعة الحاج علي الصفوري، ومجموعة أبو جندل. جاء أحد المقاتلين في مجموعة أبو جندل وأخبر الحاج علي بأن معنويات الشباب في المجموعة الأولى تنهار، ما جعل الحاج علي يذهب إلى المجموعة الثانية رفقة مقاتلين آخرين. وقد كان هناك غرفة واحدة تفصل بين المقاتلين وجنود الاحتلال الصهاينة. في الساعة الثالثة صباحاً كان أبو جندل وثلاثة مقاتلين آخرين متمركزين على سدة صغير في البيت، ليشتبكوا مع الجنود الإسرائيليين حال دخولهم إلى الغرفة التي يتواجدون فيها، إلا إن الجرافة بدأت الساعة الخامسة صباحاً الجرف باتجاه المقاتلين. ولأن الاشتباك مع الجرافة لا يفيد، كما يقول الحاج علي، فقد تمركز كل المقاتلون في الطابق الأرضي. وفي الساعة السادسة والنصف قامت الجرافة بهدم المنزل، وبدأ المقاتلون عندها بالخروج فوراً من ثغرة موجودة في الحائط، ولأن هذه الثغرة لا تتسع للجميع، قرر أبو جندل القفز من الشرفة، وعندها أطلق عليه القناصة النار وأصيب. حاول المقاتلون إخراجه لكنهم لم يستطيعوا، فطلب منهم الذهاب وأنه سيتدبر أمره. وكما يقول الحاج علي: إن إصابة أبو جندل كانت في القدم، لكن الجنود قاموا بعدها بتصفيته.

في كتاب *يوميات الاجتياح والصمود*[4] ليحيى يخلف، تم إيراد قصة مختلفة تماماً عن استشهاد أبو جندل. والاقتباس التالي يروي قصة استشهاد أبو جندل: "وفي موقعه الأخير، جلس أبو جندل وحيداً يفكر فيما يتعين عليه أن يفعل. جاء إليه جمع من نساء المخيم، وطلبن منه، بل ورجونه أن يخلع بزته، لكنه رفض أن يخلع بدلته العسكرية وأن يسلك سلوك الجبناء، وبقي في مكانه حتى جاءت مجموعة من جنود الاحتلال وطوقت المنزل وطلبت منه الخروج عبر مكبرات الصوت... خرج أبو جندل بكامل هيبته وشموخه. طلب منه الجنود أن يرفع يديه ويتقدم لكنه لم يمتثل لطلبهم، فعادوا وأنذروه بأن يرفع يديه ويكشف عن بطنه ليتأكدوا من أنه لا يحمل حزاماً ناسفاً، لكنه لم يمتثل. وظل يتقدم بثقة، بلا خوف أو وجل. طلبوا منه التوقف. ظل يتقدم دون أن يعبأ بأوامرهم... عند ذلك أطلقوا عليه النار... سقط أبو جندل شهيداً، سقط على أنقاض منزل مدمر."[5]

عودة إلى كتاب *مخيم جنين... أسطورة هزت العالم*، يورد الكاتب مجموعة من الروايات التي لم ترد في كتب أخرى، ومنها وضع جنود الاحتلال الإسرائيليين أثناء تواجدهم في منازل بعض أهالي المخيم، دمى على الشبابيك، أو وضع منديل أو كوفية فلسطينية على رأس عصا حتى يتوهم المقاتلون بأن فلسطينيين في الداخل، وهذا يعود عليهم بفائدتين: الأولى حمايتهم، حيث إن المقاتلين لن يطلقوا النار باتجاه منزل يتواجد فيه فلسطينيون. والأخرى، أن المقاتلين قد يدخلون إحدى هذه المنازل، وبالتالي يقوم الجنود بقتلهم. وضمن عرضه للروايات، يتحدث الكاتب عن وقفة فلسطينيي فلسطين المحتلة في العام 1948 مع أهالي المخيم، حيث قدم هؤلاء الدواء والطعام والماء والملابس لأهالي المخيم. يتحدث الكاتب، أيضاً، عن صناعة العبوات الناسفة والتي يطلق عليها "أم العبد." ويتحدث عن أشبال الأكواع، وهم الأطفال الذين شاركوا في المعركة وقاموا برمي الأكواع على الجنود.

كتاب *المخيم وجنين ملحمة الصمود والبطولة*[6] لـــ حسني جرار وخالد سعيد يبدأ بالحديث عن مدينة جنين من حيث الموقع والتسمية والاقتصاد والزراعة والتعليم. يدرج الكاتبان، فيما بعد، قائمة بقرى مدينة جنين. وفي ظل هذه اللمحة التاريخية، يرصد الكاتبان مجموعة المعارك والفتوحات التي تعرضت لها مدينة جنين على مر التاريخ. ينتقل الكاتبان لتقديم لمحة تاريخية عن المخيم من حيث النشأة والموقع والتغيير الحاصل لهذا الموقع، وأصول سكان المخيم. كذلك يتحدث الكاتبان عن الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للمخيم، ويشيران إلى الاتجاهات الفكرية والسياسية فيه، حيث تشكل حركة فتح وحماس والجهاد الإسلامي السمة الحركية البارزة لدى السكان.

---

[4] يحيى يخلف. *يوميات الاجتياح والصمود*. رام الله: دار الشروق. 2002.

[5] يحيى يخلف، مرجع سابق، ص85.

[6] حسني جرار وخالد سعيد. *المخيم وجنين ملحمة الصمود والبطولة*. عمان: صحيفة السبيل. 2003

ينتقل الكاتبان، فيما بعد، لتخصيص الحديث عن المعارك التي خاضتها جنين مع اليهود العام 1948، ومنها معركة "مشمار هاعيمق" ومعركة "جنين الكبرى" ومعركة "جنين الثانية." لاحقاً، ينتقل الكاتبان في التمهيد عن معركة جنين، إلى الحديث بداية عن دور مدينة جنين في الانتفاضتين الأولى والثانية. كذلك يتم الحديث عن الفترة ما قبل المعركة من الانتفاضة الثانية بنوع من التفصيل. وفي هذا السياق، يتحدث الكاتبان عن اقتحام أيلول من العام 2001، وهو الاقتحام الذي استشهد فيه 13 شهيداً من أهالي المخيم والذي جاء رداً على عملية "نهاريا." وقد بررت إسرائيل هذا الاجتياح بأن جنين تحولت إلى "مزرعة لتفريخ الإرهاب." ولكن إسرائيل خرجت دون أن تحقق أهدافها كما يقول الكاتبان. وقد تجلت هذه الأهداف، على حد تعبير الحكومة الإسرائيلية، بالقضاء على الإرهاب. ولكن الحقيقة وراء هذا الاجتياح، كانت تدمير البنية التحتية للمقاومة التي أصبح مخيم جنين مركزاً أساسياً لها.

وفي هذا الخصوص، يتناول الكتاب الأسباب وراء حقد الصهاينة، على حد تعبير الكاتبين، على مخيم جنين. ولعل أهم تلك الأسباب: أولاً، كثرة عدد العمليات الاستشهادية التي انطلقت من المخيم. ثانياً، أن المخيم شكل مأوى للمطاردين والمطلوبين من مختلف التنظيمات. ثالثاً، أن المخيم شكل خط الدفاع الأول في مواجهة الجيش الصهيوني. ولهذه الأسباب، وأسباب أخرى تتعلق بطبيعة المقاومة والوحدة في المخيم، وصف المخيم من قبل الحكومة الصهيونية وضباط جيشها بأنه "عش الدبابير" أو "عاصمة الاستشهاديين."

ينتقل الكاتبان للحديث المباشر عن معركة جنين بدءاً بالحديث عن استعدادات "الطرفين." ويذكر هذا المرجع، بتفصيل أكبر من المراجع الأخرى، بعض المعطيات الرقمية لاستعدادات العدو واستعدادات المقاتلين الفلسطينيين. ومن ذلك أن العدو حشد 30 ألف جندي من وحدات الاحتياط، من أجل تنفيذ عملية "السور الواقي" التي شنت على كافة محافظات الضفة الغربية، وما يقارب 20 ألف جندي نظامي. حيث يصبح مجموع الجنود الإسرائيليين 50 ألف جندي، وهذا العدد، كما يوضح الكتاب، يعادل ربع الجيش الإسرائيلي تقريباً. وقد تم تخصيص خُمس هذه الحشود لمحاصرة مدينة جنين ومخيمها، حيث خُصص 5 آلاف جندي لذلك. وقد دُعم هؤلاء الجنود بما يقارب 500 آلية عسكرية: بين دبابات من طراز "ميركافا" وأكثر من 100 دبابة ومجترات ومصفحات وناقلات جند وشاحنات وحافلات وجيبات عسكرية، وأطقم طبية وإعلامية، وطائرات مروحية "كوبرا وأباتشي" وجرافات. أما فيما يتعلق باستعدادت المقاتلين الفلسطينيين، فبالإضافة إلى ما ذكر سابقاً خلال عرض الأدبيات، فإن عدد العبوات الناسفة في المخيم قدر بـــ 15 ألف عبوة، بأحجام مختلفة، إضافة إلى ثمانية صواريخ "لاو".

من ثم ينتقل الكاتبان إلى سرد التفصيلات اليومية للمعركة بدءاً باليوم الأول الأربعاء 2002/4/3 الذي كان يوماً عصيباً على الطرفين. وقد ورد في السطور التي تناولت الحديث عن اليوم الأول اختلاف قصة استشهاد الممرضة فدوى

الجمّال: فبينما تشير المراجع السابقة إلى أن استشهاد فدوى جاء أثناء قيامها بمساعدة أختها رفيدة التي كانت قد أصيبت من قبل القناصة الإسرائيليين، ومحاولة إسعافها، تنعكس الرواية هنا، حيث تقوم رفيدة حسب هذا المرجع بمحاولة مساعدة أختها المرضة فدوى، فتصاب أثناء ذلك.

وينتهي الكاتبان من سرد يوميات المعركة، بتناول أهم ما حدث في اليوم الأخير، يوم الجمعة 2011/4/12، وعلى رأس ذلك قصة استشهاد أبو جندل، حيث أن أبو جندل، حسب هذا المرجع، استشهد أثناء محاولة الخروج من المترل بعد أن بدأت الجرافة بهدم المترل الذي يتواجد فيه هو ورفاقه، إلا إن القناصة أطلقوا عليه الرصاص في وجهه. وهنا يتمثل الاختلاف الأول، حيث تشير الرواية السابقة لقصة استشهاده أن إصابته الأولى كانت في القدم. والاختلاف الآخر، أن جيش الاحتلال الإسرائيلي قام بإعدام أبو جندل فيما بعد، بعد اعتقاله، وأن ذلك شوهد من قبل الجميع على التلفاز، مع أن أياً من الروايات التي تناولت قصة استشهاد أبو جندل لم تذكر أن ذلك شوهد على التلفاز. إضافة إلى أن الروايات الأخرى التي تناولت استشهاده تشير إلى أن جثة أبو جندل كانت محروقة، ما يعني عدم المقدرة على التعرف عليها من خلال شاشات التلفاز. ويختتم الكاتب هذا الوصف لأيام المعركة من خلال إدراج مجموعة من الروايات المختارة من أهالي المخيم، بعضها يشهد على بسالة المقاتلين، والآخر يشهد على "نذالة" الجنود الإسرائيليين وجبنهم على حد تعبير الكاتبين.

أما كتاب مخيم جنين *النصر قادم من الشمال*[7] لـــ نايف سويطات، فكغيره من الكتب يتناول قصة معركة مخيم جنين من عدة زوايا. لكن ربما يمكن البدء بالحديث أولاً عن الاختلافات، التي ظهرت من بداية الكتاب، عن غيره من المراجع الأخرى. ومنها الاختلافات في الأرقام. فحسب هذا الكتاب، إن مجمل عدد الشهداء المدنيين والعسكريين يقارب 54 شهيداً، وأن عدد المنازل الذي هُدم، يقارب 800 مترل هُدم بشكل كامل، و300 مترل هُدم بشكل جزئي. ورجوعاً إلى مصادر سابقة للتدليل على هذه الاختلافات في الأرقام، يمكن الاستشهاد بكتاب وليد دقة *يوميات المقاومة في مخيم جنين* إذ يصل فيه عدد الشهداء العسكريين إلى 35 شهيداً، فيما يتراوح عدد الشهداء المدنيين بين 60- 70 شهيداً. وحسب كتاب غسان نزال مخيم جنين *أسطورة... هزت العالم*، فإن عدد المنازل التي هدمت بشكل كامل هو 382 والتي هدمت بشكل جزئي 241.

وإضافة إلى الاختلافات في الأرقام، فإن الاختلاف في قصة استشهاد أبو جندل واردة في هذا الكتاب أيضاً، حيث تقول أم علي، التي اعتمد الكاتب شهادتها حول قصة استشهاد أبو جندل "... سمعت صوت جنود الاحتلال يصرخون على شخص طالبين منه التوقف، وبالفعل رفع يديه واستسلم فقاده الجنود إلى مكان قريب، وأمروه برفع ملابسه، وبعد أن

[7] نايف سويطات. مخيم جنين *النصر قادم من الشمال*.د.م. د.ن. 2002.

تأكد الجنود من عدم وجود أية أسلحة أو متفجرات معه قاموا بتقييده برباط، وقام أحدهم بإطلاق النار عليه بشكل كثيف..." إلى هنا تنتهي رواية أم علي "... كما عثر في وقت لاحق على عدد من أضراسه وأسنانه بدليل أن قوات الاحتلال لم تكتف بإعدامه بل قامت بالتمثيل بجسده الطاهر بعد استشهاده."[8] أما عن رواية أهالي المخيم عن استشهاد أبو جندل، فيضيف الأهالي أنه تم العثور على وصية لأبو جندل في مكان استشهاده. أما فيما يخص الحديث عن المعركة، فقد قام الكاتب بتناول شهادات مختلفة من أهالي المخيم حول قصص الاستشهاد والدمار.

وأما كتاب عبد الفتاح القلقيلي *الأرض في ذاكرة الفلسطينيين اعتماداً على التاريخ الشفوي في مخيم جنين*،[9] فيتناول المعركة اعتماداً على التاريخ الشفوي مورداً في بداية الكتاب شرحاً مفصلاً لأهمية التاريخ الشفوي كأداة تحفظ الذاكرة الجمعية للشعوب وتعبر عنها. ويمكن من خلال هذا الشرح، أيضاً، تتبع تتطور استخدام منهج التاريخ الشفوي في فلسطين.

ينتقل الكاتب للحديث عن مفهوم الأرض في الثقافتين الفلسطينية واليهودية، وإلى الحديث عن تاريخ الصراع الفلسطيني والحركة الصهيونية على هذه الأرض. ومن خلال هذا، يتحدث الكاتب عن ممارسات الحركة الصهيونية للاستيلاء على الأرض، مقابل ممارسات الفلسطينيين في الحفاظ عليها. ويتحدث عن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين كأحد إفرازات الاستيلاء على الأرض من قبل الحركة الصهيونية، طارحاً في هذا السياق الحلول التي طُرحت لحل هذه المشكلة، ومنها: التوطين، والعودة، والتعويض.

يتناول الكاتب المعركة من خلال فصل بعنوان :"مكونات الذاكرة الشعبية للأرض (من خلال ذاكرة الرواة من مخيم جنين)". يبدأ هذا الفصل بالحديث عن الأبعاد الثلاثية للأرض: (الجغرافية، والاجتماعية، والاقتصادية). وينتقل للحديث عن القرية والمختار والتقاليد في ذاكرة الفلسطينيين. وعن مدى الرضى الذي يشعر به الفلسطينيون في حياتهم على أرضهم، حيث يقول الكاتب: "ما بقي في ذاكرة الفلسطينيين أنهم كانوا "مبسوطين" و"أرضهم كانت كثيرة وغنية"، ويدلل الكاتب على هذه النتيجة وهي "انبساط الفلسطينيين في أرضهم" من خلال روايات للعديد ممن يصفون حياتهم على أرضهم قبل الاستيلاء عليها من قبل الحركة الصهيونية.

---

[8] المصدر نفسه، ص19-20.

[9] عبد الفتاح القلقيلي. *الأرض في ذاكرة الفلسطينيين اعتماداً على التاريخ الشفوي في مخيم جنين*. رام الله: مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني- شمل. 2004.

ينتقل الكاتب بسرد الروايات التي تم جمعها من أهالي المخيم حول معركة جنين، ويختتم كتابه بإدراج العديد من الملاحق التي تعرض المستوطنات الإسرائيلية الزراعية المختلفة، وهي: المستوطنات الزراعية الجماعية (الكيبوتسات)، المستوطنات الزراعية التعاونية (الموشفات)، المستوطنات التعاونية الجماعية (الموشاف شيتوفي).

هذا، تقدم روز شوملي مصلح مراجعة لكتاب عبد الفتاح القلقليلي بعنوان: "مخيم جنين في التاريخ الشفوي، مراجعة في كتاب الأرض في ذاكرة الفلسطينيين، شمل مركز الشتات واللاجئين الفلسطيني."[10]وحسب الكاتبة، فإن كتاب عبد الفتاح القلقيلي "... يتناول إشكالية الأرض انطلاقاً من مشروع التاريخ الشفوي في مخيم جنين، ومقارنته بالتاريخ المكتوب، كخطوة على الطريق للوصول إلى سيرة واحدة للتطورات الثقافية والاجتماعية للشعب الفلسطيني في أماكن تواجده من أجل تشكيل الذاكرة الجمعية للشعب الفلسطيني."[11]

وفي كتاب *الاجتياح الإسرائيلي للضفة الغربية من محاصرة المقاطعة إلى إخلاء كنيسة المهد*،[12]الصادر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية من تحرير محمود سويد، يتم تناول الاجتياح الإسرائيلي للضفة الغربية في عام 2002، ويبدأ الكتاب بمقدمة بعنوان: "خطة شارون لإلغاء فلسطين: جريمة بلا عقاب"، حيث يتحدث محمود سويد من خلالها عن الخطة الإسرائيلية لإلغاء الوجود الفلسطيني بدءاً من كامب ديفيد-2 إلى الاجتياح الحاصل في 29 آذار 2002. وفي ما يلي اقتباس لشارون يؤكد على هذه الخطة :"يجب ضرب الفلسطينيين ضرباً موجعاً، وعلينا إلحاق الخسائر بهم وإيقاع الضحايا كي يشعروا بفداحة الثمن."[13] ومن ثم، ينتقل الكتاب لعرض العديد من الوقائع الحاصلة أثناء الاجتياح وعلى رأسها العمليات العسكرية الإسرائيلية، مقابل العمليات الفلسطينية خلال أيام الاجتياح. ويعرض أثناء ذلك موقف كافة الأطراف الدولية والعربية والإسرائيلية تجاه ما يحدث.

في الفصل الثاني من الكتاب تحت عنوان:"وثائق" يتم تناول العديد من الوثائق التي لها علاقة بالصراع الإسرائيلي-الفلسطيني، إضافة إلى وثائق تناولت الوضع في الضفة الغربية أثناء الاجتياح، ومن هذه الوثائق: قرار مجلس الأمن رقم 1397 (2002)، مبادرة السلام العربية، بيان الحكومة الإسرائيلية تؤيد فيه خطة تحرك عملانية واسعة النطاق ضد الفلسطينيين، تصريحات لرئيس الحكومة الإسرائيلية أرئيل شارون، ووزير "الدفاع" بنيامين بن إليعيزر، نداء من القيادة

---

[10] روز شوملي مصلح. "مخيم جنين في التاريخ الشفوي، مراجعة في كتاب الأرض في ذاكرة الفلسطينيين." *حوليات القدس*. عدد 4. (2006): 107-112.

[11] المرجع نفسه، ص112.

[12] محمود سويد (محرراً). *الاجتياح الإسرائيلي للضفة الغربية من محاصرة المقاطعة إلى إخلاء كنيسة المهد*. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 2002.

[13] المرجع، صxx.

الفلسطينية إلى الشعب الإسرائيلي، تصريح متلفز للرئيس ياسر عرفات من مقر الرئاسة المحاصر، تصريح لوزير الخارجية الأمريكي، كولن باول، عن موقف بلده من الاعتداءات الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني، قرار مجلس الأمن 1402 (2002)، تعليقات للرئيس جورج بوش على الوضع المتفاقم في الأراضي الفلسطينية، كلمة لرئيس الحكومة الإسرائيلية، أرئيل شارون في أعقاب عملية استشهادية في حيفا، قرار مجلس الأمن 1403 (2002)، خطاب للرئيس جورج بوش عن السلام في الشرق الأوسط، كلمة لرئيس الحكومة الإسرائيلية، أرئيل شارون، أمام الكنيست، بيان لـــ"مجموعة الأربعة" بشأن الشرق الأوسط، بيان لرئاسة مجلس الأمن الدولي بشأن مساعي السلام في الشرق الأوسط، بيان باسم الرئيس ياسر عرفات والقيادة الفلسطينية يدين كل الأعمال التي تستهدف مدنيين، سواء أكانوا إسرائيليين أم فلسطينيين، قرار مجلس الأمن رقم 1405 (2002)، بيان للحكومة الإسرائيلية بإعلان انتهاء المرحلة الأولى من عملية "السور الواقي"، قرار للجمعية العامة للأمم المتحدة.

وفي الفصل الثالث بعنوان: "تقارير وشهادات" يتناول في القسم الثاني منه بعنوان: "تقارير وشهادات من الصحافة الأجنبية" أحداث جنين تحت عنوانين: "كان يا ما كان في جنين" و"الجيش الإسرائيلي يطلق النار على أبو جندل فيرديه، ويعيث خراباً في وزارة الثقافة الفلسطينية"، ويتناول أيضاً، شهادات لعدد من أهالي المخيم. ويختتم الفصل الرابع والأخير برصد الخسائر المادية والبشرية في جميع مدن الضفة الغربية التي تم اجتياحها بما فيها مدينة جنين ومخيمها.

1.8.2 المحور الثاني: التقارير

في كتاب *انتفاضة الأقصى تقويم وقراءة سياسية*[14] لـــ عدنان إدريس، يقدم الكاتب قراءة تحليلية لانتفاضة الأقصى على الصعيد التاريخي، والسياسي، والعسكري، والاستراتيجي المرحلي. أما فيما يتعلق بمعركة جنين، فيقدم الكتاب مجموعة من النماذج لقرارات مجلس الأمن الدولي وتقارير الأمم المتحدة. ومن هذه النماذج:

تقرير مجلس الأمن رقم 1397 (2002) الذي جاء ليؤكد "رؤية تتوخى منطقة تعيش فيها دولتان، إسرائيل وفلسطين، جنباً إلى جنب ضمن حدود آمنة ومعترف بها، وإذ يعرب عن بالغ قلقه إزاء استمرار أحداث العنف المأساوية التي وقعت منذ أيلول- سبتمبر 2000، وبخاصة الهجمات الأخيرة وتزايد عدد القتلى والجرحى.... 1. يدعو الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني وقادتهما إلى التعاون في تنفيذ خطة عمل "تنت" وتوصيات تقرير "ميتشيل" بهدف استئناف المفاوضات بشأن التوصل إلى تسوية سياسية؛ 2. يعرب عن تأييده لجهود الأمين العام والجهات الأخرى الرامية إلى مساعدة الطرفين على وقف العنف واستئناف عملية السلام؛ 3. يقرر أن يبقي المسألة تحت نظره."

[14] عدنان إدريس. *انتفاضة الأقصى تقويم وقراءة سياسية*. بيروت: مركز الفكر العربي- الإسلامي. 2008.

القرار 1402 (2002) ".... وإذ يعرب عن بالغ قلقه إزاء استمرار تفاقم الحالة بما في ذلك الهجمات الانتحارية التي وقعت مؤخراً في إسرائيل والهجوم العسكري الذي شن على مقر رئيس السلطة الفلسطينية، 1. يدعو الطرفين إلى أن يقدما فوراً على تنفيذ ووقف فعلي لإطلاق النار؛ ويدعو إلى انسحاب القوات الإسرائيلية من المدن الفلسطينية، بما فيها رام الله؛ ويدعو الطرفين أن يتعاونا تعاوناً تاماً مع المبعوث الخاص "زيني" وغيره لتنفيذ خطة عمل "تنت" كخطوة أولى نحو تنفيذ توصيات لجنة ميتشل بهدف استئناف التفاوض على تسوية سلمية؛ 2. يؤكد من جديد طلبه الوارد في القرار 1397 (2002) المؤرخ 12 آذار-مارس 2002 بوقف جميع أعمال العنف على الفور، بما في ذلك جميع أعمال الإرهاب والاستفزاز والتحريض والتدمير؛ 3. يعرب عن تأييده لما يبذله الأمين العام للأمم المتحدة والمبعوثون الخاصون إلى الشرق الأوسط من جهود لمساعدة الطرفين على وقف العنف واستئناف عملية السلام؛ 4. يقرر إبقاء المسألة قيد نظره."

ويورد الكاتب، أيضاً، موقف الأمم المتحدة ممثلة بأمينها العام كوفي عنان من تشكيل لجنة دولية للتحقيق في أحداث مجزرة جنين 2002. بداية، جاء قرار تشكيل اللجنة بناءً على طلب عربي، وهددت الولايات المتحدة الأمريكية، كالعادة، أنها ستقوم باستخدام حق النقض الفيتو، ثم تم التصويت والموافقة على قرار رقم 1405 الذي يدعو إلى تشكيل لجنة فحص، على حد تعبير "إسرائيل"، ولجنة تقصي حقائق حسب المجتمع الدولي، وكان ذلك في 2002/4/19. وافقت إسرائيل وبشكل شفوي، بداية، على تشكيل اللجنة، ولكن رئيس الأركان الإسرائيلي شاؤول موفاز صرح بأن تشكيل اللجنة أمر خطير، وأن إسرائيل أخطأت في الموافقة على هذه اللجنة. وبعد مشاورات عديدة، رفضت "إسرائيل" التعامل مع اللجنة. وعليه، أقدم الأمين العام كوفي عنان على حل اللجنة. وفي السياق نفسه، ترد بعض التفاصيل عن لجنة تقصي الحقائق في مقال بعنوان: "لجنة تقصي الحقائق بأحداث جنين،"[15] منها:

أولاً، نص قرار مجلس الأمن 1405 "اتخذ مجلس الأمن .....قراراً أكد فيه على: 1. الحاجة الماسة إلى ضمان وصول المنظمات الطبية والإنسانية إلى السكان المدنيين الفلسطينيين. 2. الترحيب بمبادرة الأمين العام إلى استفاء معلومات دقيقة بشأن الأحداث الأخيرة في مخيم جنين عن طريق فريق لتقصي الحقائق، ويطلب إليه أن يبقي مجلس الأمن على علم بذلك، وإبقاء المسألة قيد النظر."

ثانياً، الفريق المكلف بتقصي الحقائق، الرئيس الفنلندي السابق مارتي اهتيساري (رئيساً للجنة) المفوض العام السابق للاجئين ساداكوا دغاتا، الرئيس السابق للجنة الدولية للصليب الأحمر كورنيليوساما روغا، المستشار العسكري الجنرال الأمريكي السابق ويليام ناش، أخصائي في شؤون الشرطة المدنية الإيرلندي بيتر فيتر جيرالد.

[15] سوزان عقل. "لجنة تقصي الحقائق في أحداث جنين." *مجلة مركز التخطيط الفلسطيني*. العدد 6/5. (2002): 154-161.

وفي 2002/4/23 قررت "إسرائيل" التراجع عن موافقتها على قدوم الفريق، وذلك لعدة أسباب منها: تشكيل لجنة تقصي الحقائق جاء مخالفاً لما تم الاتفاق عليه معها؛ تشكيلة اللجنة جاءت سياسية أكثر منها عسكرية؛ اختيار الفريق دون التنسيق المسبق معها؛ بالإضافة إلى اعتبار أن بعض ممن اختير في الفريق منحازاً ضد إسرائيل. وفي محاولة لإرضاء إسرائيل، وافقت الأمم المتحدة على قيام "الفريق بدراسة النواحي العسكرية والإنسانية في المخيم بعيداً عن وسائل الإعلام. كما وأكدت الأمم المتحدة أن أياً من الشهود الإسرائيليين لن يلاحق، وأن ستاراً من الكتمان سيفرض على هويتهم وستحال نتائج عمل الفريق إلى السكرتير العام وسيتسنى للطرفين الإسرائيلي والفلسطيني تقديم ملاحظاتهما بعد تلقي مسودة النتائج بـــ 48 ساعة."[16]

وعلى الرغم من هذه العروض من الأمم المتحدة إلا إن "إسرائيل" رفضت، وذلك حسب ما وضحت مصادر إسرائيلية بأن الفريق يتجاهل البنى التحتية للإرهاب في مخيم جنين قبل العملية العسكرية للمخيم. وعليه، فقد قررت الحكومة الإسرائيلية رفض التعاون مع الفريق ومنع أية زيارة له.

هذا، ويوجد في نفس محور التقارير مقالة، بعنوان: "انتهاكات قوانين الحرب في مخيم جنين: تقرير منظمة مراقبة حقوق الإنسان،" إذ يبين تقرير منظمة مراقبة حقوق الإنسان بعد تحقيق استغرق أسبوعين "أن ثمة دلائل توحي بأن قوات الجيش الإسرائيلي ارتكبت جرائم حرب في العملية العسكرية التي قامت بها مخيم جنين للاجئين الفلسطينيين. لكن المنظمة لم تتوصل إلى أي دليل يدعم الإدعاءات القائلة بأن القوات الإسرائيلية ارتكبت مجازر راح ضحيتها مئات الفلسطينيين في هذا المخيم." وقد حدد تقرير المنظمة عدداً من الحالات التي تعد انتهاكاً للقانون الدولي والتي تندرج تحت جرائم الحرب. وقد توصلت المنظمة إلى دلائل تشير إلى أن القوات الإسرائيلية قامت باستخدام القوة بصورة لا تتناسب مع هدف الحملة.

1.8.3 المحور الثالث: معركة جنين إعلامياً

يمكن الحديث عن هذا المحور من خلال تقسيمه إلى ثلاث أقسام رئيسة، هي: المعركة في الإعلام الإسرائيلي، والمعركة في الإعلام الدولي، المعركة في الإعلام العربي. فقد شُغل الإعلام الإسرائيلي والإعلام الدولي، وكذلك السياسيون والعسكريون والهيئات الدولية الأخرى، بالحديث عن المعركة وتناول مستجداتها أولاً بأول، وقد كانت أخبار المعركة تتصدر جميع الصحف والقنوات الفضائية ووكالات الأنباء دون استثناء. وفي ما يلي أبرز ما تناوله كل من الإعلام الإسرائيلي، والإعلام الدولي:

[16] سوزان عقل، مصدر سابق، ص157.

المعركة في الإعلام الإسرائيلي

لقد تصدت الصحيفة الإسرائيلية "يديعوت أحرنوت" لأخبار المعركة بشكل يومي، وفي ما يلي بعد العناوين والتعليقات على المعركة في هذه الصحيفة:

أوردت الصحيفة في عددها الصادر بتاريخ 7 نيسان 2002 على صفحتها الرئيسة وصفاً للمعركة تحت عنوان: "معارك دامية في أزقة مخيم جنين للاجئين،" وقالت الصحيفة على لسان مراسلها عمير رببورت: "أدت المعركة في مخيم جنين للاجئين في نهاية الأسبوع إلى مقتل ثلاثة جنود آخرين. ففي تبادل عنيف للنيران قتل الشاويش مروم فيشر وأصيب الشاويش روعي تال والامباشي عوديد كورنفين بجراح مميتة، وبسبب شدة تبادل إطلاق النار تعرقلت عملية إخلاء المصابين وماتوا في المكان. إن ثمن الدماء في جنين هو الأكثر ارتفاعاً في الحملة العسكرية، فقد وصل عدد القتلى إلى سبعة جنود منذ بداية المعركة هناك."

أما روبي شكيد، وفي العدد نفسه، فيقول "المعركة في مخيم جنين هي المعركة الأقسى التي يخوضها الجيش الإسرائيلي في إطار عملية (السور الواقي)، فقط الأمس، وبعد خمسة أيام من القتال الدامي، نجحت الدبابات وقوات المشاة وطائرات الأباتشي في الدخول إلى مخيم اللاجئين، الذي تحول إلى نقطة المقاومة الفلسطينية في الضفة، وقد كان الثمن باهظاً: سبعة جنود قتلى، ثلاثة منهم نهاية الأسبوع، وكذلك عشرات من المصابين من الجنود."

وأما في اليوم التالي، 8 نيسان، فقد جاء في صحيفة يديعوت أحرنوت: "في نهاية الخمسة أيام من القتال الضاري، من بيت إلى بيت، يسيطر الجيش تماماً على جزء كبير من المخيم، وكبار المطلوبين يتحصنون في مجموعة صغيرة من البيوت ويخوضون معركة (حتى الطلقة الأخيرة)، وقد حاول الجيش أمس إخضاعهم بنيران وصواريخ الأباتشي والدبابات."

ومن ضمن أخبار يديعوت أحرنوت على إثر مقتل 13 جندياً، أنه في كمين أعده المقاتلون الفلسطينيون سادت حالة هستيرية حقيقية أصبح يعيشها الكيان الإسرائيلي، إذ يقود أحد الضباط للصحيفة :"يقاتل الفلسطينيون بشجاعة، وقد دفعنا لقاء ذلك ثمناً باهظاً، لكنهم يدفعون الثمن مئات القتلى، إنهم يحاربون، لكننا لسنا أقل تصميماً على تحقيق النصر." وأما جندي آخر من وحدة "ناحل"، فيصف الكمين الذي كان قد نجى منه بالقول: "من الصعب التصديق أي كمة من العبوات ألقيت علينا هناك، بحر من العبوات، وكل مقاتل فلسطيني أظهر على أنه نموذج لا يختلف عن المنتحر في نتانيا."

يضيف ضابط آخر: "هنا، أكثر من أي حلبة أخرى في هذه العملية، لقد انتظرونا." ويقول جندي احتياط: "نيران كهذه لم نمر بها، هذا المكان هو جهنم بحد ذاتها.... في البداية لم يكن أي جزء من المخيم قد احتل، أطلقوا علينا من

كل اتجاه نيران شديدة، هذه النيران ليس لها مثيل حتى في أفلام السينما، بدأنا نتقدم لكن خلال دقائق اصطدمنا بعشرات العبوات الناسفة، لقد خططوا لتحويل المكان إلى نيران تتقد على الأرض ونجحوا في ذلك، نحن جنود قدماء، كنا أيضاً في لبنان، لكن لم يكن هناك بالمرة أمور كهذه، لبنان هو لعبة أطفال إزاء ما يحدث هنا في مخيم جنين."

وعلى إثر الكمين وصف مخيم جنين في عدة صحف إسرائيلية بالأوصاف والعناوين التالية: يوم أسود: 15 قتيلاً، هكذا قتل الجنود في أزقة الموت، جرافات نقلت من غزة إلى مخيم جنين، لماذا لم يرسلوا جنوداً في الخدمة الدائمة لمهمة صعبة كهذه، مصادر عسكرية إدارة الجيش الإسرائيلي في جنين تثير أسئلة صعبة، تحول مخيم جنين في الأيام الأخيرة إلى أسطورة فلسطين ورمز للقتال الفلسطيني الصلب تحت شعار "النصر أو الشهادة"، لعنة جنين، جهنم رجال الاحتياط.

وبالإضافة إلى ذلك كله، فإن واحداً من المراجع المهمة التي تندرج ضمن هذا القسم المتناول للمعركة في الإعلام الإسرائيلي، إصدار يحتوي على مجموعة من الأوراق لمؤتمر إسرائيلي بعنوان معركة جنين كحالة دراسة في استراتيجية إسرائيل في الاتصال والإعلام (The Battle of Jenin A Case Study in Israel's Communications Strategy[17]). عقد المؤتمر من قبل مركز يافا لدراسات الاستراتيجية (Jaffee Center for Strategic Studies).

يعتبر المؤتمر محاولة تقيمية لإخفاق إسرائيل الإعلامي في معركة جنين، ورصد أسباب هذا الإخفاق، ومحاولة لتصحيح الخطأ أو الأثر الكبير الناجم عن هذا الإخفاق، ويكرس ذلك من خلال الإصدار الذي يحوي أهم ما جاء في المؤتمر. ويذكر أن الإصدار جاء باللغة الإنجليزية، ولعل ذلك يعني أن "إسرائيل" توجه هذا الإصدار إلى جمهورها الغربي، الذي تأثر بالإخفاق الإسرائيلي الإعلامي في المعركة. ويتناول الإصدار الحديث بشكل موجز عن أهم ما خلصت به جلسات المؤتمر الأربع، والتي كانت عناوينها كالتالي: جنين: ما الذي حصل حقاً؟؛ جنين في الإعلام الغربي؛ تقييم استراتيجي؛ الدروس المستفادة من جنين.

"ما الذي حصل حقاً في جنين": تناولت هذه الجلسة عرض عمليات قوات "الدفاع" الإسرائيلية في عملية "السور الواقي" داخل جنين، من وجهة نظر قوات "الدفاع" أنفسهم، في محاولة للتأسيس رواية "حقيقة" عما حدث.

الورقة الأولى من الجلسة، كانت بعنوان: "جنين: الاعتبارات العسكرية" قدمها أدير هاروفي-الناطق الرسمي لوحدة قوات "الدفاع" الإسرائيلية. بداية يقول هاروفي إن عملية "السور الواقي" جاءت رداً على "الإرهاب" الفلسطيني الذي بلغ ذروته في شهر آذار 2002 حيث وصل عدد القتلى الإسرائيليين في حينها 127 قتيلاً. وبالتالي، جاءت العملية في

[17] Hirsh Goodman and Jonthan Cummings (editors*). The Battle of Jenin A Case Study in Israel's Communication strategy*. Tel Aviv: Jaffee Center for Strategic Studies. 2002.

محاولة للقضاء على البنية التحتية للإرهاب الفلسطيني. كما يقول هارفي إن واحدة من الاعتبارات العسكرية الإسرائيلية كانت تقليل عدد القتلى من المدنيين الفلسطينيين قدر الإمكان، ويقول إنه كان هناك نداءات للأهالي للخروج من المخيم في محاولة للفصل بين المدنيين والمقاتلين الذين تحصنوا داخل المخيم. ويقول أثناء ذلك كانت قوات "الدفاع" تتوقف عن إطلاق النار. ويقول إن عدداً من أهالي المخيم لبوا فعلاً هذه النداءات وخرجوا من المخيم، ولكن البعض بقي. وفي هذا السياق، يقول إنه لم يكن من الواضح فيما إذا كان هؤلاء قد بقوا بناءً على رغبتهم، أم أنهم منعوا من ذلك حتى يكونوا دروعاً بشرية للمقاتلين.

الورقة الثانية، بعنوان: "قوات الدفاع الإسرائيلية والسكان المدنيين": قدمها فؤاد هالهل-منسق النشاطات الحكومية لقوات "الدفاع" الإسرائيلية في مناطق الضفة الغربية. يقول هالهل إن قوات الاحتلال بذلت أقصى ما يمكنها من أجل توفير الخدمات للمدنيين خلال عملية "السور الواقي." كما يؤكد أنه كان هناك اتصال بين قوات الدفاع الإسرائيلية وبين قادة مدنيين في المخيم ومنهم مدير المستشفى، ومحافظ جنين، وأن هذه الاتصالات موثقة بالفيديو. كما يورد هالهل العديد من الأمثلة على المساعدات التي قدمتها قوات الدفاع الإسرائيلية للمدنيين، ومنها:

- كان هناك جهد هائل من قبل القوات حتى تضمن سلامة النظام الصحي خلال عملية السور الواقي، ويقول إن القوات الإسرائيلية عملت مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر، والهلال الأحمر الفلسطيني، ووزير الصحة الفلسطيني، من أجل ضمان حرية الحركة لسيارات الإسعاف، ويقول إنه في اليومين الأولين من المعركة 35 مدني نقلوا للمستشفى من أجل أخذ العلاج المناسب، فيما نقلت 10 جثث للمشرحة.
- يدعي هالهل أن منع قوات الاحتلال لحرية الحركة لسيارات الإسعاف كان بعد ما اكتشفت القوات أن سيارة الإسعاف هذه تقوم بنقل "الإرهابيين" ومعدات لهم.
- يقول، أيضاً، إن شركة كهرباء شرق القدس، عندما سمح الأمر، قامت بإرسال مهندسين من أجل تصليح العطل في شبكة الكهرباء.

الورقة الثالثة بعنوان "حقائق، أوهام، واستراتيجية" قدمها زئيف شيف، المحرر العسكري في جريدة هآرتس. ويقول فيها إنه لنتمكن من التحقيق بشكل صحيح من قضية المجزرة المزعومة، يجب أن ننظر للذي حدث من عدة زوايا. أولاً، إن عدد من تبقى من المدنيين في جنين في المرحلة الأخيرة من عملية السور الواقي هو 2000 مدني من أصل 13000 مدني. وعدد القتلى 56 قتيل. وهناك 1800 مترل في جنين، في حين مجموع ما مدمر من هذه المنازل اعتماداً على تحليل الصور الجوية، هو 7%. ويتحدث في ورقته أن العدد الكبير من التقارير الذي صدر من قبل الإعلام الغربي حول مجزر جنين، كان بسبب فشل الإعلام الإسرائيلي، ولكنه يضيف أن هناك فشل في الإعلام الدولي حيث عدد قليلاً من الذين اكتشفوا بعدم وجود مجزرة بعد وقت، قام بتعديل تقاريره الصادرة.

الورقة الرابعة بعنوان "حقوق الإنسان وجنين" قدمها ليور يافين صحفي في مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في المناطق المحتلة- بيتسيليم. يصف يافين عملية السور الواقي بأنها الأعنف في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. ويقول إنه كان من الصعب الحصول على معلومات صحيحة حول ما حدث في جنين، وذلك بسبب حظر التجوال المفروض، إضافة إلى انقطاع شبكة الكهرباء اللذين وفرا أرضية خصبة حول الشائعات حول المجزرة. ويقول، أيضاً، إن عدد شهود العيان من الفلسطينيين كان قليلاً جداً. وفي ظل هذا العدد القليل، فإنه من الصعب القول بأن قتل الفلسطينيين جاء نتيجة لاستخدام مفرط للقوة من قبل القوات الإسرائيلية. ويشير، في الوقت نفسه، أن العمليات في جنين لم تكن مفصولة عن العمليات في المدن الأخرى، حيث وجد هناك العديد من الأدلة التي تشير النهب، وتدمير الملكيات، والإساءة لحقوق الإنسان من قبل الجيش الإسرائيلي.

هذا، ويرصد يافين مجموعة من الأمثلة على الانتهاكات لحقوق الإنسان في مخيم جنين:

- إن المقاتلين الفلسطينيين شنوا معركتهم في مناطق مزدحمة بالسكان والذي لا يعد انتهاكاً للقانون الدولي وحسب، وإنما مجازفة تعرض المدنيين للخطر، ونتيجة لذلك فإن 20 من مجمل القتلى الـ 55 كانوا من المدنيين المارة؛
- كان هناك تغيير في طبيعة قتال القوات الإسرائيلية بعد مقتل الـ 13 جندياً في الكمين، حيث، وبناءً على شهود عيان، أصبحت القوات الإسرائيلية أقل اكتراثاً في إطلاق نيرانها على أهداف محددة؛
- لم يكن هناك فرصة كافية لكي يتمكن المدنيون من مغادرة المخيم، وهناك أدلة تشير إلى هدم منازل أثناء عجز السكان عن الخروج منها؛
- العديد من عمليات الهدم للمنازل مناقض للقانون الدولي، الذي يسمح بهدم المنازل فقط في حال وجود حتمي للمقاومة. ويقول إنه إذا كان هناك فعلاً نية صادقة لتقليل على القتلى من المدنين قدر الإمكان، فإن تدمير البيوت لم يراع هذه المعايير، هذا بالإضافة إلى أن عدداً من المنازل هدم بعد وقف القتال؛
- سيارات الإسعاف منعت من التنقل في جنين، الأمر الذي أدى إلى موت العديد من المدنيين. ورغم قول القوات الإسرائيلية بأنها سمحت للعديد من المدنيين المصابين بأمراض مزمنة وخاصة الذين يحتاجون إلى علاج يومي، فهناك دلائل تشير إلى موت مرضى أثناء انتظارهم للحصول على تصريح عاجل لتلقي العلاج؛
- وثقت حالات لامرأتين عمرهما 50 و 60 سنة قامت القوات الإسرائيلية بإخراجهما من تحت الأنقاض بعد 10 أيام. وحالات لم تقم بها تلك القوات بإنقاذ العديد من المدنيين الذين دفنوا تحت الأنقاض، على الرغم من وجود اتفاقية تنص على واجب قيامهم بذلك.

وأما الورقة الخامسة والأخيرة من الجلسة الأولى بعنوان "تحليل نقدي من وجهة نظر جنود الاحتياط"، فقدمها إيلون جافيتز، وهو متخصص في استراتيجيات الاتصال. يقول إن الأحداث في جنين والصحافة المعاكسة التي غطت الأحداث، تدلل على وجود قصور لدى القوات الإسرائيلية في تخطيط، وتنظيم، وإدارة المعلومات في العمليات التي تتم في المدن. وهذا القصور، في رأيه، ناتج عن سلسلة من سوء التخطيط والتخبط الاستراتيجي، والذي نتج عنه إدعاءات في كل أنحاء العالم حول حدوث مجزرة. وقد تمثل هذا القصور في ثلاثة أسباب:

1. لم تعط أية تدريبات إعلامية للجنود؛
2. كان هناك وعي ضئيل حول أهمية الإعلام في ساحة المعركة؛
3. مُنع الصحفيون من دخول ساحة المعركة، ما ساهم في زيادة عدد الشائعات، والمعلومات المضللة، ومثل هذه الشائعات كان حول الكمين الذي قتل فيه 13 جندياً، حيث انتشرت شائعات أثرت بشكل كبير على المعنويات الإسرائيلية.

وعليه، يرى إيلون أن الوعي والتخطيط الإعلامي يجب أن يكون جزءاً غير منفصل عن المعركة، بدلاً من العمل على تقديم الحقائق حول حقيقة ما حدث بأثر رجعي.

أما أمنون كابيلوك، في مقالته: "جنين: تحقيق حول جريمة حرب[18]" فيصدرها بجملة "المشهد يفوق الوصف. إنه الرعب متجسداً." ويضيف: "إن آثار الجنين المكشوفة على السماء تشهد على إرادة التدمير هذه." وفي وصف القتال، يقول: "كانت طائرات الهوليكوبتر ترش المخيم من دون رحمة، وهنا قامت بالمهمة فقط "الكوبرا" تلك الطائرات المخيفة الرهيبة التي اشتغلت شغلها في حرب فيتنام." ويروي طيار لطائرة من نوع "كوبرا": "طوال أيام المعركة أطلقت فرقتنا كميات هائلة من الصواريخ داخل مخيم اللاجئين، وقد استنفرت الفرقة بأكملها لهذه العملية، حتى الاحتياط وخلال المعركة كان هناك دائماً فوق جنين طائرتا هليكوبتر مستعدتان لإطلاق الصواريخ على المنزل الذي تحدده لها القيادة على الأرض، وليس بإمكان مقاتلي الجو أن يؤكدوا أن صواريخهم لم تصب مدنيين."

ويقول جندي احتياط، حسب كابليوك: "ليس من الصعب تخيل ما كان يحدث داخل المنازل بعد كل هذا القصف عليها، فبعد مصرع قائد فرقتنا في الدقائق الأولى من المعركة، صدرت إلينا أوامر في منتهى الوضوح: يجب إطلاق النار على كل نافذة ورش كل مبنى بالرصاص سواء صدرت النيران منه أم لا. لقد قيل لنا: "حطموهم"، ومن تلك اللحظة أفرغنا ذخائر جميع الأسلحة التي كانت في حوزتنا ما عدا المدفعية. أطلقنا عشرات الصواريخ داخل المنازل واستخدمنا الرشاشات الثقيلة على كل نافذة. حتى أننا قضينا على جواد كان يمر في الشارع."

[18] أمنون كابيلوك، "جنين: تحقيق حول جريمة حرب،" *صامد الاقتصادي*. عدد 130/129. 2003. 289-295.

وقد سئل: "هل رأيت ضحايا؟" فأجاب: أنا شخصياً، كلا كانوا في منازلهم وفي الأيام الأخيرة من المعركة كان معظم الذين خرجوا من المباني وتعرضوا لنيراننا من العجزة والنساء والأولاد. لم ندع لهم أي فرصة لمغادرة المخيم، وكان العدد كبيراً. وفي إحدى الليالي كنت أقوم بالحراسة (في شقة كنا استقررنا فيها). وظللت طوال الليل أسمع بكاء فتاة صغيرة. كان هناك حالة من انعدام الإنسانية. من المؤكد أننا تعرضنا لنيران غزيرة لكننا في المقابل محونا مخيماً من الوجود." وإضافة إلى هذه التصريحات، فقد طرح الكاتب القضية الغامضة حول نقل الجثث، حيث تم تجميعها من المخيم "وشحنت أولاً إلى غابة صادح شمال المخيم. ومن هناك وضبتها القيادة العسكرية في أكياس بلاستيكية سوداء نقلت في شاحنات مبردة إلى مقبرة حفرها وأعدها الجيش الإسرائيلي بالقرب من جسر داميا في وادي الأردن للناشطين الفلسطينيين."

المعركة في الإعلام الفلسطيني والعربي

ثمة مقال بعنوان "من جنين إلى بغداد الإدارة الإعلامية لحرب المدن[19]" لـــ أحمد سلمان الذي يقول "لقد كانت معركة جنين منعطفاً رئيساً في حروب المدن، حيث أبرزت وبوضوح رفض الرأي العام العالمي، وعدم تقبله لسقوط ضحايا مدنيين في العمليات العسكرية."

ويقول الكاتب إن فشل الإعلام الإسرائيلي في المعركة مقابل نجاح الإعلام الفلسطيني، جعل مراكز الأبحاث الإسرائيلية تبحث من أجل استخلاص دروس ونتائج من إخفاقها الإعلامي في معركة جنين. ويقول إن الولايات المتحدة استفادت من هذه الدروس التي طبقتها في العراق بحذافيرها. كما استفاد الأمريكان من النجاح الفلسطيني في توجيه رسائل إعلامية داخلياً وخارجياً أثناء معركة جنين، الأمر الذي دفع بهم إلى عمل مؤتمرين صحفيين أحدهم في قاعدة السيلية، وقد جاء هذا المؤتمر بأوقات تتناسب مع توقيت الشرق الأوسط، إضافة إلى تقديمه من قبل رجل له ملامح قريبة من ملامح المنطقة.

المؤتمر الإسرائيلي، سابق الذكر، يتناول أيضاً الصحافة العربية في ورقة ثالثة من الجلسة الثانية بعنوان "أصداء عن جنين في العالم العربي" قدمها إيهود يعاري محرر الشؤون العربية، قناة إسرائيل 2 الإخبارية. يقول يعاري إن هناك ميلاً لدى الصحافة العربية نحو التذبذب في وصف المعركة، ومبالغة وعدم دقة في المعلومات. ويقول، أيضاً، إنه كان هناك تغطية واسعة لما حدث في جنين على الشبكات العربية. فحوى هذه التغطية تأرجح بين نداءات التعطش للدم انتقاماً وبين فجاعات السقوط. ويقول إن قادة من الميليشيات وصفت العدد الهائل من العبوات الناسفة التي وضعت في أنابيب الماء.

[19] أحمد السمان. "من جنين إلى بغداد.. الإدارة الإعلامية لحرب المدن،" *القدس*. عدد 55. 2003. 50.

الصورة لم تكن مأساة المسادا الفلسطينية بل كانت نصر كربلاء فلسطين، معركة البطولة والمجد. ويقول على الرغم من أن المقاتلين الفلسطينيين أنفسهم تحدثوا معركة جنين ككربلاء الفلسطينية، نتائج المعركة صورت على أنها مجزرة.

وفي هذا السياق، يأتي كتاب *جنين مجزرة ضد الإنسانية*،[20] الصادر عن مركز زايد للتنسيق والمتابعة. بداية يدرج الكتاب مجموعة من الصور للأحداث في مخيم جنين، كان المركز قد أقامها على شكل معرض. ومن ثم ينتقل الكتاب لعرض أصداء المعركة على المستوى الدولي من خلال تصريحات لشخصيات عالمية، ندرج في هذا القسم التصريحات على المستوى الفلسطيني والعربي، وفي القسم التالي التصريحات على المستوى الدولي: "نائب سفير فلسطين في الإمارات: ما يجري على أرض فلسطين هو حرب على الأمتين العربية والإسلامية بهدف تمزيقها وإضعافها"؛ "وزير خارجية فلسطين: من حق الشعب الفلسطيني المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي حسب قوانين الأمم المتحدة." ويذكر أن الوزير فاروق القدومي لم يقم على ذكر مجزرة جنين في تصريحه هذا؛ "الأمين العام لمجلس التعاون: الشعب الفلسطيني سطر مقاومة رائعة في جنين"؛ هشام الرفاعي وهو خبير ومستشار عربي في منظمة الأمم المتحدة يصف قرار مجلس الأمن 1397 بأنه "عبارة عن تطلعات وأمنيات."

المعركة في الإعلام الدولي

عودة إلى إصدار مركز يافا الإسرائيلي، فقد جاءت الجلسة الثانية من المؤتمر بعنوان "جنين في الإعلام الدولي" تتناول هذه الجلسة التغطية الإعلامية الدولية لمعركة جنين.

أما الورقة الأولى بعنوان "تغطية الـــ بي.بي.سي. لعملية السور الواقي في جنين" فقد قدمها جيمس رينولد، مراسل شبكة الـــ بي.بي.سي. في الشرق الأوسط. ويقول إن تركيز الـــ بي.بي.سي. انتقل من بيت لحم إلى جنين أثناء سماع التقارير التي تتحدث عن شدة القتال هناك. ويقول إن تقارير الـــ بي.بي.سي. عكست إدعاءات كلا الطرفين. ويقتبس من تقرير أحد المراسلين في الإذاعة ما يدلل على صعوبة الحصول على المعلومات: "... رئيس الوزراء وصف الجنين بـــ عش الدبابير. الآن بالكاميرا والتقارير، جنين تتلقى القصف، من الدخان يمكن أن تعرف أن القتال تركز في أحد أحياء المخيم الذي يشكل مرقداً للميليشيات الإسلامية. للإسرائيليين إنه انتقام للعمليات الانتحارية، ولكن الثمن غالٍ. مصابوهم (يقصد الإسرائيليين) ينقلون جواً إلى المستشفيات. على الأقل عشرة جنود قتلوا. الوضع سيء، لكن الفلسطينيين في المدينة يقولون :إن خسائرهم تعد بالدزينات... طائرات الهليكوبتر الإسرائيلية تطلق موجات وموجات من القصف فوق جنين. كلا الطرفين يتحدثان عن أنه أعنف قتال منذ شن أرئيل شارون هجومه."

[20] مركز زايد للتنسيق والمتابعة. *جنين مجزرة ضد الإنسانية*، الإمارت: مركز زايد للتنسيق والمتابعة. 2002.

"من المستحيل أن نتمكن من دخول المدينة لنرى ماذا يحدث حقاً. لكن العديد من الفلسطينيين يتحدثون عن حمام دم. مراسلونا يحاولون الدخول إلى جنين حتى نتوصل لنتائج صادقة.... ولكن الوصول إلى المصابين أُثبت أنه مستحيل." ويقول جيمس رينولد : إن البي.بي.سي. حاولت عدم الوقوع في الحديث عن أسطورة وجود مجزرة، وأن البي.بي.سي. كانت متوازنة على الرغم من أن عدد المقابلات مع الفلسطينيين فاقت بكثير عدد المقابلات مع الإسرائيليين.

الورقة الثانية بعنوان :"تغطية تلفزيون فرنسا-2 لمعركة جنين" قدمها تشارلز اندرلين رئيس مكتب تلفزيون فرنسا-2. بدأت التغطية الإعلامية عن جنين في الأصل قبل أسبوعين من حدوث المعركة. من خلال تقرير بث على قناة إسرائيل 2 أثار هذا التقرير جدالاً واسعاً. حيث بث لقطات لجندي في رام الله يقول: "لا أعرف ماذا يفعل شاب يهودي لطيف مثلي هنا بعيداً عن البيت."

كما يقول مع اقتراب موعد عملية السور الواقي، حاول المراسلون من مختلف الفضائيات والإذاعات الاقتراب قدر الإمكان من موقع الحدث. ولكن قوات الاحتلال أعلنت عن المخيم منطقة عسكرية معزولة. ولكن، في النهاية، تمكن المراسلون من الدخول لبعض النقاط في تلك المنطقة العسكرية المعزولة، ورأوا المدنيين تحت الحصار. يقول وهكذا فإن المراسلين رأوا جانباً واحد من القصة، رأوا فقط، معاناة الفلسطينيين أمام المدفيعات، ومضادات الطائرات، وخوذات الجنود. فريق القناة الفرنسية الثانية حرر لقطات مباشرة وأرسلها إلى الفضائيات الفرنسية عبر الأقمار الصناعية. ولأنه لم يكن هناك إلا عدد قليل من الصحافيين، قامت المحطات الإسرائيلية المحلية بطلب هذه اللقطات من الفريق الفرنسي. قامت هذه المحطات بحذف أكثر الصور سلبية لأفعال القوات الإسرائيلية. الأمر الذي دفع فضائية فرنسا-2 بالتوقف عن بث اللقطات من جنين. ويضيف أن احترافية الفريق الفرنسي منعته من الوقوع بالفخ واستخدام كلمة مجزرة.

وقد ورد في كتاب "جنين مجزرة ضد الإنسانية "بعض الآراء لشخصيات أو كيانات دولية حول المعركة وقد تفاوتت هذه الآراء بين مؤيد لوصف ما جرى بالمجزرة وبين معارض وبين محايد. وفي ما يلي بعض هذه الآراء. يقول جيرالد كوفمن، عضو البرلمان البريطاني المحافظ ورئيس اللجنة المنتخبة لمجلس العموم للثقافة والإعلام: "الحل الممكن والوحيد للصراع العربي- الإسرائيلي هو إنشاء دولة فلسطينية" كما عبر كوفمن عن رفضه للسياسة الإسرائيلية القائمة على الاضطهاد والقهر. كما أكد أنه لا يمكن إنكار أن شيئاً رهيباً قد حدث في جنين. واستنكر الصمت الدولي حيال ما حدث. ويرد حارث سيلاجيتش، رئيس وزراء البوسنة والهرسك الأسبق، على المزاعم الإسرائيلية التي تبرر المجزرة وما حدث في جنين أنه محاولة للقضاء على الإرهاب أن "المقاومة ليست إرهاباً وإنما حركة تحرر"

بول فندلي، السناتور الأمريكي السابق، يقول:إن "الرئيس جورج دبليو بوش يضعف أمام تأثير اللوبي المساند لإسرائيل... وإن الفلسطينيين بالطبع هم ضحايا الهمجية الإسرائيلية والاستعباد والوحشية المجردة من الإنسانية." أما

سيرل تاونسند، الذي يمكن وصف موقفه بالدبلوماسية المائلة للحياد، فيكتفي بالإعراب عن قلقه بشأن الأعمال العسكرية الأخيرة في جنين. وأما كارتر الذي يعترف بقيام إسرائيل "بتدمير مخيم جنين وسائر المدن الفلسطينية في الضفة الغربية،" فيربط الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي الفلسطينية "مقابل القبول الكامل بإسرائيل وحقها في العيش في سلام".

1.8.4 المحور الرابع: التركيبة القيادية والسياسية والعسكرية لمخيم جنين

كما ورد في كتاب المخيم وجنين ملحمة الصمود والبطولة، فقد شكلت حركة فتح وحماس والجهاد الإسلامي السمة الحركية البارزة لدى سكان المخيم. وفي كتاب مخيم جنين *رمز المشهد الفلسطيني* لكامل جبر، يتحدث الكاتب عن بروز أطر وأجسام عسكرية جديدة في انتفاضة الأقصى. وقد برزت في منطقة جنين تحديداً في المخيم مظاهر مسلحة مختلفة، حيث أعلن عن تشكيل كتائب شهداء الأقصى. كما ظهرت العديد من الأجسام العسكرية السرية ومنها كتائب القسام وسرايا القدس للعلن. ويتحدث الكتاب بشيء من التفصيل عن هذه التشكيلات العسكرية، ومنها: كتائب شهداء الأقصى، فقد "تشكلت كتائب شهداء الأقصى في ظل ارتفاع مستوى عمليات القتل والتصفية والتخريب التي كانت تمارسه قوات الاحتلال ضد أبناء شعبنا والمقاومين منه، وكان ذلك في شهر شباط 2001. وقد أعلن عن بروزها إلى الوجود إبان تشييع عدد من الشهداء في مقبرة الشهداء في وادي برقين، بمبادرة محلية قام بها بعض الشبان الذين ينتمون بالطبع لحركة فتح ولجان الشبيبة، وعلى خلفية إدراكهم لضرورة كسر قواعد اللعبة القيمة التي كانت دارجة إبان الانتفاضة الأولى."[21]

وفي حين يؤكد كامل جبر في هذا الكتاب عن امتداد كتائب شهداء الأقصى إلى حركة فتح، يشير جمال حويل في شهادته في كتاب *يوميات المقاومة في مخيم جنين* أن "كتائب شهداء الأقصى ليست بالضبط تنظيم فتح كونه هناك جسم التنظيم الرسمي في مخيم جنين وأمين سره الأخ عطا أبو رميلة [...] أما بخصوص الكتائب، فأريد أن أوضح قضية مهمة –كنبذة عن الكتائب وتشكيلها في كافة الضفة الغربية [...] أن الكتائب لم تكن لها قيادة مركزية كخيار ونهج اتبعناه منذ بداية الأحداث، واعتبرنا لكل محافظة خصوصية في طريقة عملها."[22]

سرايا القدس: الذراع العسكري للجهاد الإسلامي "كان نشاطها العسكري في منطقة جنين بارزاً جداً، وغدا مخيم جنين قاعدتها الرئيسية بعد تجمع قياداتها وتحصنهم داخل المخيم على إثر عمليات التصفية والملاحقة التي نفذتها قوات الاحتلال ضد كادر الجهاد الإسلامي وعناصره الناشطة في طمون وطوباس وعرابة وغيرها، وقد كان لقائدها الميداني البارز محمود

[21] كامل جبر. مخيم جنين *رمز المشهد الفلسطيني*. جنين: إصدارات بلدية جنين. د.ت. ص21.

[22] وليد دقة، مرجع سابق، ص70.

طوالبة ذو المقدرة العالية والكاريزما النادرة في استقطاب الشباب صغار السن وإقناعهم للانخراط في النشاطات الكفاحية للجهاد الإسلامي. واشتهرت الجهاد الإسلامي المتمركزة في الأساس في مخيم جنين بقدرتها الفائقة على إرسال الاستشهاديين لتنفيذ عمليات داخل الخط الأخضر وفي صناعة المتفجرات والحصول على السلاح."[23] كتائب عز الدين القسام: "تتمتع بوجود عسكري معتبر داخل المخيم وقد تشاطرت مع الجهاد وكتائب شهداء الأقصى في تنفيذ عمليات استشهادية داخل الخط الأخضر."[24] ويذكر أن هذه الأجنحة العسكرية كانت ترتبط بعلاقات تعاونية وتنسيقية في كافة مجالات العمل العسكري، مثل تنفيذ العمليات العسكرية المشتركة، وصناعة المتفجرات، التزود بالذخيرة، والتصدي للاجتياحات والمواجهات مع الجيش الإسرائيلي.

1.8.5. المحور الخامس: تقييم المعركة، الدروس والعبر المستفادة

يمكن القول إن جميع المراجع التي تناولت معركة جنين يمكن أن تندرج تحت هذا المحور، على الرغم من أن غالبيتها لم تحصر نفسها في عملية التقييم، واستنتاج العبر والدروس المستفادة، إلا إن أياً من هذه المراجع لم يخل من استخدام الألفاظ التقييمية، وإدراج بعض الدروس المستفادة.

وبعودة إلى المؤتمر الإسرائيلي الذي أعده مركز"جافي" الإسرائيلي، فقد كانت الجلسة الثالثة من المؤتمر عبارة عن جلسة تقييمية، بعنوان "تقييم استراتيجي"، والجلسة عبارة عن تقييم لحجم الدمار الذي لحق بإسرائيل نتيجة الإخفاق الإعلامي الحاصل في معركة جنين، على عدة مستويات، سياسية، واقتصادية، ودبلوماسية.

أما الورقة الأولى بعنوان :"تقييم الدمار، نظرة عامة"، وقدمها الدكتور أبراهام كام، نائب رئيس مركز جافي للدراسات الاستراتيجية، فتؤكد أن هناك ثلاثة قطاعات تأثرت سلبياً جراء الإخفاق الإعلامي الحاصل في معركة جنين، والتي من شأنها التأثير سلبياً على إسرائيل:

1. التأثير الأول يكمن في العقلية الفلسطينية، التي تتعامل الآن مع جنين على أنها مذبحة، وفي هذا الصدد يشير إلى الذاكرة الجماعية للفلسطينيين حول أحداث "أيلول الأسود" في عام 1970، حيث أن عدد الذين ذبحوا في أيلول الأسود حسب الذاكرة الجماعية هو 10000، في حين أن العدد الحقيقي يقترب إلى 1000. وهذا الأمر مشابه للوضع في جنين حول أعداد من تعرضوا للمذبحة أو مجزرة؛

[23] كمال جبر، مرجع سابق، ص 22-23.

[24] كمال جبر، مرجع سابق، ص23.

2. يقول الكاتب إنه على الرغم أن الإشاعات حول المجزرة افتقرت بشكل كبير للأساس في أوروبا، إلا أن هذا مهد الطريق لادعاءات الفلسطينيين حول المجزرة، الأمر الذي يجعل "الإرهاب" الفلسطيني مبرراً. وإن هذا ساهم في رفع التوجهات اللاسامية في أوروبا؛
3. عملية السور الواقي، تحدياً في جنين، بينت محدودية قدرة القوات الإسرائيلية على تقليص مستوى "الإرهاب" الفلسطيني. كما يقول إن هناك عدة عوامل ساعدت في الحد من تخريب صورة إسرائيل. والعامل المركزي هو عد نجاح المحاولات الفلسطينية في الترويج لأسطورة المجزرة، الذي تم دعمه من خلال قرار سكرتير الجمعية العامة، بعدم إرسال لجنة لتقصي الحقائق.

الورقة الثانية تناولت التأثير على الاقتصاد الإسرائيلي الناتج عن التغطية الإعلامية السلبية. قدمها دان بوبير، رئيس شركة "أوسم". يقول: على الرغم من صعوبة عمل قياسات كمية لحجم الدمار الاقتصادي الناشئ عن التغطية الإعلامية السلبية، إلا إن هذا الدمار سيدوم طويلاً. ويؤكد، إن مستوى الثقة في الاقتصاد الإسرائيلي انخفضت نتيجة للتغطية الإعلامية. فعلى المستوى الدولي، تأثرت صورة إسرائيل نتيجة لـــ الرسائل السياسة غير الواضحة ونقص القيادات الوطنية في القطاع الاقتصادي في إسرائيل، وقد خلق هذا قلقاً في أوروبا حول الاستثمار في إسرائيل في ظل عدم الثبات الذي يعاني منه الاقتصاد الإسرائيلي نتيجة لعدم الثبات السياسي. غير أن الشركات الإسرائيلية أوجدت عدداً من الحلول، مثل تقديم عروض مغرية لجمهورها الأوروبي، ولكن تخطي هذا الخراب على المستوى الاقتصادي سيأخذ وقتاً، لكن يمكن أن يتقلص من خلال علاقات الصداقة بين إسرائيل وأوروبا.

الورقة الثالثة بعنوان "جنين: التكلفة الدبلوماسية" وقدمها جدعون مائير وتراوحت في تحليلها بين البحث على الأسباب الحقيقية لشن الهجوم على جنين (كجزء من عملية "السور الواقي" أو كجزء من الرد على "سفينة كاربي")، وتبعات كل من السببين في شن الهجوم على المستوى الدبلوماسي. وقد أمعنت الورقة في شرح أهمية التدقيق في تفاصيل صياغة الخطاب الإسرائيلي لإقناع الرأي العام بالضرورات الأمنية والعسكرية "للعملية،" وكيف أن وجود البنى العسكرية الفلسطينية في محيط مدني، هو مخيم جنين للاجئين الفلسطينيين، وكثرة ما سقط من ضحايا وما تسببت به العلمية من خسائر أثر على صورة إسرائيل المهتزة أصلاً في عين العالم.

الفصل الثاني:

مـــخيم جـــنين

(في سياقه الفلسطيني)

2.1 مخيم جنين في سياقه التاريخي

2.2 مخيم جنين في سياقه الاجتماعي

2.3 مخيم جنين في سياقه العسكري

2.4 مخيم جنين في سياقه السياسي

"... لم يعد على ياسر عرفات الفلسطيني (الانتماء)، الإغريقي الدلالة، أن يقود سفينة فقط، فتلك مهارة لا تحتاج إلى سحر كفاءته، وتلك إدارة حسابات لا تجدي نفعاً، في التعامل مع قاع الأسرار وصراع الآلهة من حوله وعليه. فعليه أن يقود الموج ، أن يقود الموج بحفنة من الرجال الذين كلفتهم الأقدار بزراعة أجنة الزلازل في حقول التوازن الثقيل. عليه أن يكون وحيداً أكثر مما هو الآن وحيد. عليه أن يكون محاصراً أكثر مما هو الآن محاصر. وعليه أن يقود نبض الموج، أن يرد على أسئلة البحر، أن يعطي للتراجيديا الإغريقية-الفلسطينية خاتمة تختلف. قد نحبه، وقد لا نحبه. ولكننا نحبه ونريده لأنه رجل على مقاس قلوبنا التي تعج بتناقض عواطفها. قلوبنا التي لا تساس، لأننا لم نحكم مرة واحدة في تاريخنا. كنا نحتل وكنا نذبح وكنا نُطرد. ولكننا لم نحكم مرة واحدة في تاريخنا. وقد اخترنا حاكمنا: ياسر عرفات لأن بعضنا يحبه، ولأن أكثرنا لا يحب أعداءه. نحن الذين لا تساس عاطفتنا من فرط ما يتجاذبها البحر والصحراء، الدولة والحلم، البيت والحقيبة، السلم والحرب، الواقع والأسطورة. . وقد اخترنا بحرية كاملة أن يكون حاكمنا ياسر عرفات. ليكن هو نخلة الفكرة وخليتها التي تبدع مكاناً على أي زهرة ممكنة لأنه هو الممكن الوحيد لتفاوض مع المستحيل. لأنه هو المكان أينما كان. عليه أن يحيا لندرك ما البحر، عليه أن يحيا لنبلغ البر."

محمود درويش

الفصل الثاني: مخيم جنين في سياقه الفلسطيني

يغطي هذا الفصل مسحاً شاملاً لواقع مخيم جنين في سياقه الفلسطيني ضمن أربعة سياقات عامة: أولها، مخيم جنين في سياقه التاريخي، ويقدم خلفية تاريخية بانورامية عن مدينة جنين من العصر الكنعاني وحتى اللحظة، وموقع مدينة جنين، ومخيمها، نشأةً ومكانةً، في التاريخ الحديث والمعاصر، من حيث ريادتها في خوض معارك التحرر الفلسطينية منذ السنوات التأسيسية للهوية الفلسطينية مطلع القرن العشرين وحتى معركة مخيم جنين في العام 2002. فيما يتناول محور مخيم جنين في سياقه الاجتماعي، البنية الاجتماعية لأهالي المخيم، من حيث البلدان الأصلية للجوء، ومستويات المعيشة، ومرافق الحياة الاجتماعية الثقافية والتعليمية، والجهات الراعية لها. وأما المحور الثالث، فيختص بإلقاء الضوء على مخيم جنين في سياقه العسكري، حيث يتتبع نشأة أنوية المجموعات العسكرية المسلحة في جنين ومخيمها مركِّزاً على خلايا الفهد الأسود (الذراع العسكري لحركة فتح)، والنسر الأحمر (الذراع العسكري للجبهة الشعبية)، وكتائب الشهيد عز الدين القسام (الذراع العسكري لحركة حماس)، كما يلقي الضوء على بعض العمليات العسكرية التاريخية المؤسسة لأبناء جنين، وما كان لها من دور في تكريس ثقافة المقاومة في المخيم. وأما المحور الرابع، والأخير، فيركز على مخيم جنين في سياقه السياسي عبر سرد موجز للصراع العربي الإسرائيلي، وبدء "عملية السلام وانهيارها"، وبخاصة بعد تأسيس السلطة الفلسطينية وتعثر تطبيق بنود اتفاقية أوسلو بفعل المماطلة الإسرائيلية. ويتضمن ذلك سرداً للملامح التفصيلية لمرحلة المفاوضات الثانية، وعودة حزب العمل إلى الحكم، وفشل قمة كامب ديفيد وما بعدها، مع توضح للموقفين الفلسطيني والإسرائيلي في قمة كامب ديفيد التي انتهت بانسداد الأفق السياسي، واندلاع انتفاضة الأقصى، وشن إسرائيل لعملية "السور الواقي" التي كان خوض معركة جنين من أهم معالم الرد عليها.

2.1 مخيم جنين في سياقه التاريخي

تعتبر مدينة جنين مركز محافظة جنين، وتقع على رأس مثلث مرج بن عامر الجنوبي. وتمتلك المدينة أهمية تاريخية بسبب موقعها المتوسط لمدن فلسطين التاريخية: فهي تقع على بعد 50كم عن مدينة حيفا، و25كم عن مدينة الناصرة، و43كم عن مدينة نابلس. وقد وضع هذا جنين في موقع استراتيجي، وجعلها عصب مواصلات حيوي على مر الحقب التاريخية التي تعاقبت على فلسطين، ما دفع البريطانيين، مثلاً، على تعبيد طرق المدينة، فيما سبق ذلك مرور خط سكة حديد الحجاز في العهد العثماني.[25]

وفي نظرة تاريخية إلى هذه المدينة ذات الموقع الاستراتيجي والموارد الطبيعية المميزة، نجد أن اسم المدينة ورد في مخطوطات ومكتشفات مصرية وآشورية وبابلية، ذلك إلى جانب ورود اسمها في التوراة كـــ"عين جانيم،" وهو الاسم السابق الذي

[25] حرب حنيطي. قصة مدينة جنين. الإسكندرية: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. (د.ت)، ص 14.

عرف عنها دلالة على كثرة جنائنها وبساتينها. وقد أنشئت عند مدخل المدينة الجنوبي مدينة "بلعمة" التي لا تزال بعض شواهدها الأثرية واضحة حتى الآن. وبتعاقب الحضارات في أرض فلسطين، كانت مدينة جنين "عين جانيم" في العهد الكنعاني، و"جيناي" في العهد الروماني، فيما غير اسمها الرومان إلى "جينين" بحقبة شهدت مرور السيد المسيح منها في طريقه من القدس إلى الناصرة، فيما أصبح اسم المدينة بعد الفتح الإسلامي"جنين."

وفي العام 1103، وقعت المدينة تحت وطأة الاحتلال الصليبي، وغير اسمها إلى "جراند جرين" واتبعت لمملكة القدس. وفي العام 1187، وبعد معركة حطين، حل صلاح الدين الأيوبي على المدينة ونزل بها، ولكنها عادت للصليبين عن طريق الصلح الذي وقعه الملك الكامل الأيوبي في العام 1229، قبل أن يعود الملك الصالح ويحررها بصورة تامة في العام 1244. أما العهد المملوكي فقد كانت له خصوصية في مدينة جنين ومحيطها، فقد كانت جنين، وزرعين أكبر البلدات المحيطة بها، من إقطاعيات الأمير المملوكي الظاهر بيبرس الذي ولى الأمير بدر الدين درباس ولاية جنين ومرج بن عامر. وقد قاد الأخير حركة إعمار في جنين شملت "الخان" على وجه الخصوص والذي ضم عدداً من الحوانيت وحماماً. وفي هذا العهد تميزت جنين بالانفتاح التجاري وكثرة الوافدين إليها لموقعها الاستراتيجي والتجاري الخاص.[26]

كما ضمت المدينة، أيضاً، برجاً للحمام الزاجل، فصارت جنين إحدى محطات النقل البريدي بين مصر والشام. هذا، إلى جانب وجود محطة مركزية للهجن تحمل الثلج من دمشق إلى مصر صيفاً. وقد شهد العام 1566، نهضة عمرانية أخرى قادتها فاطمة خاتون وهي زوجة والي دمشق والتي بنت جامعاً شمل في محيطه حماماً وتكية وسوقاً.[27]

المعارك والمقاومة في جنين في التاريخ المعاصر

لقد اتسمت مدينة جنين بحكم موقعها الاستراتيجي بعدم الاستقرار وكثرة المعارك والمواجهات بين العديد من الأطراف على أرضها، ففي العام 1799 حاول العثمانيون إحداث ضغط خلفي على قوات نابليون التي تعسكر في مرج بن عامر بقيادة كليبر، حيث ساندهم أهالي جنين وبعض أهالي نابلس الذين هبوا لمساندة العثمانيين. وكاد الفرنسيون أن ينهزموا في هذه المواجهة لولا توافد مساندة بقيادة نابليون أدت لانتصار الفرنسيين وقطع خط الإمداد على العثمانيين. ومع انتصار الفرنسيين، قام جنود نابليون بقيادة فال نائب كليبر بضرب جنين بالمدفعية وحرقها ونهبها انتقاماً من أهلها الذين واجهوا جنوده.[28]

---

[26] نبيل الآغا. *مدائن فلسطين*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.1993، ص 332.

[27] حنيطي. مصدر سابق. ص 31-32.

[28] مصطفى الدباغ. *بلادنا فلسطين—الجزء الثالث*. 1988. ص46.

وبعد الحملة الفرنسية، قاد إبراهيم باشا حملة مصرية على فلسطين، وولى حسين عبد الهادي على جنين، حيث بدأ يتعاظم نفوذ هذه العائلة في مركز قضاء جنين، فيما ظهر في جنوب شرق جنين آل جرار كقطب آخر في النفوذ على المنطقة مع أفضلية مالت لصالح آل عبد الهادي في نهاية المطاف، حيث تواجهوا مع الدولة العثمانية التي أرسلت حملة خربت معقلهم في بلدة عرابة، وقامت الأستانة بإعادة ترتيب الشؤون الإدارية في جنين بموظفيها المباشرين.[29]

وبحكم موقع جنين وجغرافيتها السهلية المنبسطة، ووجود بنية مواصلات تحتية مناسبة، أقامت قوات عثمانية في جنين إبان الحرب العالمية الأولى، وأقيم مطار ألماني غرب المدينة، فيما انسحبت القوات العثمانية أمام القوات البريطانية من المدينة دون أي مواجهة، حيث دخل الإنجليز المدينة بقيادة الجنرال ماك لرين في أيلول من العام 1918. استطاعت القوات البريطانية الاستيلاء على الكثير من المعدات العسكرية التي خلفها العثمانيون والذين أوى العديد منهم لمدينة جنين أثناء فرار قواتهم. وقد تنبه الإنجليز لطبيعة منطقة جنين وموقعها المثالي للإعداد والتواجد العسكري، ما دفع الجنرال الإنجليزي إدموند هنري اللنبي إلى تعيين القائمقام حنا بولس أول قائمقام عربي لجنين.

أما موقع مخيم جنين، الذي أقيم بعد نكبة العام 1948، فهناك العديد من المواقع ذات الأهمية الاستراتيجية في محيطه لعبت دوراً تاريخياً في معارك الدفاع عن المدينة والمخيم: كالجابريات التي تعد المرتفع المشرف على المخيم والكاشف لكل معالم مخيم جنين؛ وحرش السعادة المحاذي لواد برقين والذي شغلته قوات الاحتلال الإسرائيلي كنقطة عسكرية استراتيجية ومشرفة؛ فيما تعد بعض مناطق جبل أبو ضهير ذات إطلالة وإشراف على العديد من مناطق المخيم.

هذا، وقد كان لأهالي جنين دوراً في رفع المطالب بالاستقلال والترابط وحدوياً مع بلاد الشام من خلال مؤتمر الجمعيات الإسلامية والمسيحية بالقدس حيث كان حيدر عبد الهادي ممثلاً عن جنين في المؤتمر، فيما زارت لجنة كنغ كراين مدينة جنين ضمن جولتهما في فلسطين، وتسلمت مطالب المدينة عن طريق عريضة موقعة من سبعين شخصية قدمها رئيس البلدية عارف الحافي.[30]

وحين بدأت الأجواء في فلسطين بالتوتر نتيجة لانحياز الإنجليز إلى الحركة الصهيونية، بدأت جنين بحركة مقاومة مبكرة للاحتلال الإنجليزي، فقام عبد الغني أبو طبيخ سباعنة في العام 1929 بمحاولة اغتيال نورمان بنتويش، السكرتير الثاني للمندوب السامي، وأصابه برصاصة في الفخذ، وقبض على سباعنة وحكم عليه بالسجن لمدة 13 عاماً. أما الحادثة المفصيلة خلال الحكم البريطاني التي شهدتها جنين، فقد كانت اغتيال الحاكم البريطاني موفيت في مكتبه بمقر الحكومة في العام 1938 عن طريق علي أبو عين، وهو من آل أبو الرب من قرية قباطية، إذ نجح في تنفيذ عملية الاغتيال والفرار

[29] الآغا. مصدر سابق. ص333.

[30] مخلص السعيد. *جنين ماض وحاضر*. جنين: (منشورات المؤلف). 2009. ص 12-14.

دون أن يتم إلقاء القبض عليه في حينها، وقد نتج عن هذه العملية سلسلة من العمليات الانتقامية طالت المدينة. وجاءت بعض التقديرات على أن مئة وخمسين منزلاً قد هدمت أو ألحق بها ضرر كبير.[31]

ولذا، فقد كانت جنين أحد المراكز الهامة في حركة المقاومة ضد البريطانيين والحركة الصهيونية، حيث احتضنت العديد من الأحداث والمعارك وخرجت كثيراً من المناضلين الكبار، وقد كان من أشهر الشخصيات المناضلة الشيخ فرحان السعدي من قرية المزار، وهو من رجال عز الدين القسام الذي بدأ نضاله إبان ثورة البراق في العام 1929، وحكم بالسجن لعامين إذ قاد إحدى خلايا القسام، وخاض مواجهة مع دورية إنجليزية قتل على إثرها ضابط صهيوني. وفي العام 1936، قتل فرحان السعدي جنديين صهيونيين، خاصة وأنه كان يمتاز بمهارة كبيرة كقناص. وأخيرا، اعتقل الشيخ السعدي وأعدم في سجن عكا في العام التالي وهو صائم.[32]

كما عُرف من جنين، أو من شاركوا في العمل الوطني فيها، عدد من المناضلين الذين تركوا بصماتهم على تلك الحقبة على مستوى العمل الوطني، ومنهم: الشهيد محمد صالح أبو غانم الذي استشهد في دير غسانة في العام 1938؛ والشيخ عطية أحمد المصري من الياجور والذي كان من أبرز رجالات معركة اليامون في العام 1938[33]؛ والشاعر الشعبي نوح إبراهيم، ابن مدينة حيفا، وتلميذ القسام، صاحب مقولة "دبرها يا مستر دل –بلكن على إيدك بتحل" والذي استشهد في العام 1938؛ ويوسف أبو درة الذي أعدم في العام 1939؛ وعبد الفتاح الحاج مصطفى الذي أسقط طائرة إنجليزية في معركة بيت فوريك الشهيرة وسقط فيها شهيداً في العام 1939؛ وغيرهم من الشخصيات الوطنية.

ومن أشهر معارك المقاومة التي شهدتها جنين تاريخياً، معركة أحراش يعبد التي قادها الشيخ عز الدين القسام في مواجهة الاحتلال الإنجليزي. فقد تمركز الشيخ القسام في منطقة جنين في الفترة التي سبقت المعركة حيث جال في العديد من القرى كالسيلة الحارثية واليامون وزرعين ونورس، وغيرها، من قرى جنين، وقرر تجميع عدد من المناضلين وتدريبهم بغرض بناء نواة مقاومة عسكرية. ولكن أمره انكشف بعد أن ارتكب أحد المجاهدين خطأ بإطلاق النار على إحدى الدوريات البريطانية وقتل ضابطاً صهيونياً في منطقة جبلية قريبة من أحراش يعبد. وعلى أثر ذلك، جمع البريطانيون مئة وخمسين عسكرياً لمحاصرة القسام في أحراش يعبد في العام 1935، وتمت عملية المحاصرة حين استخدمت القوات الإنجليزية العناصر العربية في الخطوط الأمامية، ورفض القسام ورجاله الاستسلام مطلقاً حين أطلق مقولته الشهيرة: "هذا

[31] الدباغ. مصدر سابق. ص 48.

[32] السعيد. مصدر سابق. ص 24.

[33] أمين المبيض. جنين غراد-الاجتياح الإسرائيلي ومجزرة المخيم. د.م: د.ن. 2003. ص10.

جهاد نصر أو استشهاد." وسقط القسام في هذه المعركة شهيداً هو وأربعة من رجاله، وجرح اثنان، وأُسر أربعة بعد معركة دامية دامت لست ساعات.[34]

و لم تكن هذه المعركة الوحيدة التي شهدتها جنين، فقد وقعت على أرض جنين معركة اليامون، وهي مواجهة شرسة بين الإنجليز وأحد مقربي الشيخ الشهيد عز الدين القسام، وهو عطية المصري. في هذه المعركة، استخدمت القوات الإنجليزية الطيران من أجل القضاء على مجموعة المصري الذي قاد مجموعته واستشهد بعد هذه المعركة الحاسمة. وإلى جانب ذلك، فقد شهدت الأعوام (1935-1938) تحركات دورية في منطقة جنين، كما في سائر فلسطين، وتمركزت المعارك والمواجهات العسكرية في الأحراش المحيطة بجنين والجبال والقمم المنتشرة في المنطقة، إلى جانب المشاركة الفاعلة في المظاهرات التي واكبت إضراب الأشهر الستة في العام 1935. وقد اتسمت هذه الحقبة من الانتداب بالبريطاني بالبطش وممارسة العقاب الفردي والجماعي، فخسرت منطقة جنين العشرات من أبنائها شهداء أعدم عدد كبير منهم في سجن عكا، في حين وقع عدد كبير شهداء في مواجهات متفرقة مع الإنجليز.[35]

معركة جنين الكبرى

في العام 1948 كانت أقوى فصول معركة جنين في البقاء، باستثناء معركة الوجود في العام 2002 بطبيعة الحال، فقد تعرضت جنين لهجوم كبير يوم الثالث من حزيران إذ هاجمها قرابة أربعة آلاف مقاتل موزعين على أربعة فرق قدمت من الشمال، ومن العفولة تحديداً. بدأ الهجوم يوم 2 حزيران باحتلال زرعين وصندلة والجلمة مع قصف جوي لمدينة جنين. أما فلسطينياً، فكان كان قوام القوة يتشكل من عشرين مقاتلاً، وثلاثة من رجال البوليس الفلسطيني، إلى جانب عدد من المناضلين من مختلف قرى جنين لم يصل المائة، وسرية أردنية انسحبت من المدينة دون سابق إنذار قبل وصول القوات العراقية بيوم كامل.

تقدمت العصابات الصهيونية إلى جنين من الغرب ومن الشمال حيث اصطدمت مع فصيل عراقي كان في طريقه للوصول إلى جنين مصحوباً بما يقارب الخمسين مناضلاً، إذ استنجد العراقيون بالقوات المرابطة في المعسكرات في دير شرف ليصل عدد المقاتلين، بعد التعزيز، إلى قرابة المائتين وخمسين جندياً عراقياً، وخمسين مناضلاً فلسطينياً. ولكن القوات العراقية بصحبة بعض المناضلين تجمعت وتحصنت في عمارة البوليس المعروفة بـــ"القلعة"، وقاتل العراقيون بصحبة عشرين مسلحاً فلسطينياً قتالاً عنيفاً من داخل القلعة لمدة خمس ساعات متسلحين بالبنادق الخفيفة وبعض المدافع المتنوعة، في حين احتل الصهاينة معظم أحياء المدينة. وقد كادت الذخيرة داخل القلعة أن تنفذ لولا أن جاء الإمداد عن

---

[34] طارق السويدان. *فلسطين: التاريخ المصور*. نسخة الكترونية www.sitamol.net . استرجعت بتاريخ 2011/2/4. ص243.

[35] السعيد. مصدر سابق. ص27-28.

طريق فوج عراقي من جحفل الملكة علياء، حيث كان هذا الفوج متوجها إلى "أم خالد" التي أقيمت عليها مستوطنة نتانيا، قبل أن يؤمر بمساندة قوة جنين.

لقد تنوعت أساليب القتال في المعركة، التي قادها الفوج العراقي الوافد برفقة عدد من المناضلين، ما بين القصف المدفعي المكثف والمتبادل لمواقع تواجد القوات الصهيونية المنتشرة على القمم المحيطة بجنين، والمواجهات المباشرة والالتحام عن قرب باستخدام السلاح الأبيض والبنادق. وبعد سيطرة القوات العراقية والمناضلين على المحيط، حاول الصهاينة صد تقدم هذه القوات إلى عمق المدينة باستخدام المصفحات التي انتشرت على مداخل المدينة، ولكن المناضلين الفلسطينيين استطاعوا شلّ هذه المدرعات وقتل ما يقارب العشرين غازياً صهيونياً فيها، وتم تحييدها تماماً.

عند الساعة الرابعة مساءً من هذا اليوم، أرسلت القيادة العراقية فوجاً جديداً من جحفل الملكة علياء إلى جنين فيما هب قرابة المائة مناضل فلسطيني من القرى المحيطة إلى جنين لنجدة المدينة، ومع انتصاف الليل قام العرب بهجوم على المواقع التي تبقى بها الصهاينة في الآكام وعلى أطراف المدينة بالنيران الرشاشة ونيران المدافع. وقبل انتصاف نهار يوم الرابع من حزيران في العام 1948، كانت جنين قد حررت بشكل كامل من العصابات الصهيونية. وفي نهاية المعركة، أعلنت العصابات الصهيونية أن عدد القتلى والمفقودين لديهم بلغ 1241، فيما وجد العرب في أرض المعركة حوالي الثلاثمائة وخمسين جثة. ومن المقاتلين العرب، فقد الجيش العراقي عشرين جندياً، وعشرين مناضلاً فلسطينياً، وستة وأربعين مدنياً فلسطينياً، وغنم العرب ثلاثمائة بندقية وثمانية مدافع هاون وخمسة وثلاثين رشاشاً وثلاثمائة لغم وأربعة أجهزة لاسلكية.[36]

وبعد انسحاب القوات الصهيونية، تمركزت في شمال المدينة في منطقة "حروبة" تحديداً، وبدأت بقصف المدينة بصورة متواصلة، فتم وضع خطة لإزاحة هذه القوات عن هذا الموقع من قبل القوات العراقية والمناضلين الفلسطينيين. فتولت القوات العراقية ضرب مواقع المدفعية الصهيونية، بالقذائف فيما تولى المناضلون الفلسطينيون الزحف على مراكز تجمع القوات المعادية لتطهيرها بشكل كامل. وتحرك نحو ثلاثمائة من المناضلين الفلسطينيين نحو فقوعة برفقة سرية من مشاة الجيش العراقي يوم التاسع من حزيران، حيث تم تحرير فقوعة والاستيلاء على تلة الخروبة وصندلة وجلبة وعرانة وعربونة ودير غزالة ومقيبلة. وقد غنم العرب في هذه المواجهات مئات البنادق والقنابل اليدوية وعشرات المدافع والرشاشات، وتكبد الصهاينة مائة وخمسين قتيلاً، فيما خسر العرب ثلاثين شهيداً، في حين بقيت زرعين ونورس والمزار من قرى قضاء جنين بيد القوات الصهيونية بعد صدور أوامر للجيش العراقي بالانسحاب في هذه المرحلة، لتسقط قرابة أربع

[36] العارف.مصدر سابق. ص 524-530

عشرة قرية من قرى جنين تحت الاحتلال الصهيوني وهي: المنسي ومعاوية ومصمص وزلفة ومشيرفة واللجون ومقيبلة والمزار وصندلة ونورس وبرطعة وسالم وأم الفحم وزرعين.[37]

وعلى أثر هذه المعارك، أشاد المقاتلون والقادة العراقيون ببسالة المناضلين من جنين وجسارتهم في المواجهات العسكرية، حيث أشاد الزعيم ركن عمر علي، قائد معركة جنين ورئيس هيئة الأركان العراقية عارف باشا، بدور أهل جنين وقراها في المعركة، كما تلقى أهالي المدينة ومقاتلوها المتطوعون الإشادة من أمير حامية جيش الإنقاذ الرئيس محمد صفا السوري، وقائد عام الجيش العراقي في فلسطين طاهر الزبيدي، ومن محمود شيث خطاب صاحب قصيدة "جنين" الشهيرة بعد الانتصار في المعركة.[38]

مخيم جنين: الموقع والنشأة

أقيم مخيم جنين في العام 1950 بعد أن غمرت المياه خيام اللاجئين التي كانت قد أقامتها وكالة غوث وتشغيل اللاجئين في سهل جترور، وهو سهل يقع على بعد ستة كيلومترات جنوب شرق المدينة. وأقيم المخيم على قطعة أرض مستأجرة غرب مدينة جنين، وهي موقع محطة القطار العثمانية سابقاً. وقد كانت منطقة تستخدمها القوات البريطانية كموقع عسكري خلال فترة الانتداب. سكن في المخيم في البداية قرابة الألفي لاجئ على مساحة لا تتعدى الكيلومتر المربع الواحد، وذلك في منطقة مكتظة ومترابطة مع أحياء مدينة جنين ومع حي واد برقين غرباً. أما طبيعة المخيم الجغرافية، فهي مقسمة بين جزء جبلي يصعد باتجاه منطقة الجابريات وجزء سهلي. أما عدد سكان المخيم فقد بلغ 11073 وفق أرقام جهاز الإحصاء المركزي الفلسطيني للعام 2010،[39] وذلك، بطبيعة الحال، عدا عن السكان المنتشرين في مدينة جنين والقرى القريبة ومناطق أخرى.

في السنوات الأولى من إنشاء المخيم، سكن فيه ما يقارب ثلاثة آلاف وخمسمائة نسمة على مساحة أربعمائة وواحد وثمانين دونماً، ليتزايد العدد ويصل إلى ستة آلاف في العام 1961، وثمانية آلاف في العام 1967 قبل النكسة. ولكن العدد عاد وانخفض حين هُجِّر حوالي نصف سكان المخيم في موجة النزوح التي تلت النكسة، فيما وصل العدد في العام 1989 إلى قرابة التسعة آلاف وخمسمائة. وقد أصبح المخيم تحت الإدارة المدنية والأمنية للسلطة الفلسطينية في العام 1997، عندما نفذت قوات الاحتلال المرحلة الثانية من إعادة الانتشار من المدن بعد دخول السلطة الفلسطينية.

---

[37] نفسه. ص588-592.

[38] السعيد. مصدر سابق. ص41.

[39] كامل جبر. *مخيم جنين رمز المشهد الفلسطيني*. جنين: بلدية جنين. د.ت. ص7.

هذا، وينحدر سكان مخيم جنين الحاليين من حوالي 59 مدينة وقرية وموقع هُجِّرَ أصحابها على يد قوات الاحتلال الصهيوني. ومن هذه القرى: إجزم وبريكة وزرعين ونورس وأم الشوف وخبيزة والسنديانة وصبارين وعين حوض والغيبة وكفر قرع والمزار والمنسي والكفرين.[40] أما قائمة القرى والمدن والتجمعات التي ينحدر منها أهالي مخيم جنين حسب توزيعها على التقسيمات الإدارية للمدن الفلسطينية تاريخياً، فهي كالتالي: (1) منطقة جنين، وتضم: زرعين، نورس، المزار، مقيبلة، صندلة، اللجون، أم الفحم، مصمص، زلفة، مشيرفة، عين المنسي؛ (2) منطقة حيفا، وتضم: حيفا، المنسي، عين حوض، الخضيرة، أبو شوشة، إجزم، بلد الشيخ، إم الزينات، إم الشوف، حواسة، الطيرة، شفاعمرو، صبارين، عين غزال، أبو زريق، قيسارية، الياجور، جبع، عارة، عرعرة، خبيزة، دالية الروحة، الريحانية، السنديانة، قنيرن الكبارة، كفر قرع، كفر لام، الكفرين، المزار، هوشة، البطيمات، فريديس، الطنطورة، عرب العوادين؛ (3) منطقة الناصرة، وتضم: الناصرة، المجيدلن، صفورية، سولم، يافة الناصرة؛ (4) منطقة بيسان: بيسان، تل الشوك، قومية؛ (5) منطقة يافا: يافا، بيت دجن، الشيخ مونس؛ (6) مناطق أخرى، وتضم: البعنة، قاقون، بير السبع، بردس حنا، بريكة، جسر الزرقا، دير طريف، عرب الجواميس، عرب الصوابرة، الغبية، مجارة، وادي حنين، إكسال، الكساير.

2.2 مخيم جنين في سياقه الاجتماعي

يشبه مخيم جنين بقية المخيمات الفلسطينية حيث تشكل الفئة العمرية الشابة القاعدة العريضة وفق معطيات الأنروا والمكتب المركزي للإحصاء الفلسطيني. فمجتمع المخيم مجتمع فتي جداً، تتسع قاعدته الهرمية الممثلة لمن هم تحت سن السادسة عشرة من العمر الذين تبلغ نسبتهم 65%. بينما تبلغ خصوبة المرأة 5,2 وهو رقم مرتفع وفق مقاييس النمو السكاني في العالم. بالتالي، فإن الزيادة السنوية لسكانه تفوق 3 %. ويبلغ متوسط سن الزواج للشباب 19,5، وتتساوى تقريباً أعداد الذكور مع أعداد الإناث. وفي المحصلة، فإن مرد اتساع قاعدة الهرم العمري السكاني، وطغيان الطور الشاب في الهيكل العمري في مخيم جنين، وعموم مجتمع اللاجئين الفلسطينيين، يعود لعدة أسباب أهمها: ارتفاع معدلات الخصوبة للمرأة الفلسطينية مقارنة بالمرأة العربية وفي الأقطار المجاورة؛ وعدم وجود هجره غير طبيعية (عدد الذكور 104 لكل 100 أنثى)، أي أن نسبة الذكور تبلغ 51% داخل مجتمع اللاجئين الفلسطينيين في مخيم جنين والضفة الغربية وعموم مجتمع اللاجئين الفلسطينيين وهي نسبة اعتيادية في المجتمعات "المستقرة."

ويعمل معظم سكان المخيم كعمال في فلسطين المحتلة في العام 1948، وقد كان ذلك قبل انتفاضة الأقصى، غير أنه بعد ذلك تحول جزء منهم إلى العمل في السلطة الفلسطينية، وجزء آخر كعمال في مهن مختلفة وأصحاب بقالات صغيرة ودكاكين منتشرة في أزقة المخيم أو بائعين متجولين. هذا، ويتميز أهالي المخيم بانسجام اجتماعي كبير وتلاحم أسري لشعورهم بأنهم يعيشون نفس الهم ونفس المصير فتجدهم متكاتفين ومتعاونين. أما مباني مخيم جنين، فهي على ذات

[40] المبيض. مصدر سابق. ص 11.

منوال مباني المخيمات المنتشرة في الضفة الغربية مشيدة بصورة متلاصقة لا تفصلها سوى أزقة ضيقة، ويعلو سقوف أبنيتها الزنك أو الاسمنت، فيما تعد وكالة الغوث الجهة المسئولة الأولى عن الخدمات الرئيسة في المخيم: كالتعليم والصحة والتموين والإسكان وفق بطاقات خاصة تميز سكان المخيم.[41] أما عن أبرز أحياء وحارات ومناطق مخيم جنين، فهي: منطقة الساحة والحواشين والدمج والسمران وجورة الذهب والغربي والشرقي والسكة، وهي مناطق متنوعة بين الحي والموقع.

هذا، وتشرف على مخيم جنين وكاله الغوث الدولية (الأنروا) وفق برنامج خدمتها التعليمية والصحية وخدمات الإغاثة الاجتماعية، فتوجد في المخيم مدرستان للأونروا (إعدادي وابتدائي): واحدة للذكور فيها حوالي 750 تلميذاً، وواحدة للإناث فيها حوالي 727 تلميذة وفقاً للمعلومات الحديثة الصادرة عن وكاله الغوث. وتعمل مدارس المخيم بنظام النوبات يومياً نظراً لاكتظاظ الطلاب في الصوف، حيث يصل عدد الطلبة في الصف الواحد إلى 50 طالباً، كما هو حال في معظم مدارس وكاله الغوث في جميع مناطق عملياتها. وهناك مدرسة حكومية واحدة تسمى مدرسة حشاد الثانوية للطلبة للذكور في الفرع الأدبي. أما التعليم الثانوي والجامعي، فإن مسؤولية وكاله الغوث والمساهمة بها متواضعة جداً وجميع أبناء المخيم ينتظمون في مرحله الدراسة الثانوية ثانويات مدينة جنين، والجامعية في جامعات الضفة الغربية.

كما يوجد داخل المخيم مراكز صحية، ومراكز للإغاثة الاجتماعية، ونادي للشباب، ومركز لتأهيل الفتيات وجميع هذه المراكز تتبع وكالة الأونروا الدولية من ضمن 46 مركزاً منتشرة في مخيمات الضفة الغربية. وبذا، فإنه يوجد في مخيم جنين العديد من المؤسسات الأهلية والمراكز التابعة لوكالة الغوث والتي تعمل على متابعة وتوفير احتياجات أهالي المخيم، والعمل على تأمين حياة أفضل للسكان اقتصادياً وثقافياً ورياضياً وهي: مركز الشباب الاجتماعي رياضي ثقافي، مركز إعادة تأهيل المعاقين، المركز النسوي، اللجنة الشعبية للخدمات وهي مؤسسة أهلية تتبع دائرة شؤون اللاجئين في منظمة التحرير. وهناك العديد من الجمعيات الثقافية والشبابية التي تعنى بالأطفال مثل، جمعية كي لا ننسى، ومحطة جنين الثقافية، وسينما جنين، ومسرح الحرية. كما يوجد في المخيم خمسة مساجد موزعة على حارات وأحياء المخيم أبرزها المسجد الكبير، والذي تحول اسمه إلى مسجد الشيخ زايد الذي بني على نفقته الخاصة بعد معركة نيسان 2002. كما يوجد محطة قطار تاريخية، هي خط الحجاز تعود إلى فترة التواجد العثماني في فلسطين.

وقد أظهرت معطيات مركز الإحصاء الفلسطيني في رام الله بأن 33.4% من الإناث فوق سن 12 عامـــاً و20.9% من الذكور أميون، وفي المقابل 18.9% من الإناث و 22 % من الذكور بلغوا مرحله التعليم الثـــانوي أو أعلـــى.

[41] حسني حرار وخالد سعيد. *المخيم وجنين: ملحمة الصمود والبطولة-المعارك مع اليهود 1948-2002*. عمان: صحيفة السبيل، ص 28.

وهكذا، وبحكم الجذور الطبقية، فإن سكان مخيم جنين البالغ عددهم 14 ألف نسمة وفق أرقام وكالة الأونروا، ينتمون إلى شريحة طبقية (أفقية) مسحوقة ذات أصول فلاحية يعمل أغلبهم في قطاع الزراعة المحلية، كعمال مياومين، بعد أن فقدوا أرضهم. وبعد احتلال العام 1967، دخل جزء كبير منهم سوق العمل الإسرائيلية، وخصوصاً في منطقه حيفا التي ينتمون إليها أساساً من حيث النشأة.

وتبلغ نسبه العسر الشديد بين عائلات المخيم، وهي العائلات التي تتلقى المساعدات المعيشية اليومية من وكالة الأونروا، نسبة 5.5 %. وتحديداً هناك 307 عائلة تعاني من ظروف معيشية قاسية وفق معطيات الوكالة للعام 2001 ، الواردة في تقرير المفوض العام بيتر هانس المقدم للسكرتير العام للأمم المتحدة كوفي عنان من أصل 8483 عائله تعاني العسر الشديد في الضفة الغربية وتنال 26115 إعاشة شهرية. بينما تعيش أكثر الأسر تحت خط الفقر، إضافة إلى نصف الأسر الفلسطينية بشكل عام التي فقدت أكثر من نصف دخلها جراء سياسات التضييق التي مارستها سلطات الاحتلال الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني منذ بدء انتفاضة الأقصى. وبالتالي، فقد انخفض دخل الأسرة من 2500 إلى 1200 شيكل.

وتجدر الإشارة إلى أن اللاجئين الفلسطينيين في مخيم جنين نالوا مساعدات عينية من مصادر مختلفة على امتداد تاريخ المخيم، كما هو حال باقي المناطق الفلسطينية المحتلة، حيث احتلت وكاله الغوث الدولية المركز الأول في المساعدة من حيث عدد المرات بواقع 55.2%، تليها المساعدات المقدمة من نقابات العمال بواقع 16.1 %، ثم مؤسسات السلطة الفلسطينية بواقع 8 %، ومن ثم المصادر المختلفة بواقع 4.9 %، والمؤسسات الخيرية ولجان الزكاة بواقع 8.5%، ومن الفصائل والأحزاب بواقع 2.5 %، ومن مصادر لجان الإصلاح بواقع 0.7%. وقد بلغت نسبه البطالة بعد معركة مخيم جنين رقماً قياسياً وصل إلى 70% وفق تصريحات حيدر إبراهيم الأمين العام لاتحاد عمال فلسطين خلال اجتماع عقد في القاهرة، فضلاً عن تدمير شبكات المياه والكهرباء والصرف الصحي.[42]

هذا، وتشير المعطيات الجديدة لبرنامج الغذاء العالمي التابع للأمم المتحدة في تقريره يوم 2002/5/25 إلى نصف مليون فلسطيني في الأراضي المحتلة أمسوا في حاجة ماسة إلى مساعدات غذائية تتجاوز 70 ألف طن، ويتقاطع مع تقرير البنك الدولي الذي يقدر بأن 50% من الفلسطينيين في الأراضي المحتلة تحت خط الفقر إذ يقل دخل الفرد عن دولارين. وعلى ذلك، يعاني سكان المخيم من سوء الوضع الاقتصادي، ويعمل أكثر من ثلثي القوة العاملة داخل فلسطين المحتلة في العام 1948. وقد خرج العديد من الأزواج الشابة من المخيم، وسكنوا في المدينة استئجاراً أو استملاكاً. وقد تكونت علاقات مصاهرة عديدة بين أهالي المخيم والمدينة وقرى المحافظة أخذاً وعطاء.

[42] وفق معطيات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني المنشورة يوم 2002/5/17.

2.3 مخيم جنين في سياقه العسكري

انطلقت الانتفاضة الأولى أو "انتفاضة الحجارة" في التاسع من كانون الأول في العام 1987، وكانت الشرارة الأولى جراء عملية دهس شاحنة إسرائيلية لسيارة من جباليا تحمل عمالاً فلسطينيين، ما أدى لاستشهاد أربعة منهم. وفي تشييع جثمان الشهداء اندلعت مواجهات عنيفة بين المشيعين الفلسطينيين وقوات الاحتلال الإسرائيلي. ولكن اندلاع الانتفاضة تاريخياً، وكنسيج خلفي لهذه الشرارة، جاء بعد تراكمات وأسباب عديدة حكمتها سياقات تاريخية وسياسية متعددة.

هنا، اعتبرت عناصر كثيرة كمسببات "تاريخية" كامنة وراء اندلاع الانتفاضة، مثل: انسداد الأفق لوجود حل سياسي بعد احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة؛ وعدم رغبة إسرائيل والولايات المتحدة بتقديم طرح حل سياسي؛ إلى جانب انتشار المد الاستيطاني الإسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة؛ وتكثيف عملية تهويد مدينة القدس ومحيطها؛ والضغط على السكان وإذلالهم والتدخل في كل تفاصيل حياتهم؛ والتعبئة المستمرة من قبل قوى منظمة التحرير بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان ومهاجمة قوات الثورة الفلسطينية ومحاصرة الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات في العام 1982. وبعد انطلاق انتفاضة الحجارة في العام 1987، تم إنشاء القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة (قاوم) بمساندة ومبادرة من قيادة منظمة التحرير التي مارست دوراً تنظيمياً عاماً للانتفاضة مع وجود اللجان الشعبية في داخل الضفة الغربية وقطاع غزة.[43]

ومع نهاية العام الرابع للانتفاضة، في كانون الأول للعام 1991، كانت الانتفاضة قد حصدت قرابة 1432 شهيداً وشهيدة كان منهم 150 شهيداً وشهيدة من منطقة جنين، وهي المنطقة التي احتلت المركز الثاني في عدد الشهداء حتى هذا التاريخ بين مناطق الضفة الغربية المختلفة بعد نابلس. أما مخيم جنين فقد قدم ستة عشر شهيداً في تلك الفترة، فيما قدمت مدينة جنين ثلاثين شهيداً،[44] وفيما بلغ عدد جرحى منطقة جنين في السنوات الأربعة عشرة آلاف ومائتين وتسعة وسبعين جريحاً وجريحة.[45]

أنوية المجموعات العسكرية المسلحة في جنين ومخيمها

في مرحلة مبكرة من النضال العسكري المسلح ضد الاحتلال الإسرائيلي، ظهرت في جنين ومخيمها الأنوية الأولى للكفاح المسلح في فترة شهدت تراجعاً في هذه الاستراتيجية على مستوى الخيارات العامة لمنظمة التحرير الفلسطينية.

---

[43] عبد الهادي النشاش. *الانتفاضة الفلسطينية الكبرى*. دمشق: دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع. 1994. ص107.

[44] عبد الفتاح الجيوسي. *الانتفاضة: أربع سنوات من المواجهة قراءة في الحقائق والأرقام*. عمان: المكتبة الوطنية. 1992. ص 18.

[45] المصدر نفسه. ص 40.

وهنا، برز مجموعات الفهد الأسود، التابعة لحركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح؛ ومجموعات النسر الأحمر التابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين؛ فيما ظهرت مجموعات كتائب القسام التابعة لحركة المقاومة الإسلامية-حماس.

الفهد الأسود: الذراع العسكري لحركة فتح

لقد جاءت بدايات الفهد الأسود في محافظتي نابلس وجنين عفوية وتلقائية، حيث كانت الانطلاقة بشبكات محدودة وخلايا منفردة متناثرة في كافة أرجاء الضفة الغربية، وكانت هذه المجموعات تفتقد للتنظيم والإدارة والمستلزمات الكفيلة لإطلاق عمل عسكري منظم ومستمر. وقد أدى ذلك إلى إيقاع ضربات قاسية في حق الخلايا الأولى لمجموعات الفهد الأسود في محافظة جنين حيث انتشرت المجموعات، بصورة متدرجة، في العديد من قرى محافظة جنين التي أصبحت المسرح الأبرز لأنشطة هذه المجموعات، مثل: برقين ورمانة واليامون وسيريس وعرابة وقباطية وسيلة الحارثية، وغيرها.

فيما بدأت خلايا الفهد الأسود تتشكل في مدينة نابلس بقيادة الشهيد ناصر البوز، الذي استرد جثمانه حديثاً في مطلع حزيران 2012، بدأت أنوية الخلايا تتكون بين مجموعات أصدقاء في أعمار تتراوح بين السادسة عشرة والتاسعة عشرة، حيث كانت أولى الخلايا التي تأسست من عدة شبان مخيم ومدينة جنين وبرقين وقباطية والسيلة الحارثية ورمانة، مثل: الشهيد نجيب حويل، الشهيد أحمد كميل (الجمل)، عبد الكريم عويس، وائل أبو السباع، إياد السلفيتي، محمود الزرعيني، إياد أبو السباع، الشهيد باسم صبيحات، أحمد الجميل، ومروان زيود. وفي بدايات تشكيل خلايا الفهد الأسود لم يكن أفراد المجموعات يعرفون بعضهم البعض، إذ كانت لقاءاتهم تتم بحرص وسرية، حيث كان الأفراد يلتقون ملثمين.

وقد بدأ عمل مجموعات الفهد الأسود في مجال الأمن الفلسطيني الداخلي، حيث ازداد دور العملاء المرتبطين بأجهزة الأمن الإسرائيلية، وسببوا ضربات قاسية للانتفاضة الأولى: فازدادت الاعتقالات، والاغتيالات، وإحباط عمليات المقاومة. عندها، بدأت عمليات تحقيق محدود مع العملاء في أماكن بعيدة عن تجمع السكان من أجل الحصول على معلومات منهم، ومعرفة طبيعة المهام الموكلة إليهم من قبل أجهزة المخابرات الإسرائيلية لضرب المقاومة. وتقررت معاقبتهم كل حسب جرمه، حيث كانت هذه المجموعة هي الأولى التي أطلقت عمليات الفهد الأسود في محافظة جنين ، وتم العمل في هذه الفترة دون مسميات، ودون تقسيم مهام، ودون هيكلية تنظيمية. وكان العمل يتم بصورة اجتهادية، أي ارتجالية، فردية .

وبذا، فقد كانت انطلاقة مجموعات الفهد الأسود تهدف إلى تطهير المجتمع الفلسطيني من الداخل واجتثاث "المتعاونين"/الجواسيس مع قوات الاحتلال الإسرائيلي وأجهزته الأمنية. وقد تدرجت هذه العمليات، كما أسلفنا، من

خطف العملاء والتحقيق معهم، وفضح المتورطين منهم من خلال إبلاغ عائلاتهم بجرم أبنائهم، ونشر بيانات الفاضحة، والتعامل بقسوة معهم كل حسب جرمه بدءا من التحذير وعدم العودة إلى العمالة والخيانة وتكسير الأطراف وحتى تنفيذ حكم العدالة الثورية بالإعدام. وفي بداية العام 1990، ونتيجة لتزايد نشاط هذه المجموعات، فقد تم اعتقال أفراد الخلايا الأولى المؤسسين، وتم الحكم عليهم بالأحكام العالية مدى الحياة، مثل: القائد المؤسس الأول عبد الكريم عويس، ووائل أبو سباع، وإياد السلفيتي.

وقد جاءت المرحلة التالية من عمل المجموعات في الانتقال إلى لنشاط العسكري وشبه العسكري ضد قوات الاحتلال الإسرائيلية، حيث قامت بمجموعة من العمليات العسكرية الموجعة للصهاينة، وتحملت مسؤولية جرح وقتل عدد من الإسرائيليين في الفترة 1988-1992، وهي فترة الذروة للإنتفاضة الفلسطينية الأولى رغم التسليح الضعيف الذي كان يرتكز على بعض البنادق الآلية والمسدسات والقنابل اليدوية القديمة، وغياب للتدريب والتأهيل العسكري. أما مصادر الأسلحة، فقد تنوعت من خطف أسلحة من الإسرائيليين، والتي جاءت من عمليات مشتركة بين النسر الأحمر والفهد الأسود، أو أسلحة قديمة من مخلفات الحقبة الأردنية والبريطانية مثل إم-1، والإنجليزية، ورشاش براون-300، وأسلحة تم مصادرتها من فلسطينيين يعملون في الشرطة الإسرائيلية ومن رجال أمن في بنك ليئومي. وكان هناك عناصر من مجموعات الفهد الأسود، وخاصة أبناء القرى الحدودية لهم علاقات مع تجار سلاح إسرائيليين من داخل فلسطين المحتلة في العام 1948 ساعد في حصول المجموعات على أسلحة رشاشة ذات كفاءة أعلى، مثل إم-16، وعوزي، وغيرها. فيما لم يكن هناك أي اتصال يذكر بين حركة فتح في الخارج وبين المجموعات العسكرية التابعة للفهد الأسود.[46]

ومن الجدير بالتسجيل أنه برز في هذه الفترة عدد من المقاتلين الذين قدموا بطولات كبيرة، ومنهم: إبراهيم الزريقي وإبراهيم الفرقع "جلامنة" اللذان استشهدا في الحي الشرقي لمدينة جنين يوم السادس والعشرين من تشرين الأول للعام 1992 إثر معركة شرسة مع قوات الاحتلال التي حاصرت المنزل الذي تحصن به الشهيدان، حيث دامت المعركة أكثر من سبع ساعات استخدمت فيها قوات الاحتلال الإسرائيلية القذائف المضادة للدروع والقصف الصاروخي المباشر. وقد خسر جيش الاحتلال عدداً غير محدد من الجنود إلى جانب مقتل قائد الوحدة المهاجمة فيما استشهد المقاتلان.[47]

وقبل ذلك كانت قوات الاحتلال الإسرائيلية قد وضعت كل طاقاتها لاغتيال قادة الفهد الأسود مؤسسي المجموعة في منطقة جنين والذين كان من أبرزهم نجيب حويل.[48] فقد كان منزل حويل الواقع في حي جورة الذهب في قلب مخيم

---

[46] مقابلة مع وائل أبو السباع وإياد السلفيتي، بتاريخ 2011/10/5.

[47] ناصر دمج. 2003. *الصارخون حتى الصمت*. رام الله: مطابع ابو غوش. ص 12-18.

[48] شقيق الباحث وقائد مجموعات الفهد الأسود بمخيم جنين وبرز في المخيم إلى جانب عبد الكريم عويس المعتقل في سجون الاحتلال الصهيوني.

جنين هدفاً حيوياً لقوات الاحتلال الإسرائيلية في مداهماتها الليلية، لكن عملية اغتياله جاءت يوم الجمعة الثلاثين من كانون الأول للعام 1990، بعد صلاة الجمعة وأثناء مغادرة الشهيد المسجد، حيث كانت بانتظاره واحدة من المجموعات الأولى لما صار يعرف بـــ"المستعربين" أو وحدات الموت الإسرائيلية، وهي مجموعة وحدة دوفدوفان التي اشتهرت بتنفيذ عمليات الاغتيال والتصفية خلال الانتفاضة الأولى. وقد كانت هذه المجموعة، بقيادة الصهيوني "نير"، متنكرة بزي نساء وشيوخ، وقامت بإطلاق النار على الشهيد وأصابته في ظهره في النخاع الشوكي، ثم قامت باختطافه، حيث نقل إلى أحد المشافي الإسرائيلية الذي قضى فيه شهرين، وفي مشفى الاتحاد بمدينة نابلس لمدة شهر إضافي حيث استشهد بتاريخ 1 آذار 1991. وتم خطف جثمانه من قبل قوات الاحتلال ودفنه مع خمسة من أقاربه في مقبرة الشهداء في واد برقين.

هذا، وقد توالت عمليات اغتيال مقاتلي الفهد الأسود بعد ذلك، حيث تم اغتيال أحمد الجمل وهو من أبرز قادة الفهد الأسود في قرية قباطية، إذ تم اغتياله من قبل وحدة دوفدوفان بزي مدني بالقرب من معسكر صانور بتاريخ 9/9/ 1991، حيث تم خطفه من قبل القوات الخاصة الإسرائيلية وهو مصاب ويترف، وكان لا يزال على قيد الحياة، حيث تمت تصفيته بدم بارد. وقد ردت مجموعته بمهاجمة دورية إسرائيلية في ذات الموقع قتل على إثرها جندي إسرائيلي على الأقل. وتوالت اغتيالات العديد من قادة ومطاردي مجموعات الفهد الأسود، وأبرزهم الشهيد محمود الزرعيني قائد الفهد الأسود في مدينة جنين، وإبراهيم الزريقي وإبراهيم الفرقع وخالد الشاكر وبسام صبيحات وعبد الكريم صبيحات وإياد سمار ومهدي أبو الحسن وباسم شعبان ووليد السوقي وأحمد العبوشي ومحمد السعدي (أبو السعيد) وعوض الكرزان وأحمد أمين كميل وحسن عاهد كميل ومحمد نجي وحسن عساف كميل وأسامة إبراهيم نزال وحسين صبيحات وعماد عتيق وأحمد مصطفى دقة (الكخ) وأمين محمد رحال ومحمد علي مديرس ومحمد صادق كميل (طقطق) وبدر شافع نزال. ومن أبرز قادة مجموعات الفهد الأسود في جنين، والذين تم اعتقالهم وما زالوا إلى لحظة كتابة هذه الرسالة، داخل سجون الاحتلال الإسرائيلية: أسامة السيلاوي ومحمد تركمان (الترك)، ومحمد قدورة، وأسامة أبو حنانة ويوسف إرشيد ومحمد الصباغ وفيصل أبو الرب ونعمان الشلبي وأيمن جرادات، وبرهان صبيح (الذي عفي عنه، لكنه تم اعتقاله خلال انتفاضة الأقصى وحكم ستة مؤبدات بأثر رجعي!)، وأحمد عوض كميل حيث كان قائداً للمجموعات، وتم اعتقاله في نهاية العام 1993 وهو متحصن في سرداب في قرية الكفير بالقرب من مدينة جنين، وحين جرى اعتقاله تم إضعاف ظاهرة الفهد الأسود، وطي هذه الصفحة (إلى أمد غير بعيد) من تاريخ منطقة جنين.[49] وتجدر الإشارة إلى أن هؤلاء جميعهماً معتقلون قبل اتفاقية أوسلو وقبل قدوم السلطة الفلسطينية، لكنهم مازالوا لغاية الآن خلف القضبان بحجة أن "أياديهم ملطخة بدماء إسرائيليين." وقد كان هناك الكثير منهم قد اعتقل وأفرج عنهم بعد التوقيع على اتفاق أوسلو وقدوم السلطة الفلسطينية من المتهمين منهم بقتل عملاء، ومنهم من أعيد مرة أخرى إلى

[49] .لقاء أثناء فترة الأسر مع الأسير أحمد عوض كميل في سجنه في العام 2004 في سجن عسقلان.

السجون الصهيونية مثل عبد الكريم عويس بتهمة تأسيس كتائب شهداء الأقصى، حيث حكم عليه بثماني مؤبدات وعشرين عاماً.

النسر الأحمر: الذراع العسكري للجبهة الشعبية

مجموعات النسر الأحمر هي مجموعات عسكرية وأمنية تابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وقد كانت مهامها شبيهة بمهام مجموعات الفهد الأسود، ولكن كان انتشارها وعدد كوادرها وأفرادها أقل. وقد برزت في البداية في مدينة جنين ومخيمها حيث برز منها الشهيد مفيد غزاوي والشهيد يوسف أبو السباع (أبو عرب) الذي كان قائد مجموعتها، فيما اعتقل العديد من أفراد هذه المجموعات. وكانت مجموعات النسر الأحمر، في البداية، تعمل بشكل مشترك مع مجموعات الفهد الأسود التابعة لحركة فتح، وخاصة الشهيدان يوسف أبو عرب ونجيب حويل.

كتائب الشهيد عز الدين القسام: الذراع العسكري لحركة حماس

مع بدايات قدوم السلطة الفلسطينية، وضرب مجموعات الفهد الأسود باغتيال واعتقال الكثير من مطارديها من قبل قوات الاحتلال الصهيوني، برزت في محافظة جنين أولى مجموعات كتائب الشهيد عز الدين القسام التابعة لحركة المقاومة الإسلامية-حماس، حيث كانت من جنين انطلاقة العمليات الاستشهادية لها في العفولة والخضيرة. وقد برز اسم الشهيد نصر جرار الذي اهم بإرسال الاستشهادي رائد زكارنة من قباطية، والاستشهادي عمار عمارنة من يعبد (رداً على مجزة الحرم الإبراهيمي التي نفذها الصهيوني باروخ غولدشتاين)، لتنفيذ هاتين العمليتين بمساعدة محمود الحلاجي-أبو مصعب من مخيم جنين، وسعيد بدارنة من يعبد، وهو محكوم مدى الحياة، أفرج عنه في عملية تبادل الأسرى الفلسطينيين في العام 2011 مع الجندي الإسرائيلي غلعاد شاليط.

عمليات عسكرية تاريخية خالدة في ذاكرة أبناء جنين

لقد كانت هناك عمليات مقاومة مميزة قام بها أبناء مخيم جنين تركت أثراً عميقاً في نفسيات وعقول الأجيال في مخيم جنين. فاغتيال الشيخ حسن أبو سرية في العام 1969 في اشتباك مسلح امتد طول ساعات الليل حتى الفجر في الحارة الشرقية في جنين ما زال يذكره الصغير قبل الكبير. فالشيخ حسن أبو سرية، المنحدر من قرية زرعين، كان أحد أفراد أولى الخلايا العسكرية التابعة لحركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح والذي كلف بمهام عسكرية في الضفة الفلسطينية من قبلها، فقاد اشتباكاً عسكرياً ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي حتى يغطي انسحاب إخوانه ورفاقه المتواجدين معه وهذا ما تم حيث نسحب بقية أفراد الخلية بسلام. ويستدعي أهالي المخيم، كذلك، قصة استشهاد طالب التوجيهي (في حينه) سمير أبو البان، الذي اشتهر بخطه الجميل في كتابة شعارات المظاهرات، والذي استشهد جراء قصف من طائرة صهيونية أثناء دراسته بالقرب من المطار القريب من قرية مقيبلة. ومن دلائل خلود هذه القصص في مخيال اهالي مخيم جنين، زيارة الحاج أبو سمير، والد الشهيد سمير أبو البان، لموقع استشهاد ابنه يومياً مع أن عمر هذا الحاج يبلغ أكثر من ثمانين عاماً.

وكذلك، فما زالت عملية الشهيد فتحي القانوح في الذاكرة الفلسطينية عموماً، وفي ذاكرة جنين على نحو خاص. فهي العلمية التي قام بها في شوارع جنين رداً على قيام الاحتلال الإسرائيلي بتسميم المياه في مدارس الطالبات في مدينة ومخيم جنين من خلال العملاء، وتسمم أعداد كبيرة من الطالبات وتم نقلهن للمستشفيات. لقد قام الشهيد القانوح باقتحام جيب عسكري إسرائيلي ومفاجئة الجنود بطعنات من سكين كانت بحوزته، ما أدى إلى مقتل جنديين إسرائيليين وجرح آخر، في حين قام القانوح بكسر بندقية إم-16 كانت بحوزة جندي، وأثناء الانسحاب صادفته دورية عسكرية إسرائيلية ثانية قامت بإطلاق النار عليه بكثافة ما أدى إلى استشهاده، حيث تم اختطاف جثمانه ودفنه في قرية قريبة من مخيم جنين. وقد كان الشهيد فتحي قانوح أحد أبناء حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح، وكان شاباً رياضياً يلعب الملاكمة وكمال الأجسام.

كل هذه التضحيات والبطولات عبر مراحل متعددة، صقلت شخصية أبناء مخيم جنين، ليصبح عندهم ذاكرة جماعية مليئة بالتضحيات ومليئة بالبطولات والمقاومة، وجعلتهم أكثر شراسة وصلابة في مواجهة قوات الاحتلال الإسرائيلية التي عرفوا، تاريخياً، أن لا شيء يردعها إلا القوة، وأن طريق الحرية معبدة بدماء الشهداء.

2.4 مخيم جنين في سياقه السياسي

مرت مرحلة الصراع العربي الإسرائيلي على الأرض الفلسطينية بمراحل عدة تراوحت بين رفع شعار الكفاح المسلح الوسيلة الوحيدة لتحرير فلسطين وفق ما نص عليه الميثاق القومي (1964-1968) والوطني (1968-1974) لمنظمة التحرير، ولكن ذلك انتهى بالدعوة إلى لحل السياسي. فقد خاض الشعب الفلسطيني على مدار أكثر من قرن حالة من الصراع مع الحركة الصهيونية وإسرائيل على الأرض الفلسطينية شارك خلالها في كافة الحروب العربية الإسرائيلية من أجل البقاء، وبادر في اندلاع الثورات والانتفاضات الكبرى على مدار أكثر من قرن، لكنه لم يرفض الحل السياسي القائم على التعايش والقبول بحل الدولتين، خاصة بعد نكسة العام 1967. وقد برز هذا بشكل واضح في أعقاب الانتفاضة الكبرى في العام 1987، والتي تمخضت عن ظهور مبادرة السلام الفلسطينية التي استندت إلى قرارات الشرعية الدولية وأبرزها القرارات 181 و 242 و338، وترجمت في إعلان وثيقة الاستقلال في العام 1988. لذلك عقد مؤتمر مدريد عام 1991 الذي شارك فيه الفلسطينيون بوفد أردني-فلسطيني مشترك، كان رئيسه فلسطينياً الراحل حيدر عبد الشافي، حيث عقدت بعده مفاوضات ثنائية وأخرى متعددة. وقد صاحب ذلك عقد مفاوضات سرية جرت في النرويج بين وفد فلسطيني ضم الرئيس الفلسطيني الحالي محمود عباس وأحمد قريع وياسر عبد ربه، فيما ضم الوفد الإسرائيلي طاقم من وزارة الخارجية برئاسة أوري سافير. لكن حسم الخلافات لم يتم إلا عبر تواصل بين الرئيس عرفات من تونس ورئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين ووزير خارجية النرويج.

وعلى الرغم من تأسيس السلطة الفلسطينية وعودة قيادة منظمة التحرير إلى أراض فلسطينية تحكمها حكماً ذاتياً ضيقاً اعتباراً من العام 1994، بدءاً من غزة وأريحا، إلا إن "عملية السلام" الفلسطينية-الإسرائيلية تعثرت لأسباب أبرزها تعنت الحكومة الإسرائيلية، وإعلان رابين بشكل متكرر "إنه لا يوجد لديه تواريخ مقدسة"، الأمر الذي أصبح عرفاً لدى الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، والدعم المطلق الذي اشتهرت به الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل. وقد انتهت هذه الحقبة باغتيال إسحاق رابين على يد "إيغال عمير" في تل أبيب، ليفوز بنيامين نتنياهو بالانتخابات الإسرائيلية رغم رفعه شعار أنه "لن يصافح، ولن يجلس، ولن يتفاوض مع الرئيس عرفات." لكن الرئيس عرفات أرغمه على الاتصال به والتفاوض معه مهدداً ائتلافه الحكومي بالانهيار عبر ما سمى بـ"هبة النفق" في العام 1996. حيث تم التوقيع بعد ذلك على اتفاق الخليل، وعاد حزب العمل ليشكل الحكومة برئاسة إيهود باراك رئيس حزب العمل الذي قرر وقف "العملية السلمية" عبر إفشاله قمة كامب ديفيد الثانية، التي حاول الرئيس الأمريكي بل كلنتون في أواخر عهده إنقاذ "العملية السلمية" عبر محاولته فرض حل مجحف لقضيتي اللاجئين والقدس في العام 2000، حيث ضمت تلك القمة الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ورئيس الوزراء الإسرائيلي باراك. وقد كان فشل هذه القمة، والتحريض الإسرائيلي والأمريكي على الفلسطينيين عموماً، وعلى الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات بوجه خاص، واقتحام أرئيل شارون المسجد الأقصى... كانت مجموعة من الشرارات التي أهبت الانتفاضة الفلسطينية الثانية، انتفاضة الأقصى، وأسهمت في اندلاعها.

الملامح التفصيلية لمرحلة المفاوضات الثانية

إن اعتبرنا أن مرحلة المفاوضات الأولى تتمثل في ولاية اسحق رابين الذي تعرض للاغتيال على يد اليمين الإسرائيلي على خلفية توقيعه اتفاق أوسلو مع رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ياسر عرفات، وما تلاه من ولاية مؤقتة لخليفة وعضو حزبه ونائبه شمعون بيريس، حيث اتسمت هذه المرحلة بحالة من التوافق على إطار العمل العام بين الجانب الفلسطيني والإسرائيلي والتحاور حول التفاصيل... فإن المرحلة الثانية قد تمت إدارتها من قبل رئيس الوزراء المنتخب في العام 1996 عن حزب الليكود بينيامين نتانياهو.

لقد قاد نتنياهو تياراً سياسياً يمينياً لا يؤمن بـ"العملية السلمية" مع الفلسطينيين، ويصف الضفة الغربية بالقلب النابض لـ"الدولة اليهودية" التي لا يجوز التخلي عنها بأي حال من الأحوال. وقد وصل نتنياهو إلى سدة الحكم إثر حالة من الاحتقان في الشارع الإسرائيلي إثر سلسلة من العمليات الاستشهادية في المدن الإسرائيلية في ظل حالة انتقال حاد في الشارع الإسرائيلي من اليسار إلى اليمين. ومع صعود اليمين في أول انتخابات إسرائيلية مباشرة لرئيس الحكومة تحولت العلاقة التفاوضية بين الجانبين إلى المواجهة بدلاً من التفاوض الحقيقي.

وفي هذه التحولات، انتقلت السياسة الفلسطينية إلى خوض حالة من المجابهة السياسية والإعلامية وقيادة المقاومة الشعبية لعمليات التهويد في مدينة القدس التي قادتها الحكومة الإسرائيلية اليمينية بقوة في هذه المرحلة. وقد جاء ذلك إلى جانب

المواجهات الاستيطانية والتي كانت مسارحها مواقع مختلفة كجبل أبو غنيم قرب القدس وبرج اللقلق ورأس العمود، وقد شهد شهر أيلول من العام 1996 أولى المواجهات الشعبية الواسعة، والتي تحوَّلت في رام الله إلى مواجهة مسلحة بشكل محدود، بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل في إطار ما يعرف بـــ"إنتفاضة النفق" إثر شق نفق إسرائيلي تحت أساسات المسجد الأقصى. وإثر هذه المواجهات التي أوقعت العديد من الشهداء، رعت الولايات المتحدة اتفاقاً محدوداً سمي بـــ"اتفاق الخليل" تم على إثره الانسحاب من جزء كبير من مدينة الخليل، والإبقاء على جزء آخر بيد إسرائيل، وقسمت المدينة إلى ما يعرف بمناطق H1 و H2 وجيء إلى المدينة بقوات TIPH الدولية.[50] وقد أدى التجاهل والتعنت الإسرائيلي في التعامل مع الاحتياجات المعيشية والتنموية الفلسطينية إلى ازدياد حالة الاحتقان والضغط في الشارع الفلسطيني.

وفي العام 1998 تم توقيع اتفاق واي ريفير بين الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ورئيس الوزراء الإسرائيلي بينيامين نتنياهو برعاية الولايات المتحدة الأمريكية، وشمل الاتفاق توسيع مناطق السيطرة الفلسطينية في الضفة الغربية، وإنشاء الميناء الجوي والبحري الفلسطيني في غزة، وتسوية المستحقات الفلسطينية لدى إسرائيل، إلا إن عملية التنفيذ جاءت عسيرة للغاية و لم يتم تنفيذ الاتفاق عملياً على أرض الواقع.[51] وقد تلا هذا الاتفاق زيارة تاريخية لأول رئيس أمريكي لقطاع غزة وبيت لحم قام بها الرئيس الأمريكي بيل كلينتون الذي ألقى كلمة أمام المجلس الوطني الفلسطيني التي تم فيها تعديل معظم بنود الميثاق الوطني الفلسطيني حسب اتفاق أوسلو، وبخاصة تلك المتعلقة بخيار الكفاح المسلح كآلية وطنية لتحرير فلسطين.

عودة حزب العمل إلى لحكم

في العام 1999 وصل إيهود باراك، رئيس حزب العمل الصهيوني، إلى سدة الحكم عقب انتخابات مبكرة في إسرائيل سقط خلالها نتنياهو في المنافسة معه، حيث فاز باراك بست وخمسين بالمائة من أصوات الإسرائيليين. ومع تراجع اليمين، سادت حالة من التفاؤل في الساحة الفلسطينية والدولية كون باراك قد أكد في حملته الانتخابية عزمه متابعة السير على خطى رابين، واتخاذ قرارات وصفها بالـــ"صعبة" و"المؤلمة" في سبيل تحقيق السلام والأمن رغم أنه أكد على عدم التخلي عن القدس وعدم العودة بشكل تام إلى خط الهدنة للعام 1967.[52]

---

[50] أحمد قريع. *مفاوضات كامب ديفيد-الرواية الكاملة*. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 2007. ص 50-52.

[51] المصدر السابق. ص114.

[52] آفي شليم. *الحائط الحديدي*. القاهرة: مؤسسة روز اليوسف. 2001. ص 579.

وقد بدأ باراك بمحاولة إطلاق "العملية السلمية" على المسار السوري مع تجميد مخيب للآمال على المسار الفلسطيني في اعتقاد منه بأن تحقيق النتائج التفاوضية على مستوى الملف السوري سيمثل تخفيفاً للضغط الذي يمثله التعامل مع الملف الفلسطيني، فهو لم يقم حتى بتنفيذ اتفاق واي ريفر السابق وتراجع عنه. هنا، حاولت الولايات المتحدة الأمريكية القيام بإحياء "العملية السلمية" بين بزيارات مبعوث السلام الأمريكي المنحاز لإسرائيل دينس روس ووزيرة الخارجية مادلين أولبرايت بهدف عقد قمة بين الفلسطينيين والإسرائيليين. فيما قام الرئيس الأمريكي بيل كلينتون بإرسال رسالة مباشرة إلى الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات طالبه بالاستمرار في "عملية السلام" مؤكداً على أنه سيبذل جهده من أجل الضغط لتنفيذ استحقاقات واي ريفير على الجانب الإسرائيلي. وقد أكد كلينتون على دعمه لآمال الشعب الفلسطيني بالحرية وتقرير المصير مع انتقاده من خلال هذه الرسالة التي وصلت عرفات في شهر نيسان من العام **1999** للتوسع الاستيطاني وتجريف البيوت والأراضي.

استؤنفت اللقاءات الإسرائيلية الفلسطينية في معبر إيرز حيث كان أول لقاء يجمع الرئيس الفلسطيني برئيس الوزراء الإسرائيلي المنتخب، وكان الموقف الإسرائيلي منصباً على الدخول بنقاش قضايا الوضع النهائي بصورة مباشرة دون تأجيل فيما طالب الجانب الفلسطيني بتنفيذ استحقاقات واي ريفير التي لم ينفذ منها إلا جزء بسيط للغاية واستكمال المرحلة الانتقالية التي كان من المفترض أن تنجز في أيار من العام **1999**، وبعد ضغوط أمريكية وتدخل مصري وأوروبي وافق الجانب الإسرائيلي على تنفيذ التزامات المرحلة الانتقالية على ثلاث مراحل من الانسحابات وتحرير الأسرى وبناء ميناء غزة البحري فيما التزم الجانب الفلسطيني بالشروع بمفاوضات المرحلة النهائية في شهر شباط من العام **2000**.[53]

وكما درجت السياسة الإسرائيلية العامة في المفاوضات مع الفلسطينيين، لم يقم باراك بتنفيذ التعهدات التي التزم بها. وهذا ما دفع الفلسطينيين إلى التخوف بصورة كبيرة من نتائج أية عملية تفاوض مع حكومة إيهود باراك، لكن رئيس الوزراء الإسرائيلي استطاع إقناع الرئيس الأمريكي بيل كلينتون بجديته بتقديم "تنازلات" غير متوقعة بشرط أن يكون ذلك خلال قمة تفتح ملفات الوضع النهائي وتعالجها بشكل نهائي. وهذا ما دفع الرئيس الأمريكي لتبني موقف باراك ليدفع بوزيرة خارجيته ومبعوث السلام الأمريكي للمنطقة من أجل العمل على التحضير للقمة.

قمة كامب ديفيد وما بعدها

لقد كان الموقف الإسرائيلي مستنداً على تبني عقد قمة تقوم على طرح كافة الملفات في محاولة لتحقيق إنجاز على الصعيد الفلسطيني بعد الفشل في الملف السوري. وهنا، بدأ باراك وطواقمه التفاوضية بالاستعداد للقمة عبر عقد الاجتماعات

[53] المصدر السابق. ص130.

واللقاءات ذات العلاقة وإفراز مجموعات تخصص لكل من قضايا الوضع النهائي، إلى جانب العمل على إيفاد وزير الخارجية شلومو بن عامي لمقابلة الرئيس ياسر عرفات الذي وجه خطاباً فلسطينياً تفصيلياً يناقش الخرائط والأرقام والمواقف مقابل رؤية عامة وتجنب للخوض في التفاصيل من قبل بن عامي.[54]

وفي نهاية المحاولات الأمريكية والإسرائيلية، وافق الفلسطينيون على الانخراط في قمة كامب ديفيد بعد أن قام الرئيس المصري السابق محمد حسني مبارك بدور الوساطة لدى الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات من أجل دفعه للذهاب إلى القمة رغم تخوف الرئيس عرفات من نتائج فشل القمة وفق ما صرح لوزيرة الخارجية الأمريكية وللرئيس الأمريكي شخصياً في ظل عدم الاستعداد وعدم وجود المناخ العام المساند لإنجاح قمة تنهي ملف الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.[55]

الواقع أن رئيس الوزراء الإسرائيلي كان يراهن على موافقة الرئيس ياسر عرفات على أي عرض للحصول على الدولة الفلسطينية وذلك من أجل التخلص من الضغوط الداخلية التي تدفعه إلى تحقيق أي إنجاز يثبت صحة اختياره للمسار السياسي والتخلي عن الكفاح المسلح من جهة، وبسبب تراجع المساندة العربية له وخياراته من جهة أخرى. فيما اعتبر باراك أن عرفات يمر بأسوأ حالاته داخلياً في ظل تراجع شعبيته بشكل حاد، وتقدم التضامن الشعبي مع التيارات الإسلامية التي بدأت تأخذ حيزاً واسعاً في الشارع الفلسطيني، خاصة وأن فترة ما قبل القمة شهدت مسيرات واسعة منددة بالخيار السياسي، ومطالبة بالمقاومة المسلحة في تلك الفترة. أما كلينتون فقد كان مصراً على عقد القمة من أجل تتويج جهوده التي بذلها خلال فترتي ولايته في الشرق الأوسط باتفاق تاريخي يحاكي مشهد مصافحة عرفات ورابين برعاية كلينتون في الحديقة الخلفية للبيت الأبيض في العام 1993. وقد تعزز ذلك بخاصة لأن فترة الولاية الثانية لكلينتون شهدت العديد من الضربات السياسية له شخصياً والتي كان أبرزها فضيحة علاقته الجنسية الشهيرة بالموظفة بالبيت الأبيض مونيكا لوينسكي.

قبل أن يصل الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات إلى الولايات المتحدة الأمريكية، مر بالقاهرة في رسالة للتأكيد على مرجعيته العربية. فيما شهدت الضفة الغربية وقطاع غزة موجة احتجاج واتهامات واسعة بالخيانة والتنازل للذاهبين إلى القمة، وفيما تم الاتفاق على التعامل مع القضايا كحزمة واحدة: إي إما أن يكون الحل شاملاً لكافة الملفات أو أن لا يكون، وفيما قام الرئيس الأمريكي بدراسة تفصيلية وشخصية لكافة الملفات المطروحة مركزاً على القدس واطلع على طرق إدارة المفاوضات السابقة والمماثلة.[56]

---

[54] غيلعاد شير. *قاب قوسين أو أدنى من السلام*. عمان: دار الجليل للنشر. 2002. ص 186-189.

[55] كلايتون سويشر. *حقيقة كامب ديفيد*. بيروت: الدار العربية للعلوم. 2006. ص 249.

[56] دينيس روس. *السلام المفقود: خفايا الصراع حول سلام الشرق الأوسط*. بيروت:دار الكتاب العربي. 2005. ص 807-812.

بعد أربعة عشر يوماً من المفاوضات في قمة كامب ديفيد، وصل المجتمعون للقاء النهائي والذي جمع صائب عريقات وشلومو بن عامي بالرئيس كلينتون بعد أن خاض الرئيس الأمريكي جولة سابقة مع الرئيسين الفلسطيني والإسرائيلي استنفد من خلالها كافة الأوراق المطروحة في القمة دون أن يصل لصيغ توافقية خاصة في ملف القدس الذي وقف كحجز عثرة بين "الطرفين." وقد انصب اللقاء الأخير على مناقشة هذا الملف حيث طرح الرئيس الأمريكي سيادة إسرائيلية على منطقة حائط "المبكى" مع سيادة تحت الحرم مع ضمان عدم حفر إسرائيل أسفل هذه المنطقة. وقد كانت، في النهاية، منطقة الحرم هي نقطة الخلاف الرئيسة حيث لم يقبل الجانب الإسرائيلي إيراد كلمة "السيادة الفلسطينية" على الحرم بأي شكل من الأشكال وكان المقترح الإسرائيلي يقوم على استبدالها بكلمة"السيادة الدينية" على الحرم.[57]

لقد رشح عن القمة تباين فلسطيني إسرائيلي أمريكي في ملف القدس الذي فُتح للمرة الأولى، فقد اتبعت إسرائيل أسلوباً متدرجاً في التعامل مع هذا الملف بدئاً من الحديث عن الأحياء الخارجية والداخلية مع التركيز على الأحياء الداخلية وبصورة خاصة الحي الأرمني. ومروراً برفض إسرائيلي قاطع لفتح أي حوار حول "الحي اليهودي" الذي اعتبرته إسرائيل ملفاً مغلقاً غير قابل للنقاش. وانتهاءً بالنقطة التي فجرت الملف وكانت بالأساس كامنة في السيادة على منطقة الحرم وأسفله، حيث رفضت المطالب الإسرائيلية بالسيادة أسفل الحرم وبمنطقة حائط البراق، فيما لم تكن ملفات اللاجئين والحدود والأمن قد حققت أي تقدم يفضي للوصول إلى اتفاق حقيقي ونهائي.[58]

وبالرغم من المحاولات المتكررة من الرئيس الأمريكي وممارسة ضغوط على الفلسطينيين للرضوخ للمطالب الإسرائيلية، إلا أن الرئيس الفلسطيني المتمسك بالحقوق الوطنية الثابتة أصر على ضرورة إزالة الاحتلال الإسرائيلي عن كامل حدود 1967 بشكل كامل حتى لو هدد حياته بالخطر. وقد جاء ذلك بشكل صريح في العبارة المشهورة التي وجهتها وزيرة الخارجية الأمريكية مادلين أولبريت للرئيس الفلسطيني ياسر عرفات عبارتها قائله "أنت أول رئيس في العالم يقول لرئيس أكبر دولة في العالم لا،" فرد عليها الرئيس عرفات: "لا،" فقالت "أنت تعلم أيها الرئيس الفلسطيني أن الولايات المتحدة قادرة ليست فقد على إزالة قيادات بل على إزالة شعوب." لكن الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات رد عليها قائلاً "أنا أدعوك لأن تكوني أول من يسير في جنازتي." وكما أسلفنا، فقد طرح كلينتون مشروعه لتقسيم السيادة: وذلك بمنح إسرائيل سيادة سياسية على الأرض تحت الحرم ومنح الفلسطينيين سيادة دينية على المصلين فوق الأرض، فرد عرفات على كلينتون مستفسراً لماذا تصر أيها الرئيس على إبقاء سيطرة الإسرائيليين تحت أسفل الحرم: هل تعتقد بوجود هيكل تحت الحرم؟ فرد كلينتون نعم، أقسم أنا وليم بل جفرسون كلنتون أن هناك هيكل تحت الحرم. عندها أمر عرفات الوفد

---

[57] قريع. مصدر سابق. ص 302-305.

[58] محمود عباس. محاضرة في المؤتمر السادس لدار الحياة.http://www.palestine-studies.org/files/word/mdf/7862.doc استرجع بتاريخ 20-3-2011.

الفلسطيني بحزم الحقائب ومغادرة واشنطن. وبذلك انتهت قمة كامب ديفيد رسمياً يوم الخامس والعشرين من تموز عـــام 2000 دون التوصل لأي اتفاق بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل وسط فشل "للوسيط" الأمريكي المستضيف.

هنا، أضحت القيادة الفلسطينية بحالة من الإحباط بعد القمة وهذا ما استدعى بالضرورة نشاطاً دبلوماسياً فلسطينياً قاده الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، وقد جاء هذا التحرك بشكل أساسي بهدف البحث عن دعم عربي ودولي للمواقف الفلسطينية بعد بدء حالة من الفتور والجفاف في العلاقة الفلسطينية الأمريكية.[59] وهنا، كذلك، أراد الرئيس الفلسطيني أن يسلح موقف التأييد الشعبي الفلسطيني والعربي الداعم له بدعم رسمي من قبل الدول العربية بشكل خاص، وقد شملت جولات عرفات الدولية كلاً من باريس وموسكو ومدريد بشكل أساسي. أما في السياق العربي، فقد زار مصر والسعودية ودول المغرب العربي.

الموقف الإسرائيلي بعد قمة كامب ديفيد

لقد نشطت الماكينة الإعلامية الإسرائيلية بعد قمة كامب ديفيد على أكثر من صعيد، وبتدرج في المواقف. فكان ثمة بعض المواقف شبه الهادئة والتي مثلها وزير الخارجية الإسرائيلية بالإنابة، شلومو بن عامي، والذي اعتبر أن كامب ديفيد جاءت بالكثير من التقدم على شكل التفاوض والتي منها الوصول لأول مرة لنقاش قضايا الوضع النهائي وخاصة قضية القدس بهذا العمق وبالتقارب الذي تم، وتشكيل تصور عام لشكل الاتفاق المستقبلي. لكن بن عامي أنحى باللائمة على الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات حيث اتهمه بإضاعة "الفرصة التاريخية " بالتوقيع على اتفاق مع رئيس الوزراء الإسرائيلي الذي قدم ما لم يقدمه أي رئيس وزراء سابق.[60]واعتبر بن عامي في لقاء موجه للعالم العربي أن عرفات حاول تحويل الصراع إلى ديني وهو ما لا ترغبه إسرائيل على حد قوله، وأشار إلى أن الرغبة الفلسطينية بالسيادة الكاملة على الحرم وما تحته وما يحيطه حتى حائط البراق كان سبباً فلسطينياً لعدم الوصول لاتفاق، داعياً عرفات للقبول بما تم التوصل إليه.

أما رئيس الوزراء الإسرائيلي في حينه إيهود باراك، فقد قاد بنفسه الهجوم الإعلامي على الفلسطينيين، وبدأ بتحميل الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات مسؤولية إفشال القمة، وفقدان الفرصة التاريخية الذهبية للوصول لاتفاق في ظل تقديمه "عرضاً سخياً غير مسبوق للفلسطينيين." كما طرح باراك صورةً تلاعب من خلالها بالنسب التي قدمها للفلسطينيين، وشرح التفاصيل حول نسب الأراضي وتبادل الأراضي والمستوطنات المخلاة والخلاف حول السيادة والسيطرة على الحرم وفق رؤية إسرائيلية خالصة.[61] وقد تميز أسلوب عرض باراك بالهجوم المباشر وغير المسبوق على الرئيس عرفات

---

[59] ياسر الزعاترة. الدبلوماسية الفلسطينية بعد كامب ديفيد 2.www.islamonline.com استرجع بتاريخ 17-3-2011.

[60] مقابلة مع شلومو بن عامي. *الأهرام* . العدد 41561. 20 أيلول 2000.

[61] جوس داري وسييفر دينس. حرب إسرائيل الإعلامية: التضليل والمماثلة في النزاع الإسرائيلي الفلسطيني. دمشق: الأهالي للطباعة والنشر .2004. ص 19-23.

الذي وصفة بالمراوغ وغير المستعد لتقديم أي تنازل دون وجود أي نية فلسطينية للتوقيع على اتفاق نهائي، بل إن باراك وصف عرفات بالشخص الذي لا يحترم تاريخ اليهود.

وبذا، فقد برعت الرواية الإسرائيلية في تسويق نفسها من خلال أدوات النشر والإعلام الإسرائيلية والحليفة لها، وبخاصة الأمريكية، في كل أرجاء العالم والتي ارتكزت على إبراز "عدم وجود شريك فلسطيني جدي قادر على الوصول إلى اتفاق سلام،" وتحميل الرئيس عرفات المسؤولية عن الفشل، وترويج صورة ترتكز على سخاء العرض الإسرائيلي في هذه القمة وتضخيم العروض الإسرائيلية من خلال التلاعب بالنسب والمسميات في تمهيد لتحميل الرئيس الفلسطيني أية مسؤولية عن نتائج فشل هذه المفاوضات.

اللافت أن الموقف الأمريكي جاء متماهياً مع الرؤية الإسرائيلية بعد أن كان الرئيس الأمريكي بيل كلينتون تعهد مسبقاً بعدم تحميل الجانب الفلسطيني مسؤولية فشل القمة مسبقاً. وقد أشاد كلينتون بشجاعة باراك بصورة لافتة في المؤتمر الختامي للقمة الذي تلاه دعوة من قبل هيلاري كلينتون سيدة الولايات المتحدة الأمريكية الأولى لقطع المساعدات عن الفلسطينيين في حال تم إعلان الدولة من جانب واحد.[62] بل وشملت إجراءات ما بعد كامب ديفيد تصاعداً إيجابياً في العلاقات الأمريكية الإسرائيلية مقابل تراجع كبير في العلاقات الأمريكية الفلسطينية. وشهدت الأسابيع التي تلت القمة شبه انقطاع في العلاقات المباشرة بين الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات والرئيس الأمريكي كلينتون، تلاه رفض العمل على عقد قمة تالية وسريعة.

اللقاءات الأخيرة وانسداد الأفق

بعد فترة من الانقطاع في اللقاءات بين الرئيس الفلسطيني ورئيس الوزراء الإسرائيلي دامت قرابة الشهرين شهدت جولة واسعة للقاءات المكوكية بين سياسي الطرفين في أماكن مختلفة من العالم، اجتمع الرئيس عرفات بباراك في منزل الأخير في القدس في لقاء حمل أجواء من التفاؤل بإمكانية التقدم من جديد نحو حل دائم بناء على تفاهمات كامب ديفيد. وقد تمخض عن هذا اللقاء عودة انطلاق مجموعات العمل المشتركة برعاية أمريكية في واشنطن.[63] في هذا السياق، حذر الرئيس ياسر عرفات باراك من مغبة دخول أرئيل شارون زعيم حزب الليكود واليمين الإسرائيلي للمسجد الأقصى، فيما لم يكن دور القيادة الأمريكية بارزاً في هذه المرحلة مع اقتراب نهاية الرئيس الأمريكي بيل كلينتون من نهايتها وانشغال المستوى السياسي الأمريكي بالشأن الداخلي بصورة أساسية.

[62] روس. مصدر سابق. ص 870-873.
[63] قريع. مصدر سابق. ص360.

وفي الثامن والعشرين من أيلول في العام 2000، دخل شارون المسجد الأقصى دون أن يلقى أي ممانعة من قبل الحكومة الإسرائيلية برئاسة باراك وبحراسته رسمياً من قبل حوالي ألف شرطي. وقد كان هذا، بشكل مباشر، هو ما فجر انتفاضة الأقصى، ووجه الضربات النهائية لـــ"عملية السلام." ومع ارتفاع وتيرة الانتفاضة، اجتمع باراك وعرفات وأولبرايت في باريس في شهر تشرين الأول من العام 2000 من أجل محاولة وقف الانتفاضة، وتم طرح عدد من النقاط من أجل العودة إلى المفاوضات التي تطرح من خلال بيان يشمل وقف إطلاق للنار وانسحاب للقوات الإسرائيلية لخطوط ما قبل الثامن والعشرين من أيلول 2000، والانتقال إلى شرم الشيخ لعقد قمة بين الطرفين برعاية مصرية-أمريكية مشتركة. لكن الرئيس ياسر عرفات، حسب بعض المصادر، انسحب من المباحثات وتوجه إلى شيراك قبل مغادرة فرنسا لتستمر المواجهات بين الجانبين. هنا، شهدت مرحلة ما بعد باريس استخدام باراك والجيش الإسرائيلي للطيران الحربي من أجل قصف مراكز الأجهزة الأمنية الفلسطينية في مدن الضفة الغربية المختلفة وغزة، وتحوَّلت الانتفاضة إلى فرصة "ذهبية" لإسرائيل لكي تنتقم من الفلسطينيين بحرب شاملة.

الفصل الثالث:

الإعداد للمعـــركة

(الخارطة والميدان)

3.1 إرهاصات كسر السور الواقي

3.2 تشكيل غرفة العمليات المشتركة

3.3 الخطة العسكرية للمعركة كما وضعتها المقاومة الفلسطينية

3.4 تصفية المقاومة في مخيم جنين: الهدف والاستهداف

3.5 (ما قبل) اليوم الأول، الإثنين 2002/4/1: إعادة احتلال جنين

3.6 الخطة "**U**" مقابل الخطة "**O**": الخطة العسكرية لقوات الاحتلال الإسرائيلي

"إما نستشهد بالبدلة العسكرية، وإما ننتصر. لا أريد نقاش."

القائد الشهيد -أبو جندل

الفصل الثالث: الإعداد للمعركة-الخارطة والميدان

يعمل هذا الفصل على توصيف الأجواء التي سبقت شن العدوان الإسرائيلي على مخيم جنين، وبخاصة تصعيد الأعمال العدائية على المدن الفلسطينية، وحصار الرئيس ياسر عرفات في مبنى المقاطعة في رام الله، وتهيئة الساحة الإسرائيلية والعالمية لضربة موجعة للفلسطينيين باستغلال أجواء "الحرب على الإرهاب" التي أتاحتها "عقدية بوش" بعد هجمات الحادي عشر من أيلول في العام 2001 على أمريكا. يغطي هذا الفصل هذه الأجواء من إرهاصات شن عملية "السور الواقي"، كما يغطي إرهاصات كسر"السور الواقي" على يد المقاومة الفلسطينية، وذلك ببدء التجهيز لصد العدوان الإسرائيلي الذي تبدت ملامحه في اجتياح آذار 2002 لمحافظة جنين، وذلك عبر البدء بتشكيل غرفة العمليات المشتركة، ووضع الخطة العسكرية الفلسطينية للمعركة على المقاومة الفلسطينية للحيلولة دون تصفية المقاومة في مخيم جنين التي كانت هدف الحملة الإسرائيلية. وهنا، يتناول هذا الفصل سردية (ما قبل) اليوم الأول من المعركة، أي الإثنين 2002/4/1، مركزاً على فظاعة المخطط الإسرائيلي الراغب في "إعادة احتلال جنين،" وعلى تكهنات المقاومة الفلسطينية بالخطط العسكرية الإسرائيلية، وبخاص الخطة "U" مقابل الخطة "O" لاجتياح المخيم وتصفية المقاومة.

3.1 إرهاصات كسر السور الواقي

مع تكثيف عمليات العدوان الإسرائيلية على الفلسطينيين، وبخاصة بعد قدوم أرئيل شارون إلى السلطة وإطلاق خطته المعروفة بـــ"السور الواقي" التي قيل إنها جاءت رداً على العلميات الاستشهادية، أبقت المؤسسة الأمنية العسكرية الإسرائيلية كلاً من جنين ونابلس في آخر الجدول الزمني لعمليتها العسكرية التي نفذت خطة شارون. وقد جاء دور جنين دور اجتياح مخيم جنين في بداية نيسان من العام 2002، بعد أن كانت القوات الصهيونية قد اجتاحت مدين جنين بكاملها في شهر آذار. وقد ذلك مدينة نابلس في اليوم التالي، فكانت المفاجأة ليس فقط للمؤسسة العسكرية والأمنية الإسرائيلية الاحتلالية، وإنما للعالم أجمع، هذه المفاجأة التي أحدثت تغيراً سريعاً في اتجاهات السياسة، وقلبت كل الموازين، حين تبددت أحلام شارون برؤية استسلام فلسطيني سريع أمام آلة الحرب الإسرائيلية المتفوقة نوعاً وكماً في معركة مخيم جنين.

وقبيل المعركة، كان ثمة اختلاف في المواقف، في جنين وخارجها، على مستوى القيادتين العسكرية والسياسية بما يتعلق بضرورة إخلاء أو إبقاء "المطاردين" و"المطلوبين"، خاصة وأن أبرز القيادات العسكرية المطلوبة لأبرز التنظيمات كانت من فتح وحماس والجهاد الإسلامي. ففي حينه، كان مخيم جنين "الملجأ الآمن" لهم، وشكل نموذجاً لتوفير الحماية لمن عجزت إسرائيل عن الوصول لهم نتيجة لاتهامهم بالقيام بأعمال "عدائية" ضد أهداف إسرائيلية رداً على أعمالها الوحشية خلال انتفاضة الأقصى.

فرغم المطالب الواضحة من القيادات السياسية مثل مطالبة رمضان شلح رئيس حركة الجهاد الإسلامي لمحمود طوالبة بضرورة خروج أبرز المطلوبين من الجهاد الإسلامي، وما شابه ذلك في حالة الفصائل الأخرى كحركتي فتح وحماس، ولكن هؤلاء المقاومين آثروا البقاء والمقاومة للنصر أو والاستشهاد على الخروج من المخيم لتكتمل صورة الملحمة لتعبر عن صدقيتهم أمام أهالي المخيم الذين آمنوا برسالة الجهاد والاستشهاد ذاتها. وهنا، تميز ردي الشخصي في "أن بقاءنا هو أكبر رسالة للأهالي بأنه ليس أبناؤهم الوحيدين الذين يرسلون للاستشهاد في العفولة وحيفا، بل ونحن أيضاً كشباب مسئولين وقياديين في هذا المخيم والمحافظة، علينا أن نتحمل المسؤولية ونثبت للناس بأننا نحن أيضاً على نفس الدرجة من الاستعداد للتضحية." وبالتالي، كان القرار بالصمود من زاويتين: ضرورة تحدي الصلف الاحتلالي الإسرائيلي، ومراهنة الأخ الرئيس أبو عمار على صمود مخيم جنين وقدرته على اجتراح معجزة ستتحول إلى أسطورة. وكذلك، فقد كانت المعنويات العالية جداً داخل المخيم حافزاً إضافياً لإصرار القيادات العسكرية على البقاء في المخيم.

3.2 تشكيل غرفة العمليات المشتركة

لقد كانت "غرفة العلميات" التي تم تشكيلها قبل بدء معركة مخيم جنين بمثابة القيادة الميدانية المباشرة للمعركة، ولكن ليس بالمفهوم العسكري الكلاسيكي والنظامي الرسمي، بل أقرب إلى حرب العصابات وحرب الشوارع. إن الاجتياحات المتكررة لمخيم جنين جعلت هناك حاجة ماسة لتشكيل قيادة عسكرية مشتركة لفصائل العمل الوطني والإسلامي والأجهزة الأمنية، وذلك لتكون مسئولة مسؤولية مباشرة عن وضع الخطط العسكرية اللازمة والكفيلة بتدعيم مقاومة أهالي مخيم جنين وصمودهم. لذلك تم تشكيل غرفة عمليات مشتركة تمثل كافة الأجنحة العسكرية للقوى الوطنية والإسلامية والأجهزة الأمنية الفلسطينية.

لقد كان عدد المقاومين في غرفة العمليات سبعة أخوة، حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح (ممثلة بمقاومِين من كتائب شهداء الأقصى)، وحركة المقاومة الإسلامية حماس (ممثلة بمقاومِين من كتائب عز الدين القسام)، وحركة الجهاد الإسلامي (ممثلة بمقاومِين من سرايا القدس)، والأجهزة الأمنية الفلسطينية، وخاصة جزء من القوة التنفيذية في الأمن الوطني، وكان هؤلاء ممن تبعوا القائد أبو جند حين قال: "من يريد الشهادة، ويشارك في معركة كمعركة بيروت، فليتبعني إلى مخيم جنين."

وقد اتفق جميع المقاومين في غرفة العمليات المشتركة أن يكون المقاوم يوسف ريحان قبها (أبو جندل) رئيساً لغرفة العمليات المشتركة، وذلك لخبرته العسكرية وتجربته الكبيرة في لبنان وخوضه معارك عديدة في صفوف حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح والثورة الفلسطينية، ولتدريبه رفيع المستوى على أيدي قوات العاصفة والحرس الجمهوري العراقي، ولحكمته وشجاعته وإرادته وهمته العالية، والاستعداد الكامل للتضحية عبر تاريخه النضالي الطويل. وصار يعرف بعدئذ

بـــ"المايسترو" أو "الدينمو." وقد تم إطلاع القائد الوطني مروان البرغوثي، الذي كان على تواصل مستمر مع الرئيس أبو عمار، على تفاصيل غرفة العمليات، وكان على تواصل مباشر معي ومع الشهيد زياد العامر. وهنا، تم الاتفاق على أن يكون هناك مقران لغرفة العمليات المشتركة، في حال دمِّر أحدهما يُعتمد الثاني. وكان المقر الأول بالقرب من بيت أبو كمال الطوباسي، والثاني في بيت بسام الدمج، إلا أنه مع تقدم أحداث المعركة تم تدمير المقرين وأصبحت كل البيوت مقرات!

وعلى الرغم من وجود مرجعية ميدانية وتنظيمية لكل الأخوة في غرفة العمليات، إلا أن التنسيق كان على مستوى عال جداً من السرعة والدقة والثقة، وكان يقع على عاتق قيادة غرفة العمليات المشتركة وضع خطة عسكرية تساهم في مقاومة قوات الاحتلال الإسرائيلي والدفاع عن أهالي مخيم جنين، بغية تحقيق النصر على الاحتلال الصهيوني، وكان المطلوب من جميع المقاومين الالتزام بالخطة العسكرية المرسومة. وعلى الرغم من المعرفة التامة لقدرات وعدة وعديد المقاومة عسكرياً، وتواضعها وبساطتها إذا ما قورنت بعدة وعديد قوات الإسرائيلية وضخامتها وفعاليتها وفتكها وقدرتها التدميرية الكبيرة، إلا إن الروح المعنوية والقتالية للمقاومين الفلسطينيين كانت مرتفعة مقارنة بالجنود الإسرائيليين القادمين، كغزاة، إلى "عش الدبابير،" فهذا يقاوم في بيته ومكانه وبين أهله ودفاعاً عنهم، وذاك يقاتل بعيداً عن بيته ومكانه وأهله، وخدمة لحرب قذرة تُشن على لاجئين رُحِّلوا من أوطانهم أكثر من مرة.

وقد تم التوافق على تشكيل لجان مختلفة مختصة في غرفة العمليات المشتركة، هي: (1) اللجنة العسكرية-الأمنية، ومهمتها إحصاء احتياجات المقاومة العسكرية، وتجمع المعلومات عن تحركات قوات الاحتلال الإسرائيلية، ومكافحة عمليات الاختراق الأمني؛ (2) واللجنة الإعلامية، ومهمتها مخاطبة وسائل الإعلام المحلية والعربية والدولية ووضعها في صورة سير وتطورات المعركة، وخوض معركة الحرب النفسية ضد القوات الصهيونية بالتعاون مع لجنة التعبئة والتحريض؛ (3) واللجنة التموينة، ومهمتها توفير كل ما يحتاجه المقاومون والأهالي من مواد تموينية وغذائية وإمدادات؛ (4) واللجنة الصحية، ومهمتها توفير الدواء والإسعافات الأولية، والعمل على متابعة أوضاع الجرحى أثناء سير المعركة؛ (5) ولجنة التعبئة والتحريض، ومهمتها العمل على رفع المعنويات وشحن الهمم للأهالي والمقاومين من خلال بيانات وإشارات والتكبير والأغاني والأناشيد الثورية عبر مكبرات الصوت في المساجد ومكبرات الصوت المحمولة على السيارات ومكبرات الصوت اليدوية، وتثبيط عزيمة جنود قوات الاحتلال الإسرائيلي من خلال مخاطبتهم باللغة العبرية. ولا بد من التنويه، أنه رغم تداخل عمل اللجان تبعاً لتطور الأحداث، إلا إنك تجد المقاوم ناطقاً إعلامياً ومسعفاً ومحرضاً ويعمل على توفير التموين والغذاء للأطفال، كيفما اقتضت الضرورة.

3.3 الخطة العسكرية للمعركة كما وضعتها المقاومة الفلسطينية

على الرغم من بساطة الخطة العسكرية الفلسطينية وتواضعها، فقد تم وضعها بناءً على تجارب المقاومين في الميدان وتراكم خبراتهم، وليس بناءً على دراسات عسكرية أكاديمية بحتة على الرغم من وجود عسكريين ساعدوا في رسم ملامح الخطة وأركانها مثل العميد ركن الدكتور خالد علا، والمقدم أبو محمد الديك، والنقيب أبو جندل رئيس غرفة العمليات المشتركة، حيث ارتكزت الخطة العسكرية على البنود التالية:

1. مروان البرغوثي: مبدأ "الوحدة الوطنية (داخل مخيم جنين) قانون الانتصار"

الوحدة الوطنية هي قانون الانتصار، كما يردد دائماً القائد الوطني الكبير الأسير مروان البرغوثي، وهي سر النجاح لأي مقاومة في العالم. ولعل من أهم عوامل حسم المعركة وحدة المقاومين على الأرض، إضافة إلى الإيمان والاستعداد والجاهزية، حيث كان من أهم عوامل الصمود والنصر في معركة مخيم جنين انصهار المقاومين في بوتقة قيادة مشتركة واحدة وانصهار هذه القيادة بالأهالي، وإلغاء التقسيمات الحزبية والتنظيمة، حيث كان لهذه الوحدة الوطنية الأثر الكبير في رفع روح المقاومة معنوياً، وروح المجابهة والصمود لدى أهل المخيم في وجه قوات الاحتلال الإسرائيلية.

وقد تجلت أروع وأبرز أوجه هذه الوحدة الوطنية، التي عزَّ نظيرها، في صور ومشاهد كثيرة، إذ الكل يتسابق في تقديم كافة إمكانيات المقاومة والصمود التي لديه من مال وسلاح وافتداء بالروح والدم، كما حصل في الكثير من مواقف استشهاد الإبطال والمقاومين في عمليات عسكرية مشتركة انصهرت وامتزجت فيها دماؤهم، واختلطت أشلاؤهم، وتوحدوا حتى في قبورهم المشتركة التي ما زالت ماثلة لكل من يريد معرفة معنى الوحدة في الميدان ووحدة الدم والمصير، قبل المعركة وبعدها.

وعندما كانت قيادة فصائل العمل الوطني والإسلامي ترغب في مناقشة قرارات مهمة وصعبة في مخيم جنين، مثل وقف العمليات العسكرية أو التهدئة مثلاً، كان أعضاء غرفة العلميات المشتركة، أو من ينوب عنهم، يجمعون قيادة الشعب الفلسطيني وفصائله في غرفة اتصال واحدة في مخيم جنين: الرئيس الشهيد أبو عمار، القائد مروان البرغوثي-مهندس انتفاضة الأقصى ورئيس أركانها، السيد خالد مشعل، القائد صلاح شحادة، الدكتور رمضان شلَّح، الرفيق أحمد سعدات، وغيرهم... من خلال موجة مفتوحة من الاتصالات مع القادة الميدانيين الذين كانوا يفتحون هواتفهم النقالة على الصوت العالي ليسمع الحاضرون مواقف القادة، خارج نطاق المعركة المباشرة، وآرائهم. وعندما كانت تبرز هناك خلافات سياسية عليا، لم نكن نسمح لهذه الخلافات أن تصل إلينا، فوحدة الميدان كانت خطاً أحمر محظور على الجميع تجاوزه، وفي حال حدوث أي خلاف، كان قادة المقاومة يتداعون إلى لقاء سريع لتفادي أي إشكال مهما كان، وذلك حتى لا ينتقل الخلاف إلى المقاومين، وتحل الهزيمة الداخلية.

لقد كان حصار الرئيس ياسر عرفات في المقاطعة في رام الله وصموده ومقاومته وتحليه بمعنويات عالية واستعداده للتضحية بنفسه من أجل الحفاظ على الثوابت عاملاً مهماً في رفع معنويات المقاومين، وبخاصة صورته في الظلام بعد قطع الكهرباء عن مباني المقاطعة وهو يظهر على ضوء شمعة ويتحدث على الهاتف النقال وسلاحه الرشاش أمامه على الطاولة، عندما قال: "يريدونني قتيلاً أو طريداً أو أسيراً، وأنا بقولهم: شهيداً، شهيداً، شهيداً." وبذا، فقد كان هذا إضافة إلى تواجد قيادات الفصائل الوطنية والإسلامية وقادة الأجنحة العسكرية في مقدمة المقاومين الأثر الكبير في زيادة توحد المقاومين والأهالي، فليس المقاومون وحدهم في الميدان، بل يلتف حولهم الأهالي والقيادة السياسية.

وقد تجلت هذه الوحدة الوطنية السياسية والميدانية، والالتحام بالجماهير، بتقبل الأهالي لكل ما طلب منهم في تغيير واجهات منازلهم وشبابيكهم وأبواب بيوتهم، وتطبيق أجزاء من الخطة العسكرية عبر فتح ثغرات صغيرة في بعض الجدران لمرور المقاومين، أو تنفيذ بعض بنود الخطة العسكرية، أو ما اقتضته المواجهات والمعارك المختلفة من فتح طاقات للقنص، أو المراقبة، أو غير ذلك. ومن الصور الأخرى للوحدة الوطنية في أول أيام المعركة أن كان المقاومون يضعون السلاح أمامهم ويصلون جماعة في مشهد مهيب مؤثر من الإيمان بالله، والاعتزاز بالقوة العسكرية، على تواضعها، التي تمتلكها المقاومة بغية الحفاظ على كرامة أهالي مخيم جنين خاصةً، والشعب الفلسطيني عامة.

كما اكتملت صورة هذه الوحدة الفريدة بالتفاف أهالي محافظة جنين ومقاوميها في المدينة والريف ودعمهم مقاومة وصمود مخيم جنين بالمال والسلاح والذخيرة والمواد التموينية والدوائية، وفتح بيوتهم للأسر المشردة من أبناء المخيم، ولبعض المقاومين الذين تمكنوا من النجاة بأنفسهم في اللحظات الأخيرة من الحصار. فلا زلت أذكر كيف قام الأطفال بالتبرع بمصروفهم اليومي، والبنات منهم بحليهن المتواضعة، من أجل المقاومة في مخيم جنين؛ وكيف قدم راعي الكنيسة في قرية الزبابدة وتبرع بمبلغ كبير أصر على دفعه للمقاومين مباشرة تأكيداً على وحدة الشعب الفلسطيني، مسلميه ومسيحييه، في دعمه للمقاومة.

2. دراسة طوبروغرافية محافظة جنين ووضع الخطة العسكرية لإعاقة قوات الاحتلال الإسرائيلية

على مستوى مدينة جنين، تم تقسيم مدينة جنين إلى حارات ومحاور، كما تم توزيع المقاومين فيها مزودين بالسلاح بأنواعه المختلفة، وكميات من الذخيرة، وأجهزة الاتصال من ميرسات وبلفونات، كما تم البدء بإعداد خطط الكمائن، وتفخيخ مداخل المدينة، خاصة شارع نابلس وبير الجمَّال وشارع السويطات والألمانية والمنطقة الصناعية. كما تم التنسيق بين المقاومين في المدينة على ضرورة العمل على إبطاء تقدم قوات الاحتلال الإسرائيلية، وإرباكها، وخلق بلبلة في صفوفها من خلال الاشتباكات في كافة محاور مدينة جنين، وتفجير الألغام الأرضية والعبوات الناسفة، وإلقاء الأكواع المتفجرة. وقد قام المقاومون في المدينة والأهالي بتزويد المقاومة في مخيم جنين بكل المعلومات عن تقدم قوات الاحتلال الإسرائيلية.

وأما على مستوى ريف محافظة جنين، فقد تركز دور أهالي قرى المحافظة أثناء المعركة في مراقبة ورصد عدة وعتاد وعديد وبداية تحرك قوات الاحتلال الإسرائيلية وآلياته القتالية أو الداعمة، وأية معلومات أخرى، حيث تم إقامة مجموعة اتصالات مباشرة (ميرسات وبلفونات) مع مقاومين سريين أوفياء في القرى المجاورة، وخاصة تلك التي تتواجد على خط تحرك قوات الاحتلال الإسرائيلية، مثل: محور (زبوبة، رمانة، السيلة الحارثية، اليامون، كفر دان)، ومحور (الزبابدة، قباطية، مثلث الشهداء)، ومحور (عرابة، مثلث الشهداء، برقين، واد برقين).

وقد اشتملت الخطة العسكرية على تشكيل مجموعات عسكرية لإعاقة تقدم قوات الاحتلال الإسرائيلية وضربها، حيث تركز دور هذه المجموعات في زرع العبوات الناسفة والألغام الأرضية في مداخل السيلة الحارثية واليامون وتفجيرها. هذا بالإضافة إلى تواجد عدد من أبناء هذه القرى، والريف بشكل عام، داخل مخيم جنين وانضمامهم إلى المقاومين للدفاع عن المخيم، خاصة وأن كثيراً منهم كان منضوياً تحت راية المقاومة بفصائلها المختلفة، وعاشوا، قبل المعركة، داخل المخيم فترة طويلة حيث كان المخيم ملاذهم الآمن، وبخاصة "المطاردين" و"المطلوبين" لقوات الاحتلال الإسرائيلية خلال انتفاضة الأقصى. ومن هؤلاء المقاومين: الشهيد أمجد الفاخوري من قرية جبع من كتائب شهداء الأقصى والذي استشهد داخل المخيم، والشهيد طارق دراوشة من كتائب شهداء الأقصى، والشهيد قيس عدوان من قرية سيريس من كتائب القسام، ومحمد العانيني من قرية عانين من سرايا القدس، والشهيد الشيخ رياض بدير من مدينة طولكرم من سرايا القدس، والشهيد محمود أبو هنود من عصيرة الشمالية في نابلس من كتائب القسام.

3. دراسة طوبروغرافية مخيم جنين ووضع الخطة العسكرية لمواجهة قوات الاحتلال الإسرائيلية

قامت غرفة العمليات المشتركة والقادة العسكريين للفصائل الوطنية والإسلامية بعمل مسح شامل لطبوغرافية مخيم جنين، حيث تم القيام بجولة ميدانية في كافة حارات المخيم، ودرست كل حارة وكل محور من أجل الوصول إلى أنجع خطة عسكرية ممكنة تواجه قوات الاحتلال الإسرائيلية وتكبدها أفدح الخسائر. وهنا، خلص قادة المقاومة إلى وضع خطة مفصلة تعمل على تحصين دفاعات المخيم، وتجعل كل أزقته وبيوته وحاراته وشوارعه خطراً على قوات الاحتلال الإسرائيلية، خطة تساعد المقاومين على التحرك السريع والكر والفر والتخفي عن مراقبة تكنولوجيا طائرات التجسس، وتجعل كل أهالي المخيم مقاومين، كل حسب مكانه وقدرته، وذلك تبعاً للخطة التالية:

أولاً : تم تقسيم مخيم جنين إلى حارات على شكل (محاور)

بلغت تقسيمات المخيم أحد عشر محوراً، وهي: حارة أبو السباع وشارع المستشفى؛ حارة الدمج؛ حارة شارع الغُبَّس؛ حارة شارع مهيوب (الجابريات)؛ حارة السمران؛ حارة جورة الذهب؛ حارة الحواشين؛ حارة الساحة؛ حارة

السكة والمنطقة الغربية (حارة طوالبة)؛ حارة عبد الله عزام؛ وحارة الطوباسي. وبعد تقسيم المخيم إلى حارات، تم اتخاذ قرار باعتماد خطة مشابهة ومضادة للخطة التي استخدمها قوات الاحتلال الإسرائيلية في اقتحام مخيم بلاطة في شهر آذار للعام 2002 (من بيت لبيت)، وقام المقاومون في مخيم جنين بفتح ثغرات في الواجهات والحيطان في البيوت حتى يستطيع المقاومون السير والعمل بمرونة أكبر، فصارت حارات المخيم، التي غدت "محاور"، الضيقة أصلاً بفعل (عدم) التخطيط المعماري للمخيم، أشبه بمترو الأنفاق تحت الأرض، ما سهَّل الاختباء لأفراد المقاومة، وأسهم بشكل كبير في حمايتهم نسبياً، وساعد في مباغتة العدو وضربه.

وقد تم وضع سواتر ترابية في الشوارع الرئيسة، إضافة إلى حاويات النفايات الكبيرة مليئة بالتراب والحجارة، والسيارات المستعملة، كما تم وضع كرافان مليء بالتراب والحجارة في الشارع القريب من المسجد الكبير باستخدام الجرافات المحلية التي قامت، أيضاً، بحفر خنادق كبيرة على أبواب المخيم (وخاصة الجنوبية)، وكانت هذه السواتر مفخخة بالعبوات الكبيرة والألغام الأرضية. وفي خطورة مشابهة، تم القيام بوضع متاريس من أكياس رملية في الأزقة، حيث تم ملؤها بالرمل الأحمر لتحمي المقاومين أثناء الاشتباكات، وتساعدهم في قنص العدو الإسرائيلي، أو مراقبة تحركاته. كما تم وضع قناصة من المقاومين المدربين في البيوت، وفتح طاقات صغيرة ورش الماء عليها حتى لا يكون هناك غبار أو شظايا من الحائط قد تؤذي المقاومين، وقد خدمت كذلك كمتاريس لحماية المقاومين من نيران العدو. وأخيراً، تم تجميع إطارات السيارات بكميات كبيرة ثم حرقها من أجل عمل سحابة سوداء تغطي وتموه على استعدادات المقاومة داخل الحارات والزقاق .

ثانياً : توزيع المقاومين على شكل مجموعات في الحارات

كان عماد كل مجموعة من المقاومين أفراد من القوة التنفيذية من الأمن الوطني، وبلغ العدد الإجمالي لكل مجموعة من (10-15) مقاوماً، أكثر أو أقل، حسب الظروف والموقف الميداني وشدة المواجهة. وكان هناك مجموعات متحركة من 3-4 مقاومين يتحركون مع قادة المقاومة من مجموعات الدعم المتحركة مثل الشهيد زياد العامر والشهيد محمود طوالبة والشهيد محمود الحلوة. وكان هناك مجموعة خاصة من القوة التنفيذية في الأمن الوطني يرافقهم شبل اسمه (إياد حسن العيشة) تم فرزه ليرافق الشهيد أبو جندل والمجموعة حتى يكون دليلهم في حارات المخيم وأزقته، ذلك أن أبو جندل لم يكن يعرف المخيم بكفاءة أبناء المخيم أنفسهم من ناحية ميدانية. وتم الاتفاق على أن تبقى هذه المجموعة متواجدة مع الشهيد أبو جندل وتسمى "قوة احتياط باليد" أو "قوة إسناد،" وهي قوة تعزيز متحركة، كلما كان هناك ضغط في إحدى الجبهات أو الحارات تتوجه هذه المجموعة للإسناد والدعم وتخفيف الضغط.

وقد اشتمل عتاد كل مجموعة على تجهيزات كاملة، حسب الإمكانيات، شملت أجهزة اتصالات ميرسات جوال وبطاريات شحن وبطاريات احتياط، وتم استخدام أجهزة اتصالات على شبكة سلكوم وأورانج لأن قوات الاحتلال

قامت بقطع شبكة جوال. وكان ذلك لتسهيل التواصل بين المجموعات وتزويد بعضهم البعض الآخر بالمعلومات وتحذير المجموعات في حال تعرضهم للخطر. وعلى الرغم من إدراكنا بأن الأجهزة والخطوط مراقبة من قبل العدو، إلا إن سرعة الحركة والتنفيذ كانت تفسد على العدو أية إمكانية لتحليل المعلومات بغية استثمارها. كما أننا استخدمنا التمويه والتضليل في كثير من الحالات.

كما تم تشكيل مجموعة أشبال مختصة بحمل حقائب مليئة بالأكواع المتفجرة، وهي قنابل يدوية الصنع وزجاجات المولوتوف، حيث تم تصنيع قرابة 2000 زجاجة مولوتوف. وأحياناً كان الأشبال يقومون بإلقاء الحجارة للتمويه وإعاقة قوات الاحتلال وإرباك خططهم المرسومة على أساس مواجهة مسلحين بأسلحة نارية. وبالإضافة إلى إسعاف الجرحى، كان من مهمات الأشبال محاولة جمع أسلحة من يستشهدون من المقاومين، أو أية "غنائم" يمكن اقتناصها من قتلى أو جرحى قوات العدو. وعند استشهاد أو اعتقال احد المقاومين يحمل الأشبال سلاحهم .

أما أسلحة هذه المجموعات، فقد تفاوتت بين بنادق كلاشينكوف تقرر أن تستخدم في الهجوم، وبنادق إم-16 تقرر أن تستخدم في الانسحاب والتغطية، وبنادق إم 1 (التي يسميها المقاومون أم حسن)، ومسدسات من مختلف الأنواع، وكميات من الذخيرة تكفي المجموعة، وإن حصل نقص في الذخيرة أو المقاومين، يتم سد النقص مباشرة من مجموعات أخرى.

ومن حيث المواد التموينية، فقد تم توفير بعض الكميات من المعلبات والخبز والساندويشات السريعة، وتم الاتفاق مع محلات المخيم والبقالات تزويد المقاومين بما يحتاجونه على أن يتم دفع كل ما يترتب على المقاومة لاحقاً، هذا بالإضافة لما يزوده الأهالي للمقاومين أثناء المعارك. وفي هذا السياق، تم تزويد المجموعات بحقائب إسعاف أولي (يود، شاش، لاصقات، أسبرين)، وحمالات لنقل الجرحى تم جلبها من مستشفى جنين الحكومي، مع أنه كان من المقرر توفير عيادات بسيطة متحركة (في حارات الدمج والحواشين والطوباسي)، لا مجرد إسعافات أولية. كما زودت المجموعات بلمبات ليلية صغيرة تحسباً لقيام قوات الاحتلال الإسرائيلي بقطع التيار الكهربائي؛ وكذلك تجهيز ماتور كهرباء وبطاريات سيارات من أجل مواصلة شحن وسائل الاتصالات ولاستخدامه في تفجير العبوات الناسفة والألغام عن بعد. كما تم شراء مطارق كبيرة (مهدات) تحسباً لوجود أي طريق مسدود أو جدار أو باب مقفل أو محاصرة أحد المقاومين تحت الأنقاض؛ ومقصات معدن لقص أي أسلاك شائكة في الطريق.

ومن ناحية "سلاح الإشارة"، كان هناك كلمات سر بين المقاومين والمجموعات المختلفة، على الرغم من أنها لم تستخدم لفترة طويلة لصغر المكان ومحدوديته وسرعة التحرك وتبادل المعلومات... لكنها كانت مادة للتندر وتخفيف أجواء المعركة الشديدة! وكلمات السر كانت عبارة عن تكبيرات، وكل تكبيرة كانت تدل على شيء: فتكبيرة واحدة، مثلاً،

تدل على مقتل جندي، أو سقوط شهيد، أو تقدم قوات الاحتلال، وهكذا. ومن هذه الإشارات، أيضاً، بين المقاومين طرق أعمدة الكهرباء والهاتف بطريقة معينة كل طريقة تدل على حدث ما كسقوط شهيد أو مقتل جندي أو تقدم قوات جنود احتلال إسرائيليين.

ثالثاً: زرع العبوات الناسفة والألغام الأرضية

كما تمت الإشارة سابقاً، تم زرع العديد من العبوات الناسفة والألغام (بكافة أنواعها) للأفراد والآليات في كل الشوارع الرئيسية المؤدية للمخيم والفرعية والأزقة، ليتم تفجيرها إما بالأسلاك عبر إيصالها بالكهرباء، أو بواسطة بطاريات سيارات أو بسحب الكرت لإيصال الدائرة الكهربائية بواسطة سلك أو حبل، حيث كان يتم إخفاء الأسلاك والحبال عبر دفنها في الأرض أو ربطها مع أسلاك الكهرباء والتلفون العادية. كما تم تفخيخ بعض الجدران والسيارات ومواسير وسخانات المياه الكبيرة (كما فعل الشهيد محمود الطوالبة) والصرف الصحي بشكل كثيف جداً.

4. دراسة تجارب الاجتياحات السابقة لمخيم جنين

من خلال دراسة الحالات السابقة لمخيم جنين، كان نقص العتاد أكثر نقاط الضعف لدى المقاومة. وعليه، فقد تركز عمل قيادة المقاومة على تلافي هذا النقص أثناء التحضير لمعركة مخيم جنين. فقد تم جلب المزيد من الأسلحة والذخيرة بكافة أنواعها، حيث كانت المقاومة تحصل على السلاح والذخيرة من خلال: (1) الشراء من "عصابات" ذات علاقة بجنود وضباط الاحتلال الإسرائيلي الذين كانوا يسرقون الأسلحة أو يهربونها من المعسكرات الإسرائيلية للمتاجرة فيها؛ (2) شراء السلاح المهرب من الأردن؛ (3) التبرع بأسلحة قديمة من قبل شيوخ كبار السن مثل بندقية إم-1 (أم حسن)، ورشاش 250 ورشاش 300 (أبو حسن) كما كان يطلق عليه المقاومون؛ (4) الحصول على أسلحة وذخيرة بعض الأجهزة الأمنية في السلطة الفلسطينية التي تم الحصول عليها من خلال بعض أفرادها من المقاومين أو حتى مدرائها، أو عبر اتفاقيات خاصة مع قادة أجهزة معينة؛ (5) جمع الأسلحة والذخيرة من مقرات الأجهزة الأمنية وبخاصة بعد هدم المقاطعة في جنين ومقرات الأجهزة الأمنية، حيث وجدت المقاومة كميات كبيرة من الذخيرة من رصاص الكلاشينكوف و إم-16 ورصاص 14؛ (6) جلب أسلحة وذخيرة من ريف جنين ومن محافظات أخرى في الوطن؛ (7) الحصول على قطعة آر-بي-جي مصادرة تم تزويد المقاومة بها من جهاز الشرطة. هذا بالإضافة إلى تكثيف عملية تصنيع الأكواع المتفجرة، والعبوات بأنواعها المختلفة، وزجاجات المولوتوف، وذلك من خلال فتح ورشات جديدة، وزيادة المقاومين العاملين فيها، ودعم شراء المواد اللازمة للتصنيع.

5. دراسة تجارب الاجتياحات السابقة لمناطق فلسطينية أخرى

في هذا السياق، تمت دراسة ثلاث تجارب من الاجتياحات، هي: (1) حصار الرئيس الشهيد ياسر عرفات في المقاطعة في رام الله، حيث تم الوصول إلى مكتبه على مرأى من العالم أجمع. وقد أعطى ذلك النموذج المقاومة في مخيم جنين

قناعة أنه لا توجد حصانة لأحد، وأن العالم والوعي الإنساني يمكن أن يكون أعمى أو يتعامى، ويصمت على جرائم الاحتلال ويغطي عليها، وحتى يقف حائلاً دون وقف إطلاق النار ليمكل جيش الاحتلال الإسرائيلي "مهمته." ولذا، كان صمود المقاومة حتمياً لأن البديل هو وحده النهاية والعيش بذل؛ (2) وتجربة ما تعرض له مخيم بلاطة في (أثناء حرب المخيمات في العام 2001-2002) لاجتياح كامل، واعتماد قوات الاحتلال خطة "من بيت-لبيت" في اقتحام المخيم وهدم جدران البيوت... ما جعل المقاومة في مخيم جنين تخطط لاتباع نفس الأسلوب في مواجهة قوات الاحتلال في معركة جنين المرتقبة؛ (3) وتجربة اجتياح مدينة رام الله وقتل أعداد كبيرة من المواطنين وأفراد الأجهزة الأمنية بدم بارد، ما جعل المقاومة في جنين أكثر تصميماً وحذراً في مواجهة قوات الاحتلال الصهيوني، وعدم المراهنة بأي شكل من الأشكال على أي نوع من التعاطف، بل الاعتماد على قوة الردع المسلحة.

6. محاولة التكهن بالخطة العسكرية لقوات الاحتلال الإسرائيلية

لقد تم التكهن بالخطة العسكرية لقوات الاحتلال الصهيونية استناداً إلى ثلاثة مصادر معلومات: (1) من خلال تتبع ورصد وسائل الإعلام الإسرائيلية المرئية والمقروءة والمسموعة وتحليل كل من "المعلومات" و"الدعاية" التي تبثها؛ (2) ومن خلال تحليل المعلومات الواردة من نقاط الاستطلاع في القرى المجاورة على المحاور الأربعة التي تقدمت منها قوات الاحتلال الإسرائيلية، حيث كان هناك مجموعات رصد لا تنام من أجل مراقبة ومتابعة تحركات جيش الاحتلال الإسرائيلي؛ (3) ومن خلال خبراء عسكريين فلسطينيين، مثل العميد خالد علا، الذي أفادنا بأن هذا الهجوم هو هجوم كسر عظم لمعرفته ماذا يعني تقدم مثل هذا العدد من قوات الاحتلال الإسرائيلية وآلياتها، وما أفاد به بعض القادة السياسيين والأمنيين المحنكين، عبر اتصالهم المباشر معنا، وعلى رأسهم القائد الوطني مروان البرغوثي؛ ومن خلال بعض الخرائط والوثائق التي تم الحصول عليها في اجتياح آذار 2002 والتي تصف بيوت المخيم مرقمة، وبيوت بعض المطاردين، وقد وضع عليها إشارات خاصة، وفيها مداخل ومحاور المخيم.

فعلى **المستوى التخطيطي**، وبناءً على هذه التحليلات، المتواضعة لكن الدقيقة، فقد تم التنبؤ بأن الخطة العسكرية الإسرائيلية ستكون على شكل حرف (O) بالإنجليزية، بتغيير ملحوظ للخطة العسكرية التي اتبعت في شهر آذار والتي اتخذت شكل حرف (U) بالإنجليزية. وكنا على علم، من مواجهات سابقة ومن تاريخ حروب إسرائيل وأبجديات العمل العسكري عموماً، بأن الخطة العسكرية لقوات الاحتلال الإسرائيلية سترتكز على جمع مكثف للمعلومات حول إمكانيات المقاومة الفلسطينية في جنين، من حيث العدد والعدة، وذلك من خلال شبكات العملاء (على قلة فاعليتهم في المخيم)، ووسائل الإعلام، والمصادر التجسسية الأخرى التي تتيحها التكنولوجيا الحربية العالية لدى إسرائيل التي تشمل ما يلتقط من صور جوية عبر أقمار صناعية، وطائرات استطلاعية، وما يرفدها من رسم خرائط وترقيم حارات ومنازل ومؤسسات وشوارع وأزقة في مخيم جنين... كما تبين من خرائط حربية فعلية غنمها المقاومون من جنود صهاينة أثناء معركة آذار 2002.

وعلى **المستوى السياسي والإعلامي**، توقعنا أن تقوم إسرائيل، كالعادة، بعملية تعبئة واستنفار أمني وعسكري وسياسي وإعلامي على المستويين المحلي، لإقناع المجتمع الإسرائيلي بحتمية المواجهة وضرورة الحرب، والعالمي ليس لتبرير حملتها العسكرية الظالمة، بل ولتبرير ما ستقترفه من مجازر ستظهر بعد انسحاب قواتها. وقد ظهر ذلك جليا في تكرار شمعون بيرس، وزير خارجية العدو في حينه، لمقولة بن غوريون: "وجود إسرائيل أهم من صورتها" في معرض رده على الصحافة الإسرائيلية والعالمية التي تساءلت حول جرائم العدو في جنين بعد انقشاع غبار المعركة.

وأما على **المستوى العسكري الميداني**، فقد تم التنبؤ بنية قوات الاحتلال الإسرائيلية السيطرة على المناطق المرتفعة والمشرفة على مخيم جنين، مثل: حرش السعادة، ومنطقة الجابريات، وجبل أبو ظهير، وخلة الصوحة. هذا بالإضافة إلى السيطرة الجوية من خلال تواجد طيران كثيف ومتواصل للتجسس، والتمشيط، والقصف، والترهيب. وقد تم التنبؤ بأن يكون هناك تجميع وحشد كبيرين لقوات الاحتلال الإسرائيلية وآلياتها، وتجنيد لقوات من وحدات النخبة لجيش الاحتلال الإسرائيلي و"درة تاجه"، كما يسمونها، لوائي جفعاتي وجولاني، إضافة إلى الناحال (وهم "الشبيبة الطلائعية المقاتلة")، والمظليين، بالإضافة إلى استدعاء أكثر من عشرين ألف جندي من قوات الاحتياط في الضفة الغربية ليكونوا على أهبة الاستعداد. كما دفعنا حجم التهويل للمعركة من قبل العدو الصهيوني أنه سيكون إشراف مباشر من القيادة السياسية والعسكرية والأمنية على سير العمليات العسكرية في جنين، الأمر الذي تحقق بالفعل في مراحل متقدمة من المعركة، حيث شارك في الإشراف على العمليات كل من أرئيل شارون، وبنيامين بن إليعيزر (فؤاد)، وشاؤول موفاز، وموشيه يعالون).

3.4 تصفية المقاومة في مخيم جنين: الهدف والاستهداف

في إطار ما يعرف بـــ"عملية السور الواقي،" والتي شنتها دولة الاحتلال الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني وقيادته، وعلى رأسها الرئيس الراحل ياسر عرفات في شهر آذار من العام 2002، حددت إسرائيل أهدافها من هذه العملية، معلنة وغير معلنة. وقد اشتملت **الأهداف المعلنة**، وهي أهداف أرئيل شارون-رئيس الوزراء في حينه، فكانت: (1) دخول مدن الضفة الغربية التي تحولت مع الوقت لملجأ لـــ"الإرهابيين؛" (2) اعتقال وقتل المخربين وبالذات مرسليهم وممولهم ومن يوفر لهم الغطاء؛ (3) ضبط ومصادرة الأسلحة والوسائل القتالية المعدة للمساس بأمن إسرائيل ومواطنيها؛ (4) كشف وتدمير معدات الإرهاب ومختبرات تصنيع العبوات الناسفة ومصانع إنتاج الأسلحة ومخابئها السرية. فيما تجلت **الأهداف غير المعلنة** في أن حكومة إسرائيل، برئاسة شارون، أدركت أن المكانة التي كان يحظى بها الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات بدأت تتراجع دولياً نتيجة للتحريض الإسرائيلي والأمريكي عليه، وبدأ يُحاصر عربياً بفعل الضغط الأمريكي كذلك، وخاصة بعد مساواة المقاومة الفلسطينية بالهجمات الإرهابية التي شنت على الولايات المتحدة الأمريكية في 11 أيلول 2001، وعدم موافقة الرئيس الراحل عرفات على تقديم أية تنازلات إضافة بخصوص

قضايا الحل النهائي، وبخاصة القدس. وعليه، فقد تم البدء بتشويه صورة الرئيس ياسر عرفات في الولايات المتحدة في هكذا أجواء، وتم افتعال مهزلة سفينة كارين التي قرصنتها إسرائيل في البحر الأحمر، والتي كانت مزودة بمختلف أنواع الصواريخ ومضادات الطائرات والدبابات، وغيرها من الأسلحة، والتي اتهم الرئيس الفلسطيني بمحاولة تهريبها لقتال إسرائيل.

وبذا، فقد ارتأت حكومة الاحتلال الإسرائيلي أن الوقت كان مناسباً لتقويض أركان السلطة الوطنية الفلسطينية ومحاربة الحركات الفلسطينية بما فيها حركة فتح، والتخلص من ياسر عرفات، واعتباره عدواً، وليس "شريكاً جدياً في عملية السلام،" والبحث عن قيادة بديلة "معتدلة" تقبل بشروط السلام حسب الإملاءات الإسرائيلية التي تعني التنازل التام عن الثوابت الوطنية .

وفي اجتماع لمجلس الوزراء الإسرائيلي بتاريخ 2002/3/26، لمناقشة آلية التعامل مع الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، برزت ثلاثة اقتراحات عدوانية: أولها، يطالب باغتيال الرئيس عرفات وأمين سر حركة فتح في الضفة الغربية القائد مروان البرغوثي الذي أطلقوا عليه "رئيس أركان انتفاضة الأقصى؛" والثاني، يطالب بإبعاد الرئيس عرفات عن فلسطين؛ والثالث، يطالب باعتقال الرئيس عرفات وتقديمه للمحاكمة. وفي اجتماع ثان، طالب مجلس الوزراء الإسرائيلي بإبعاد الرئيس ياسر عرفات خارج رام الله، ولكن الخوف من وجوده في الخارج عدِّل رأيهم حيث كان شارون من أشد المطالبين بإبعاده، ولكن رؤساء الأجهزة الأمنية الإسرائيلية ووزير الحرب في حينه بنيامين بن اليعيزر قالوا بمحاصرة وعزل الرئيس الفلسطيني في مكتبه في المقاطعة وقطع الماء والكهرباء والاتصالات عنه. وقد كان السبب المباشر لتلك "العملية،" حسب ادعاءات الحكومة الإسرائيلية، ولإعادة احتلال مدن الضفة الغربية، هو كما يسمى من قبل الإسرائيليين "آذار الأسود"، حيث قتل أكثر من 146 إسرائيلي في هذا الشهر من العام 2002، وخاصة عملية فندق بارك في نتانيا التي قتل فيها 30 إسرائيلياً.

وفي هذا السياق، كانت القيادة الأمنية الإسرائيلية تعتبر أن مخيم جنين هو "عش الدبابير" و"معقل الإرهابيين" و"مرسل المخربين" و"عاصمة الإستشهاديين"، فيما سموا رام الله "عاصمة الإرهاب" نظراً لوجود الرئيس الراحل ياسر عرفات فيها. وقد استخدم قيام شاب من مخيم جنين، رغم الحصار المشدد، وهو الاستشهادي شادي الطوباسي بعملية استشهادية في مجمع تجاري جراند كنيون في حيفا عشية عيد الفصح في 2002/3/31 أدت إلى مقتل 16 إسرائيلي، وإصابة 35 آخرين... استخدمت ذريعة مباشرة للبدء في الحملة المخططة منذ زمن طويل.

وأضيف إلى هذه العملية المباشرة، تاريخ مخيم جنين الذي تعرض لأكثر من محاولة اجتياح ومحاصرة جوبهت بمقاومة صلبة وعنيدة من قبل المقاومين أدت إلى فشل أهداف تلك الاجتياحات التي كان أخرها اجتياح شهر آذار 2002. وكذلك

كثرة العمليات الاستشهادية المنطلقة من مدينة ومخيم جنين تنفيذاً وإعداداً وتخطيطاً. وقد بلغ عدد هذه العمليات قبل عملية نيسان 2002 حوالي 16 عملية، قتل فيها قرابة 120 إسرائيلي، وجرح المئات. كما نفذت 14 عملية فدائية قتل فيها حوالي 15 إسرائيلي، وجرح العشرات. ويذكر أن هذه العمليات شكلت حوالي ثلث مجموع العمليات الاستشهادية على مستوى انتفاضة الأقصى، وشكلت حوالي ربع خسائر العدو على مستوى الكيان والمستوطنات.

3.5 (ما قبل) اليوم الأول، الإثنين 2002/4/1: إعادة احتلال جنين

لقد تعرضت مدينة ومخيم جنين لأكثر من اجتياح وأكثر من مواجهة مباشرة. وفي الأول من آذار بدأت عملية اجتياح المخيمات، وأعلنت قوات الاحتلال بدء "عملية الألوان،" وسماها المقاومون "اجتياح فطوطة" سخرية من تسمية الاحتلال ونسبة إلى شاب يدعى إياد نظير عرسان (وهو يقضي فترة حكم مقدارها 26 سنة في سجون الاحتلال الإسرائيلي) ذهب لتنفيذ عملية عسكرية-استشهادية في حيفا أثناء وجود طوق عسكري محكم حول مخيم جنين. لكنه تم القبض عليه قبل تنفيذ العملية، ومن ثم ادعت قوات الاحتلال الإسرائيلي أنها بدأت اجتياحها بسبب تلك العملية التي لم تنفذ. وعلى الرغم من عدم معقولية القيام بعملية بهذا الحجم نتيجة لعلمية لم تنفذ، إلا إن الحملة العسكرية جاءت لاختراق الحصار و"الطوق الأمني" الذي لم يثبت جدواه على منطقة جنين.

بعد هذه العملية، وقعت مواجهات شديدة وقاسية في مخيم جنين مع قوات الاحتلال استشهد فيها ما يقارب 24 مقاوم ومواطن فلسطيني، وعلى رأسهم قائد كتائب شهداء الأقصى في قرية جبع الشهيد أمجد الفاخوري، والشهيد الدكتور خليل سليمان-رئيس جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني والذي تم قصف سيارة الإسعاف التي كانت متوجهاً بها لأداء واجبه قرب مسجد الشهيد عبد الله عزام في مخيم جنين. وقد استشهد بقذيفة إنيرجي. كما تم تدمير البيوت والمؤسسات والمراكز الصحية والتعليمية والرياضية والسيارات. وخلال هذه المواجهات قتل وجرح عدد غير محدد من جنود الاحتلال، ولم تستطع قوات الاحتلال دخول المخيم، واعتبرت تلك هزيمة معنوية، مع أنها اشتملت على بعض الجوانب المادية، حفزت المقاومين وأهالي المخيم في الإعداد والاستعداد لأية مواجهة قادمة. وعلى الرغم من أن قوات الاحتلال الإسرائيلي لم تنسحب من محيط جنين منذ بداية آذار 2002، إلا إنها قامت بتعزيز القوات كما هو مبين في جدول مقارنة إمكانيات المقاومة الفلسطينية في مخيم جنين وإمكانيات قوات الاحتلال الإسرائيلي في معركة نيسان 2002.

3.6 الخطة "U" مقابل الخطة "O": الخطة العسكرية لقوات الاحتلال الإسرائيلي

بين 28 شباط و 3 آذار 2002، استخدمت قوات الاحتلال الإسرائيلي خطة عسكرية أحكمت فيها حصار مخيم جنين من أربع جهات، ومن ثم تم الانسحاب من الجهة الشرقية ليكون حصار المخيم على شكل حرف (U) بالإنجليزية. ومن المعروف في العلوم العسكرية أن هذا النوع من الخطط لا يستخدم فيها أعداد كبيرة من الجنود ولا من

الآليات، ولا تكون حاسمة للمعركة، ولكنها تستهدف توجيه ضربة قوية ورسالة تحذير ومن ثم الانسحاب وبذا، فقد حاصرت قوات الاحتلال الإسرائيلي مخيم جنين من كافة الجهات، وحاصرت المقاومين في حارة الحواشين، ولكن قوات الاحتلال لم تتقدم إلى مسافات قصيرة لمواجهة المقاومين.

ويذكر أنه في الساعة الخامسة من صباح يوم الخميس 28 شباط 2002، هاجمت قوات الاحتلال مخيم جنين من الجهة الجنوبية، منطقة الجابريات وبير الجمَّال، وداهمت مجموعة من الشرطة الفلسطينية والمواطنين قرب "الأبراج" في جبل الدكتور خالد، وقتلتهم بدم بارد. وهم: محمد محمود فايد، سميح العارضة، محمد عوض الجندي، عبد الله شعبان، بكر ذيب الراوي، محمد فايز خليل خباص. وأسامة موسى جاد الله (ابن العقيد موسى جاد الله–مدير شرطة جنين في حينه) الذي اشتبكت قوات خاصة إسرائيلية معه وهو داخل منزله، فاستشهد وجرحت والدته. وقد استشهد في يوم لاحق الفتى لؤي أمين ظبايا برصاصة في الرأس، وهو أخ للشهيد فادي ظبايا الذي استشهد في بداية الانتفاضة. والشقيقان ياسر وعماد حسن سايس. كما استشهدت الطفلة ماريا عز الدين أبو سرية، والشهيد خالد نجم. كما أصيب أكثر من 50 مواطن بجراح. وكذلك استشهد قائد كتائب شهداء الأقصى في منطقة جبع والقرى المجاورة أمجد الفاخوري الذي قرر البقاء في المخيم والدفاع عنه، حيث تم استهدافه من قبل سلاح رشاش من دبابة أصابه في رجليه، ومن ثم تم اغتياله. وقد نقله الدكتور خليل سليمان-مدير جمعية الهلال الأحمر في جنين إلى المستشفى، والذي استشهد هو كذلك بعد ساعة من هذه الحادثة باستهدافه بقذيفة إنيرجي أصابت سيارته إصابة مباشر، فاستشهد على الفور، وأصيب مرافقه رحوب الجمل بحروق شديدة.

وفي ساعات المغرب من يوم 1 آذار 2002 تم فتح طريق ومنفذ من الجهة الشرقية للمخيم لإتاحة المجال للمقاومين للانسحاب وبالتالي تجنب مواجهة صعبة، لكن المقاومين، وبعد مرور يوم شاق وصعب للغاية، قرروا الخروج من المخيم ليلاً للراحة. وهناك بعض المقاومين الذين رفضوا الخروج مثل نضال النوباني ومحمود طوالبة، وغيرهم، حيث دار بيني وبينهم حوار طويل كان موضوعه أهمية الالتزام بالقرار الجماعي. وفي هذه الساعات، ساعات التشاور للخروج أو البقاء، كان الشيخ جمال أبو الهيجا (المحكوم تسع مؤبدات وعشرين سنة في سجون الاحتلال الصهيوني) والشهيد قيس عدوان وأحمد الموسى الحلاجي قادمين باتجاهنا، وتم إطلاق النار عليهم، حيث أصيب الشيخ جمال في يده، التي بترت إثر ذلك.

وقد عاد المقاومون إلى المخيم في ساعات الفجر الأولى بعد استراحتهم، وأعادوا ترتيب صفوفهم. وقد أدرك المقاومون أن هذه الخطة والحصار يدلان على أن قوات الاحتلال الإسرائيلي غير مستعدة ولا جاهزة لمواجهة حسم وكسر عظم مع المقاومة بعكس ما حصل بعد شهر واحد في معركة نيسان، حيث تم اتباع خطة أخرى للهجوم سنأتي على ذكرها ضمن يوميات المقاومة في معركة جنين.

تقدم قوات الاحتلال الإسرائيلي باتجاه مدينة ومخيم جنين

تقدمت قوات الاحتلال الإسرائيلي في أربع محاور رئيسية ومحاور فرعية "حسب الخارطة": محور معسكر سالم، ومحور "معسكر" مقيبلة، ومحور معسكر الزبابدة، ومحور معسكر دوثان.

المحور الأول-محور معسكر سالم: تقدمت قوات الاحتلال الإسرائيلية وآلياتها (الراجلة، والدبابات، والمجترات والراجمات الخفيفة، ونقلات الجنود، والمروحيات المقاتلة، وسيارات الإسعاف المصفحة، والحافلات المجهزة للاعتقالات) من معسكر سالم الواقع إلى الجهة الجنوبية الغربية باتجاه مدينة ومخيم جنين. وقد كان ذلك مروراً بقرى زبوبة ورمانة وتعنك والسيلة الحارثية واليامون وكفر دان، وصولاً إلى حرش السعادة القائم على تلة مشرفة على من مخيم جنين من جهة الغرب. وقد تم إقامة مقر قيادة لواء تبادلي خلفي، أي أنه يستطيع القيادة من أكثر من مكان، ففي حال عدم الرؤيا من المنطقة الجنوبية، على سبيل المثال، يستطيع أن يقود من المنطقة الشمالية. كما تم إقامة مهبط طائرات مروحية ترابي، ومستشفى ميداني لإسعاف الجرحى. بعدئذ، تم التقدم باتجاه شارع حيفا ومحاصرة المخيم من الجنوب، وإقامة مقر قيادة أمامي. وفي هذا المحور واجهت قوات الاحتلال الإسرائيلي مجموعة عسكرية فلسطينية تابعة للمقاومة قامت بتفجير عبوات ناسفة على شارع السيلة-اليامون.

المحور الثاني-محور معسكر الجلمة: تقدمت قوات الاحتلال الإسرائيلية من معسكر قريب من قرية مقيبلة في الجهة الشمالية للمخيم عبر شارع الناصرة، مرورا بقرية الجلمة وضاحية صباح الخير، وصولاً إلى تقاطع الشارع الالتفافي المؤدي إلى مستوطنة غانيم (قبل إخلائها في العام 2005)، حيث التقت تلك القوات بقوات أخرى قادمة من مستوطنة غانيم، لتكمل السير باتجاه جنين وصولاً إلى المقاطعة، ومحاصرة المخيم من الشرق والجنوب.

المحور الثالث-محور معسكر الزبابدة: تقدمت قوات الاحتلال الإسرائيلية من معسكر الزبابدة (الواقع إلى الجهة الجنوبية الشرقية لجنين)، وسلكت القوات اتجاهين: الأول، نحو خربة سبعين، ومن ثم السير باتجاه منطقة السويطات. والآخر، باتجاه قباطية وصولاً إلى مثلث الشهداء، وهناك التقت هذه القوات مع قوات أخرى قادمة من معسكر دوثان، وتم دخول جنين. وإثر ذلك، لاقت قوات الاحتلال الإسرائيلية مقاومة باسلة، وتم تفجير العديد من العبوات في منطقة السويطات ما كان من شأنه إبطاء حركة تقدم القوات المعادية. ولكن، الأخيرة استمرت في التقدم حتى حاصرت شرقي المخيم بدعم من القوات القادمة من المحور الشمالي-محور معسكر الجلمة.

المحور الرابع-محور معسكر دوثان: تقدمت قوات الاحتلال الإسرائيلية من معسكر دوثان، (الواقع على مفرق عرابة جنوب جنين) باتجاه شارع نابلس، مروراً بقرى بير الباشا ومثلث الشهداء، واستمرت في التقدم عبر شارع نابلس باتجاه مدينة جنين والمخيم، حيث التقت بقوات أخرى قادمة من المحور الشمالي-محور معسكر الجلمة. وقد توجه جزء من هذه القوات مباشرة، عبر محور فرعي، باتجاه الجابريات، وهي تلة مرتفعة مشرفة على مخيم جنين وتفاصيله الطوبوغرافية، حيث تم إقامة مقر قيادة لواء تبادلي، إضافة إلى إقامة مهبط طائرات مروحية ترابي، ومستشفى ميداني. ويذكر أن شاؤول موفاز، رئيس هيئة الأركان الإسرائيلي في حينه، كان متواجداً في مقر القيادة هذا. ومثل بقية المحاور، وخلال تقدم قوات الاحتلال الإسرائيلية في هذا المحور، تعرضوا لضربات وتفجيرات لعبوات ناسفة في مثلث الشهداء ومدخل شارع نابلس، ومنطقة بير الجمَّال وحارة السكة، حيث تم إعطاب آليات، و لم تتوفر معلومات حول حجم الإصابات.

الفصل الرابع:

الصورة والأسطورة

(يوميـــات المعركة)

4.1 اليوم الأول: ما قبل الصفر-هواجس المخيم وهواجس الاحتلال قبل بدء المواجهة

4.2 اليوم الثاني: إكمال الحصار، استكمال العزيمة

4.3 **اليوم الثالث: لسعة النحلة المباركة**

4.4 **اليوم الرابع: الرئيس يراهن والمقاومون ينجحون الرهان**

4.5 **اليوم الخامس: كمين في حارة الطوالبة، وجثث شهداء على دفعات**

4.6 **اليوم السادس: المقاومة مستمرة، وإسرائيل تلقي القنابل الفراغية**

4.7 اليوم السابع: كمين رفع المعنويات-مواجهة حارة أبو جواد

4.8 اليوم الثامن: "نحن قوم لا نستسلم: ننتصر أو نموت"

4.9 اليوم التاسع: كمين الـــ 13 المبارك

4.10 اليوم العاشر: شهيد "فعلي" مع وقف التنفيذ!

4.11 اليوم الحادي عشر: الحصار الأخير ومُرِّ الخيارات

4.12 اليوم الثاني عشر: استشهاد أبو جندل-المايسترو رئيس غرفة العمليات

"... يَمَّا سَرينا بْصُبحْ ونْهارْ كلُّو غرُوبْ. نِسْبَحْ بِبَحْرِ الدّما تْنحَقّقْ المطلوبْ. نِحْمِلْ حنينْ الأهِلْ للتينْ للخرّوبْ. نِحْمِلْ رُفاتِ الطِفِلْ في خَيْمِتو مَضْرُوبْ. نِحْمِلْ جِراحاتْ عيسى وشعبنا المَصْلُوبْ. كِرْمالْ عِزّ الوطنْ وكِرْمالْ ديرتنا كِرْمالْ عِزّ القُدِسْ مِنّا القلوبْ تذوبْ يا ويلاه.. يَمَّا ما خِفْنا العِدى خِفْنا قرايبنا. ظَنّ العَدوّ بغاراتو إنّو يرْهِبْنا. يا ما ضَرْبَنا بْحِمَمْ تْذوبْ ما ذْبنا بالعَكِسْ كُثْرِ الأَلَمْ عَ الموتْ دَرَّبنا. والموتْ مِنّا ارْتَعَبْ بوَسْ شَوارِبنا. ومِنْ كُثْرْ ما شافنا أبطالْ ما بْنهابْ أقسَمْ بِدَمّ الشهيدْ إلا بِصاحبنا. يا قاصدينْ الوطنْ صوتي بنادِيكُمْ رُوحِي مَعَاكُمْ سَرَتْ قَصْدي أبارِيكُمْ. نلتو الشهادة بْشَرَفْ الله بِهَنّيكُمْ. والقُدِسْ فيكو ازْدَهَتْ بَاهَتْ أَمَمْ فِيكُمْ وانْ كانْ شعري ما بِيوفِي رِثَا الأَحرارْ بالنّارْ بالدَّمْ بالبارودْ لَرْثِيكُمْ..."

شاعر الثورة أبو عرب

الفصل الرابع: الواقع والصورة (يوميات المعركة)

بصبر وتفصيل هائلين، يسرد الفصل الرابع يوميات المقاومة في معركة مخيم جنين من يومها ما قبل الأول (الإثنين، الموافق 2002/4/1، وحتى اليوم التالي لانتهائها (الجمعة، الموافق 2002/4/12). وتُسرد هذه اليوميات على لسان كاتب الرسالة بوصفه مشاركاً في المعركة منذ وضع الخطة وتشكيل غرفة العلميات وحتى اليوم الحادي العشر الذي تمت فيه مفاوضات إنهاء المعركة وتسليم من تبقى من المقاومين. وتتناول هذه اليوميات، على نحو تفصيلي، اليوم الأول الذي هو ما قبل ساعة الصفر والذي ترصد فيه هواجس المخيم وهواجس الاحتلال قبل بدء المواجهة؛ واليوم الثاني الذي تسرد فيه كيف أكملت قوات الاحتلال الإسرائيلية حصارها، وكيف استكملت المقاومة في جنين إعدادها وعزيمتها؛ ثم تواصل المذكرات سرد قصص الشهادة والفداء السوريالية في اليوم الثالث؛ والتي تستمر لليوم الرابع حيث يحقق المقاومون رهان الرئيس ياسر عرفات بصمودهم وإيقاعهم لخسائر مؤلمة في صفوف العدو؛ إلى اليوم الخامس الذي تتحقق فيه مزيداً من الإنجازات العسكرية عبر كمين في حارة الطوالبة؛ وفي نهاية هذا اليوم وبدء اليوم السادس تستمر المقاومة، وجثث شهداء تدفن على دفعات، وتلقي إسرائيل قنابلها (شبه) الفراغية؛ ليأتي في اليوم السابع كمين رفع المعنويات في مواجهة حارة أبو جواد؛ وكأنه تحضير لليوم الثامن الانتقالي (عبر مزيد من الشهداء)؛ نحو اليوم التاسع، يوم كمين الـــ 13 المبارك/"القاتل الذي سقط فيه 13 جندياً إسرائيلياً، أسهم سقوطهم في زيادة تكالب القوات الإسرائيلية لإنهاء المعركة، وعدم دفع المزيد من الخسائر... نحو اليوم العاشر وشهيده "الفعلي" مع وقف التنفيذ؛ إلى اليوم الحادي عشر، يوم الحصار الأخير ومُرِّ الخيارات بالتفاوض لإنهاء العمليات العسكرية وتسليم من تبقى من المقاومين. وأخيراً، يوم ما بعد الانتهاء الفعلي للمعركة، اليوم الثاني عشر، الذي قضى فيه شهيداً أبو جندل، "المايسترو" و"رئيس غرفة العمليات،" الذي كان أول القتلى وآخر من يموت.

4.1 اليوم الأول، الإثنين 2002/4/1: ما قبل الصفر - هواجس المخيم وهواجس الاحتلال قبل بدء المواجهة

بتأمل اللحظة الفاصلة بين تقدُّم قوات الاحتلال من المحاور الأربعة ولحظة البدء الفعلية للمعركة، يتبين أنه سبق اجتياح مخيم جنين وإعادة احتلاله حرب إعلامية ونفسية، من قبل دولة الاحتلال، تُضخِّم من خطر المقاومة في جنين، باعتبارها "عش الدبابير" و"وكر الإرهابيين" و"منبع الإرهابيين (الاستشهاديين)"، وضرورة القضاء عليها حتى تقنع الجماهير الإسرائيلية بأن جيشها الصهيوني يخوض "حرب الحفاظ على البيت" كما سماها قادة الاحتلال العسكريون وإعلامهم الحربي. لقد ادعوا بأنهم يخوضون حرباً ضد الإرهاب ضمن الخطة العالمية للحرب على الإرهاب والتي قادتها الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث أيلول 2001، وظهور ما يعرف بـــ "عقيدة بوش" أو Bush Doctrine الذي قسم العالم إلى قسمين: واحد مع الإرهاب (وهو كل من لم يسر في ركاب الأجندة الأمريكية أو يتوافق معها)، وآخر ضد الإرهاب (وهو كل من وافق الأجندة الأمريكية، وشارك في تنفيذ مصالحها. وحسب هذه "العقيدة" فقد كان من

الواضح أن إسرائيل في مركز المعسكر المعادي للإرهاب، فيما كان الفلسطينيون في مركز صورة الإرهابي. ومن جهة أخرى، كانت قوات الاحتلال الصهيوني وإعلامها الحربي تحاول التقليل من قيمة المقاومة وقدرتها على مواجهة آلة الحرب الإسرائيلية، في ظل حرب نفسية شعواء تروِّج لأساطير "القضاء على العدو" التي اعتادها الاحتلال الصهيوني في حروبه السابقة، ولكن هذه المرة برغبة في "كسر عظم المقاومة، وسحقها"، كما حصل بالفعل على الأرض، لكن دون كسر معنويات المقاومة، وكما بيَّن الباحث يوسف القاسم في رسالته المهمة حول أثر الحرب النفسية الإسرائيلية على الذات الفلسطينية في انتفاضة الأقصى للعام 2000.[64]

وفي المقابل، أكد إعلام المقاومة الفلسطينية، العفوي وقليل الإمكانيات، على أن المقاومين يخوضون المعركة دفاعاً عن أرضهم وأهلهم وللحيلولة دون تكرار اللجوء لأهل "مخيم جنين للاجئين الفلسطينيين"، وبأن المقاومة إنما هي لحماية الأهل والروح الفلسطينية من الانكسار في رحيل ثالث بعد تشريد نكبة العام 1948، وتشريد نكسة العام 1967. وقد خاطب المقاومون العالم بأننا شعب تواق للحرية، ولن نقبل بالاحتلال على أرضنا، وبأننا نخوض معركة الدفاع عن النفس بأسلحتنا الصغيرة والبسيطة. وقد كان لهذا الهدف الجمعي وإعلانه على الملأ فائدة قصوى، حيث التف أهالي المخيم، وكافة فلسطين والعالم، حول المقاومة ودعموا صمودها مادياً ومعنوياً.

وكجزء من الحرب الإعلامية-النفسية المضادة، أكدت المقاومة الفلسطينية الموحدة أنها جاهزة لمعركة طويلة الأمد لا ولن يتحملها المجتمع الإسرائيلي قصير الذاكرة، والذي ثبت، عبر حروب ومواجهات عسكرية أخرى، أنه لا يضغط على حكومته العسكرية الاحتلالية إلا عندما يشارك في دفع "ضريبة الدم."[65] فالاستعدادات لدى المقاومة كانت كاملة "من ناحية إعلامية"، رغم فقر الموارد والحصار، فـ"السلاح والذخيرة وتفخيخ البيوت والسيارات والمنازل والجدران والاستشهاديون... والمقاومة ستدمر دون رحمة آلة الحرب الإسرائيلية وقواتها... وقد أقسم المقاومون على القتال حتى آخر رجل وشبل فيهم، وحتى آخر طلقة في بنادقهم... هنا سنبقى، وهنا سنموت، وهنا يدرك شارون، وسيدرك العالم بعد انقضاء المعركة، أن مجزرة أخرى قد تمت عن سبق إصرار وترصد، وعلى مرأى من العالم كله. وعلى الرغم من مقاربات مجزرة جنين بمجزرة صبرا وشاتيلا، ولشارون في كل منهما نصيب، ولكن مخيم جنين لم يكن مرة ولن يكون "مسادة فلسطينية" كما حاول بعض الصحافيين الإسرائيليين "التقدميين" تصويرها لنسبة حتى النصر الفلسطيني المعنوي إلى ماض "يهودي" انتحاري في مسادة العام 73 قبل الميلاد. فمسادة "اليهود" حينها جاءت نتيجة لتمرد عصابات "الحماسيين/عصبة الخناجر" على الرومان، ولقيامهم بأعمال السلب والنهب، والترهيب انتهت بقتل جماعي اقترفه

---

[64] يوسف قاسم. *أثر الحرب النفسية الإسرائيلية على الذات الفلسطينية: انتفاضة الأقصى نموذجاً*. بيرزيت: جامعة بيرزيت. 2007.(رسالة ماجستير في الدراسات العربية المعاصرة).

[65] لمزيد من المعلومات حول قلاقل المجتمع الإسرائيلي، بين المدنية والعسكرة، أنظر: ربيب دروكر. *السهم المرتد*.

مجموعة إلعازار بن يائير في حق مجتمعهم تحت مسمى "انتحار جماعي من أجل الكرامة"؛[66] فيما أسطورة الصمود في مخيم جنين جاءت من أجل الحياة والدفاع عن الحق فيها، لا من أجل الموت، وقام بها مقاومون من أبناء الأرض لا من اللصوص الغرباء عنها.

أما على صعيد الصورة والأجواء داخل مخيم جنين وعلى الأرض، لا في فضاء الحرب الإعلامية، فقد كان هناك نفير عام وحركة دائبة ومستمرة ومنظمة الكل يعمل كخلية نحل على وضع اللمسات الأخيرة استعداداً للمواجهة الكبرى. بدأت الاتصالات تتوالى من كل محور من الأخوة الذين يقومون بعملية الاستطلاع والرصد والمتابعة وإيصال المعلومات للمقاومين بأقصى سرعة ممكنة. الآلاف من جنود قوات الاحتلال الإسرائيلي، ومئات الآليات ترافق تقدم القوات الراجلة وتغطيها تحت غطاء كثيف من دخان التعمية والتمويه، ووجود طائرات مروحية واستكشافية (كان المقاومون يدعونها أم كامل)، وحتى طائرات مقاتلة من طراز ف-16 وف-15 تحطم حاجز الصوت للترهيب، في سماء مخيم جنين.كل هذه معلومات كانت تصلنا أولاً بأول، وأذكر أن أحد الأخوة المقاومين، وهو عطا أبو رميلة (أمين سر حركة فتح إقليم جنين حالياً) عندما أبلغ من إحدى نقاط الاستطلاع بقدوم "عشرين دبابة" من جهة معسكر سالم، قال للمقاوم المبلغ: "رجاء لا تخبرني ولا تتصل إلا عندما ترى مئات الدبابات"، وكان ذلك على سبيل المزاح، لكنه ما حصل فعلاً فيما بعد.

وعلى الصعيد العملي، فقد سبق بدء المعركة اجتماع للمقاومين في الأجنحة العسكرية لفصائل العمل الوطني والإسلامي وقوات الأمن الفلسطينية، ضمن غرفة العمليات المشتركة، لدراسة آليات خوض المعركة، حيث أن خوضها كان محسوماً ولم يختلف عليه أحد. وكانت هناك عدة آراء حول لحظة البدء، والأماكن الأفضل تواجد المقاومين. فمن ناحية، كان الرأي الغالب أن على المقاومة أن تحدد ساعة الصفر في بدء المعركة، وجهتها، والبدء بعمل مناوشات واشتباكات على أطراف المخيم لإرباك قوات الاحتلال الإسرائيلية وخطتها. ومن ناحية أخرى، فقد ارتأى بعض الأخوة في الفصائل ضرورة مغادرة بعض "المطاردين الكبار" من مخيم جنين، وعدم الوقوع فريسة للاحتلال وضربته القاصمة، وحتى يقوموا بالرد على جرائم الاحتلال أثناء المعركة لكن من خارجها. وقد خرج قيس عدوان (قائد كتائب القسام في منطقة الشمال الذي استشهد لاحقاً) بأمر من القيادة العسكرية لكتائب القسام على الرغم من عدم رغبته الشخصية في مغادرة مخيم جنين. وقد تم اغتياله مع ستة من رفاقه في طوباس ثالث أيام الاجتياح والمعركة. في حين فضَّل بقية "المطاردين الكبار" البقاء في المخيم رغم أن الأجهزة الأمنية الفلسطينية في الضفة الغربية أخبرونا بأن "إسرائيل ستدمر وتقتل وتخرب،" وكان كل مطارد يطالب الآخر بالمغادرة، وأن يبقى هو بنفسه تعبيراً عن الإيثار والتضحية. كما

---

[66] لمزيد من المعلومات، أنظر: عبد الرحيم الشيخ. "الآخر انتحارياً: الآخر الإسرائيلي ورديفه الأمريكي بين العيان والتجريد." *أقواس*: العدد 6. 2002. 20-40. وأنظر، كذلك:

Nachman Ben-Yehuda. Masada Myth: Collective Memory and Mythmaking in Israel. Madison: University of Wisconsin Press. 1995.

يجدر الذكر كيف ناشد الدكتور رمضان شلح، الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي، الشهيد محمود طوالبة مغادرة المخيم، ولكنه رفض وفضل الاستشهاد فيه.

وفي هذه الأثناء، كان السؤال الكبير والذي سأله المقاومون، بعيداً عن التوعُّد والضجيج الإعلامي والفعل ورد الفعل في الحرب النفسية مع قوات الاحتلال الإسرائيلي: "لماذا المواجهة؟ وما هي رسالة المقاومة؟" وقد كانت الإجابة محسومة، وبشكل لا يختلف كثيراً عن الإجابة الموجهة لـــ"الخارج" الاحتلالي والعالمي. وهي: (1) إننا لاجئون هدمت بيوتنا وشرد أهلنا في نكبة العام 1948 على يد العصابات الصهيونية، كما تكرر الأمر مع بعض أهل المخيم في نكسة العام 1967، و لن نقبل بتكرار اللجوء والتشرد مرة أخرى؛ (2) إننا شعب ندافع عن قضية عادلة، مؤمنون بها، ونريد دولة فلسطينية وحق تقرير مصير، ولن نقبل بالاحتلال الإسرائيلي مهما كانت التضحيات؛ (3) إن المقاومة جاهزة ومسلحة بالإيمان والاستعداد البسيط لكن المتقن، بـــ"الأسلحة الصغيرة،" لا الخفيفة، لضرب عنجهية جيش الاحتلال الإسرائيلي الذي طالما تم الترويج له بأنه لا يقهر، وأن التجربة والخبرة جعلتنا أكثر يقيناً بأننا سننتصر؛ (4) إن مراهنة شعبنا وتنظيماتنا ورئيسنا ياسر عرفات على المقاومة في جنين ونابلس، ومقولاته المدوية حول "ما سيحصل في نابلس وجنين غراد"، جعلت على المقاومة الأكثر تنظيماً وتحصيناً في المدن الفلسطينية التي صمم الاحتلال الصهيوني على إعادة احتلالها، ملزمة بتقديم مثال في البطولة والتصدي لأنها في جانب الحق، وعدوها هو الباطل والمعتدي، ولا بد من تلقينه درساً لقادم المواجهات التي لن تنتهي إلا بزواله، وزوال دولته العنصرية؛ (5) ومثل ذلك كان دافع المقاومة لإنجاح رهان الشعوب العربية، والإسلامية، وأحرار العالم على المقاومة في فلسطين، وجنين بخاصة، في تحقيق نصر معنوي ومادي على قوات الاحتلال.

وبذا، فقد كان المقاومون في جنين يتابعون الأخبار، ويشاهدون مناظر القتل والتدمير التي قامت بها آلة الحرب الإسرائيلية في بدء عمليتها لإعادة احتلال مدن الضفة الغربية ومخيماتها، وخاصة مشهد إعدام خمسة من قوات الشرطة الفلسطينية بدم بارد في رام الله على المدخل الجنوبي لبلدة بيتونيا، وتدمير المقاطعة في رام الله حيث مقر الرئاسة والشرعية الفلسطينية، ومحاصرة الرئيس ياسر عرفات في مكتبه وقطع الكهرباء والاتصالات عنه في رسالة واضحة بأنه لا يوجد خطوط حمراء في سحق شعبنا من قتل واعتقال وتدمير وتخريب لكل ما يواجه هذه الآلة الصهيونية من بشر وشجر وحجر، وبنى تحتية، ومؤسسات حكومية وغير حكومية، ومدارس ومستشفيات، وحتى سيارات إسعاف لم تسلم من السحق بجنازير الدبابات الجرافات. هذه الأخبار والمشاهد زادتنا قوة وتصميماً وإصراراً على الاستمرار في قرارنا وخطتنا ونهجنا في مقاومة آلة الحرب الإسرائيلية وتلقين قوامها درسا لن تنساه، وكسر عنجهيتها وتكبرها، ودفن "أسطورة الجيش الذي لا يقهر" في أرض مخيم جنين.

أما عن الحالة المعنوية داخل المخيم، فقد صدحت مكبرات الصوت في المساجد بالتهليل والتكبير، وتلاوة آيات من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وأبيات من الشعر، وصوت الرئيس ياسر عرفات... وكل ما من شأنه أن يحض على المقاومة والجهاد والوحدة والصمود. وكذلك مكبرات الصوت اليدوية التي استخدمها المقاومون، كانت ترفع الهمم وتطالب المقاومين بالتماسك والوحدة والاستعداد للنصر أو الشهادة، كما استخدمت في إعطاء التعليمات والقواعد العامة أثناء المعركة، والإشادة بالأهالي، ومخاطبة جنود الاحتلال بالعبرية. وقد كان منظر الشباب الذين يحملون مكبرات الصوت كحدَّاية في عرس فلسطيني يرد الواحد على الآخر بعبارات حماسية. كما كان هناك مكبرات صوت مثبتة على سيارات متحركة أيضاً تبث الأغاني الوطنية والثورية، مثل: "وين الملايين؛ لبِّي لبِّي الصوت.. الأقصى كبَّر؛ يا شارون يا لعين إحنا مخيم جنين،" .... وغيرها. وكانت هناك فرقة من الأخوة المدنيين بقيادة الأخ عبد الرحمن-أبو أنس تدق الطبول والصنجات النحاسية وتحمل رايات للأولياء الشاذلي والجيلاني والسيد البدوي، وتكبر وتهلل وتتحرك في الشوارع والأزقة تحض على الجهاد والنضال وفضل الشهادة. كما كان الأسير أحمد أبو جلدة يقود مجموعة من الأشبال تلقي ألعاباً ضوئية ونارية في الهواء في جو من الفرح حتى تشعر قوات العدو المتقدم من المحاور الأربعة بأننا جاهزون غير مبالين لجيشهم وقوتهم، وحتى تدب الرعب في نفوس جنوده وقواته، هذا بالإضافة إلى إشعال نيران في مناطق مختلفة من المخيم لإرهاب العدو، بعضها من بقايا الأشجار والخشب، وبعضها من إطارات السيارات، بعضها "للتدفئة" وآخر لترهيب العدو وتغطية الأجواء في محاولة أشبه بقنابل الدخان والتعمية الحديثة.

مشاهد الأهل والعائلات والأخوة كل يودع الآخر مع بكاء من الكبار ومحاولة المقاومين حبس الدموع: هناك من يناقش أخاه ويطالبه بالخروج من المخيم، والآخر يقنعه بأن الأعمار بيد الله وأن الشهداء أعلى درجة في جنات الخلد. ويقول أحد الرفاق، واسمه إياد العزمي، مبتسماً: "إن غسان كنفاني، ومن بعده الحكيم جورج حبش، قال: إحذروا الموت الطبيعي وموتوا شهداء." ومقاوم يقبل يد والديه، ولا يطلب منهما إلا الرضى عنه: والده متأكد من استشهاده، ويقول: "تعودنا على الشهادة رحم الله أخوك الشهيد. إنا لله وإنا إليه راجعون." وأشبال، بقيادة شبل يُدعى "الزعبور" يقومون بحركات بهلوانية وشقلبات فرحاً بقرب الهجوم، وآخرين يبحثون عن "الأكواع" والسلاح. ومشاعر العزة والفخر والكرامة والفرح والحزن والحيرة...كلها تتجاوب في نفوس المقاومين وأهل المخيم، والكل يتسابق للقاء ومواجهة المحتلين في أجواء باردة فيها ضباب خفيف ورذاذ مطر، والمقاومين، حول النار، يتبادلون الكلام عن أسحلتهم، ورصاصهم، ولباسهم، وآخر النكات عن "أهداف" المقاوم محمد النورسي، الأسير السابق، الذي لم يتوقف لحظة عن التوصية ببناته الأربعة بعد استشهاده، والذي استشهد، بالفعل، في الليلة العاشرة من المعركة.

وفي هذه الأجواء، أذكر كيف قام زياد العامر (قائد كتائب شهداء الأقصى، الذي استشهد لاحقاً) بجولة تفقدية للمقاومين في الحارات والشوارع، وكل سمات وجهه تدل على قرب استشهاده، ويودع أخوته منتشياً سعيداً بالتجهيزات والتكتيكات التي تم وضعها. وقد كان هو من اقترح خطة "من بيت لبيت،" وفتح الطاقات في المنازل

للقناصة، وأكياس الرمل والسواتر في الأزقة... وفعلا كان العامر أول الشهداء بعد أن أخذ بثأره من جندي صهيوني قنصه بسلاحه "الناتو" الذي اشتهر به قبل استشهاده، وبعد خروجه من السجن إذ كان محكوماً بمؤبد منذ الانتفاضة الأولى وحرر من السجن في العام 1994. أما نضال النوباني، البطل الخفي الذي رفض الانسحاب التكتيكي من المخيم في شهر آذار، فهو كعادته مقاتل صامت لا يتكلم كثيراً، ولكن عينيه الحربيتين تتكلمان وتخبران الكثير: رجل مقاوم شرس، لا يعرف التراجع أبداً، صادق، مثقف، صاحب رأي ومشورة، وسيقود في اليوم التاسع عملية الكمين القاتل- المبارك الذي قتل فيه ثلاثة عشر جندياً صهيونياً، وأصيب آخرون، فيما استشهد النوباني وهو منسحب بكل ميداليات الجنود وهوياتهم. وأما الشيخ رياض بدير، ذي السنوات السبع والخمسين، فهو القادم إلينا من طولكرم يهاتف ابنه سيد قطب، حقيقة لا مجازاً، ويقول له: "هذي هي الوحدة، هذي هي المقاومة." ويتصل بزوجته ويقول لها: "بعدك ما اترملتي، أنا شهيد شهيد!"

أما النساء، فكن يخبزن ويطهون الطعام ويعددن الشاي والقهوة في كل حارة وحي وشارع وزقاق، يخرجن عليك من كل باب وشباك، الكل يريد بركة المقاومين وكأنهن يدركن بأنهم مفارقين دون رجعة. الشهيدة مريم وشاحي (أم مروان)، أم الشهيد الشبل منير وشاحي، تزودك بالطعام على مدار الساعة، وتضع الطعام على رأس خشبة طويلة (لوح أو "مورينة" خشبية) لتوصلها إلى المقاومين دون أن يتم قنصها أو قنصهم في حال قطع الزقاق. وكانت تراقب قوات الاحتلال وجنوده في كل تحركاتهم. أما أم الشيخ محمود أبو خليفة، الذي استشهد بعد المعركة وبعد قيامه بواجبه العسكري على نحو بطولي، فكانت تستضيف المقاومين في بيتها، حيث يستريحون، وتسهر هي طوال الليل على راحتهم: فهي أمك، تطعمك، وتغطيك، وتقرأ القرآن فجراً من أجل حمايتك، ودعواتها تجعلنا نقاتل ونواجه الأهوال بروح عالية. وأم أحمد (الستي)، تطبخ، و"تتكلم كثيراً" سلواناً للمقاومين، تشق الأزقة والشوارع لإحضار كل ما يحتاجونه... إنها لا تعرف الخوف.

4.2 اليوم الثاني، الثلاثاء 2002/4/2: إكمال الحصار، استكمال العزيمة

بعد إكمال الحصار حول مدينة جنين ومخيمها، وفرض طوق عسكري من نمط "O" لخنق المقاومين من كل الجهات، بدأت آليات الاحتلال ومن خلفها جنوده بالتقدم ببطء شديد تحت غطاء قصف جوي كثيف من مروحيات الأباتشي والكوبرا المتواجدة على مدار الساعة في أجواء جنين، وبخاصة في الجهتين الشمالية والغربية (الجلمة وحرش السعادة). وقد قامت القوات الإسرائيلية بضرب محوِّل الكهرباء الرئيسي في مدينة جنين، وقطع الكهرباء عن سبعين ألف نسمة في المدينة ومخيمها والقرى المجاورة. كما تم ضرب خطوط المياه والبنية التحتية من شوارع وخطوط صرف صحي، ومؤسسات ومحلات ومراكز طبية وصحية. كما تم تدمير ما تبقى من مقرات الأجهزة الأمنية الفلسطينية. وفرض منع التجول، وقُطعت إمدادات الأدوية والمواد الغذائية والتموينية عن الأهالي.

وإثر ذلك، قام رجال المقاومة بتفجير العديد من العبوات الناسفة، وإلقاء الأكواع، بالتزامن مع اشتباكات مسلحة قوية في مدخل جنين-شارع نابلس، وحارة السكة، وحارة السيباط (البلدة القديمة في جنين)، والسويطات، والمراح، والحارة الشرقية. وقد ساعدت هذه المواجهة في إبطاء تقدم القوات الإسرائيلية إلا أن تلك القوات استمرت بالتقدم حتى تمركزت حول مخيم جنين من كافة الجهات، وسط إطلاق نار كثيف من مدافع الدبابات والطائرات ورشاشاتها وصواريخها.

هنا، حاولت قوات الاحتلال الإسرائيلية المتمركزة في الجابريات التقدم من الجهة الجنوبية حوالي الساعة العاشرة من صباح اليوم الثاني (2002/4/2 مستخدمة غطاء جوياً عبر قصف مستمر بصواريخ مروحيات الأباتشي، ورصاص رشاشاتها الثقيلة، وقنابل الدخان حتى تغطي تقدمهم باتجاه بعض البيوت المشرفة على المخيم وذلك للتمركز والسيطرة. كما تم وضع قناصاتهم للمراقبة والترصد، إلا إن قوات المقاومة أجبرتهم على الرحيل وذلك بجهود مجموعة من المقاومين الذين يقودهم زياد العامر والشيخ محمود الحلوة وعلاء فريحات، وقد كان العامر، في حينه، يقوم بجولة تفقدية للمجموعات لرفع المعنويات ومعرفة أي نقص في العتاد والتموين وسده، وغير ذلك.

وفي المقابل كان ثمة أجواء من الحماسة والترقب والتحضير لهذه المواجهة من قبل شباب المقاومة في أزقة مخيم جنين وشوارعه وبيوته، وكان الانتظار لساعة الصفر وبدء المعركة على أشده. وفي هذه الأثناء علمنا باعتقال ثلاثة من المقاومين من أبناء المخيم وتواجدهم في رام الله، وهم: عبد الكريم عويس، ورمزي الفياض، ومحمد أبو طول وهم من أهم القيادات المؤسسة لكتائب شهداء الأقصى، ومعهم الشبل الحاج خضر. هنا، حاولت المقاومة الاشتباك مع بعض المجموعات في الخطوط الخلفية لقوات الاحتلال الإسرائيلية، وذلك بتوجيه ضربات والقيام بتفجير العبوات المنتشرة في محاور محافظة جنين. وقد كان على رأس هذه المجموعات قوات من الأمن الوطني، حيث لعب اللواء المرحوم فايز عرفات دوراً هاماً في تزويدنا بالرصاص والبنادق المصادرة (من التنظيمات).

لقد كان رجال المقاومة داخل المخيم يحاولون جر قوات الاحتلال لساعة الصفر من خلال إطلاق النار على الدبابات والجرافات والقوات المنتشرة حول المخيم، واستفزازها كإشارة تحد للجنود بأننا جاهزون نفسياً ومادياً عدةً وعتاداً. عندئذ، كان النفير والسهر على مدار الساعة تحسبا لأي تقدم. وهنا، حاولت قوات الاحتلال الإسرائيلية الإيهام بأن الهجوم سيبدأ من الجهة الجنوبية، حيث بدأت بالتقدم باتجاه المسجد الكبير في المخيم وشارع السكة وشارع الساحة تحت وابل كثيف من نيرات الدبابات والمروحيات عيار (500،800)، وكانت الجرافات تقوم بإزالة السواتر والحواجز وكل ما يقابلها من سيارات، وكانت تهدم كل ما يعيقها من أسوار وبيوت، وكانت تتقدمها كاسحات الألغام لإزالة الألغام وتفجيرها، إلى أن تمركزت القوات والقناصة فوق المنازل وفي أماكن قاموا بتجريدها من أصحابها

حسب الخرائط المعدة مسبقاً لديهم. في هذه الأثناء، كان هناك إطلاق نار خفيف من قبل المقاومة باتجاه القوات المتفرقة وبشكل مرشد حسب إرشادات قيادة المقاومة، وذلك بقناعتنا بأن كل الذخيرة يجب أن تصب على العدو وجها لوجه.

ومن ثم، ساد الهدوء الكامل في ساعات الليل الطويل المليئة بالتخوف والترقب والحذر، لكنها كذلك تشهد على جاهزية واستعداد كبيرين، فقد كنا على قناعة بأن جنود الاحتلال كانوا يشعرون بنفس الشعور من الترقب، وهذا ما أكدته مقابلاتهم فيما بعد مع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة. وكان المقاومون مدركين بأنهم ذاهبون إلى ملحمة تاريخية، وبطولة سيسطرها شعبنا بحروف من ذهب ودم في سفر تاريخ المقاومة في التاريخ المعاصر. وفي ساعات الفجر الأولى، وفي حالة من السكون، وهدوء الشهداء في مقابرهم، وتوتر الأحياء فوق أرضهم التي قرروا الدفاع عنها لآخر قطرة دم في ليل مخيم جنين الدامس، ومع رذاذ من المطر الربيعي ذي الرائحة الجذابة، وفي تمام الساعة 2:10 بعد منتصف الليل، وفي فجر 3/4/2002، انطلقت شرار البداية واندلعت المعركة.

4.3 اليوم الثالث 3/4/2002 الأربعاء: لسعة النحلة المباركة

بعد هدوء كامل ويوم طويل من الانتظار في اليوم الثاني، كانت بداية الهجوم الحقيقية الساعة الثانية وعشر دقائق صباحاً، من الجهة الجنوبية-الشرقية، حيث تقدمت القوات الإسرائيلية عبر تمركز قرابة 50 دبابة وآلية يرافقها جنود مشاة (جندي-جندي)، وبهدوء تام من منطقة الجابريات باتجاه الجهة الشرقية من شارع الغبَّس وخلة الصوحة، وفوجئوا بانفجار عبوة ناسفة كانت عبارة عن أنبوبة غاز حمراء وضعت في زاوية بيت أبو الوفا-مقابل بيت الحاج راجح، ووصلت أسلاكها مع أسلاك الكهرباء حتى لا يتم كشفها، وتم تفجيرها من قبل مجموعة أمن وطني ومقاومين أصابت العديد من جنودهم حيث سمع صراخهم وعويلهم، وتمت مصادرة بعض قطع السلاح من الجنود المصابين، ما أدى إلى إعاقة التقدم من هذه المنطقة لتضميد الجرحى ونقلهم من ساحة المعركة، وإعادة ترتيب صفوفهم. وقد تم استدعاء طائرات الأباتشي على الفور، وقامت بقصف المنطقة برشاشات ثقيلة من أجل إبطال مفعول العبوات الناسفة من خلال إصابتها بشكل مباشر بالنيران أو قطع الأسلاك المتصلة بالعبوات والمتحكَّم بها من قبل المقاومين. وقد استمر الجنود بعد ساعة بالتقدم من منطقة خلة الصوحة، إلى أن وصلوا إلى الجهة الشرقية من شارع الغبَّس بالقرب من مسجد عمر بن الخطاب ومقابل دخلة الزغل وحارة الدمج، حيث رافق تقدم الجنود إطلاق نار كثيف، وصوت جنازير الدبابات وهديرها.

وفي المقابل تواجد في هذه المنطقة مجموعة من المقاومين، وكان على رأسهم زياد العامر، وعماد مشارقه وطه الزبيدي وهاني أبو ارميلة (وكلهم قد استشهدوا في أوقات لاحقة)، ومعهم كذلك أبو علي بركات والخميني وعلاء فريحات. في بداية المعركة، أصيب الشاب هاني أبو رميلة وحاولت الممرضة فدوى الجمال من مخيم نور شمس (والتي كانت في زيارة

لأختها رفيدة الجمال) إنقاذ هاني وإسعافه، فأصيبت برصاصة في الرأس واستشهدت على الفور. وحاولت أختها رفيدة إسعافها، فأصيبت أيضاً برصاص قناص كان متمركزاً في مسجد عمر بن الخطاب. وكان هناك إصرار واضح من جنود الاحتلال على التقدم من هذه المنطقة باتجاه حارة الدمج لقسم المخيم إلى نصفين وعمل اختراق في صفوف قوى المقاومة الفلسطينية حسب خطة الهجوم لدى قوات الاحتلال الصهيوني.

وقد دارت اشتباكات عنيفة في هذه المنطقة، حيث تمكن خلالها الشهيد زياد العامر (وكان يحمل سلاح ناتو) من "قنص وقتل الميجر موشيه غيرتسر"-كما أفادت أخبار سمعناها في ذلك اليوم عبر محطات الراديو. كما تمت إصابة أربع جنود من قوات العدو خلال هذه المعركة. وكان الجيش والقناصة متمركزين في بيت أبو نادر السعدي، وحاول القائد زياد العامر الالتفاف عليهم من بيت آخر، ولكن القناصة، الذين أخذوا مواقعهم في المنطقة شرق شارع الغبَّس، قاموا بإطلاق رصاصهم على أقدام الشهيد زياد العامر، الذي حاول الانسحاب وهو مصاب، إلا أنهم استمروا في إطلاق النار عليه حتى استشهد. وقد حاول رفيقه عماد مشارقه إنقاذه وسحبه إلى مكان آمن، إلا أنهم قاموا بقنصه وإصابته إصابة مباشرة أوقعته مباشرة بجانب قائده ورفيقه سلاحه زياد العامر.

وقد وقع خبر استشهاد القائد زياد العامر على مسامع المقاتلين كالصاعقة. ومع أن استشهاده شكَّل صدمة وحزناً كبيراً للمقاومين، إلا التعبئة والتجربة الكبيرة التي تحلى بها المقاتلون أدت إلى أنهم تنادوا وكبروا وهتفوا: "بالروح بالدم نفديك يا زياد،" فكان لاستشهاده دفعة قوية للمقاومين جميعاً، إذ إنه إذا كان زياد قد استشهد، فعلى الجميع أن يقاتل بقوة ثأراً لزياد، ولنيل الشهادة مثله. وقد حدثنا مقاومون، فيما بعد، بأنهم كانوا خارج المخيم لا يريدون المشاركة في المعركة، ولكن عندما سمعوا خبر استشهاد زياد عادوا إلى المعركة بقوة ومعنويات عالية. وفي هذه الأثناء، كذلك، استشهد المواطن عطية أبو ارميلة، الذي لم يتمكن أحد من دفنه نتيجة لحظر التجول، و منع سيارات الإسعاف والأطقم الطبية من دخول المخيم، ولشراسة المعركة. ومن المشاهد المؤلمة، والقصص السوريالية، أن جثمان الشهيد أبو ارميلة بقي مسجى في بيته لعدة أيام دون دفنه، و لم يدرك أطفاله حقيقة استشهاده، وكان أحدهم يتوعد الآخر بأنه سيخبر والده (الشهيد) بما عمل به ليعاقبه!

هذا، وقد تم نقل جثامين الشهداء (ومنهم: فدوى الجمال، هاني أبو رميلة، وزياد العامر، ويوسف القلق الذي استشهد في يعبد) إلى مستشفى جنين الحكومي، الذي سمي لاحقاً على اسم الشهيد الدكتور خليل سليمان الذي استشهد لأثناء قيامه بواجبه في اجتياح آذار 2002 بعد أن تم استهدافه بقذيفة أنيرجي. في هذه الأثناء كان هناك طفل يسمى محمد عمر حواشين وعمره 12 عاماً، والذي يتبين من شهادة أحد المقاومين الذي كان يجلس مع والده وبعض المقاتلين (والتي سترد أدناه) بأن الطفل كان يحدث والده بأنه يريد وضع العبوات في حقيبته المدرسة ويتساءل كيف تكون

الشهادة؟ وقد حدثه أحد المقاومين بأن الشهادة كلسعة النحلة. فطلب من والده واستأذنه بأنه يريد رؤية الشهيد زياد العامر في مستشفى جنين، وقام باللحاق بوالدة زياد العامر التي كانت تبحث عنه، غير مصدقة استشهاد أكبر أبنائها، وتريد رؤيته في مستشفى جنين. وعندما اقترب الطفل محمد حواشين من مستشفى جنين، قام جنود الاحتلال وقناصته بإصابته برصاصة في الصدر، فاستشهد على الفور بعد قرابة عشر دقائق من تلك المحادثة. وقد دفن هؤلاء الشهداء في ساحة قريبة من المستشفى لعد وجود سعة في ثلاجة الموتى التي في المستشفى.

وفي شهادة أخرى على استشهاد الطفل محمد حواشين،يقول عبد الله حويل[67] (الذي اعتقل في اليوم العاشر للمعركة): كان الوقت عند الظهيرة تقريباً من يوم الأربعاء، وكانت الأحداث في طريقها إلى الذورة، فتوجهت أنا وصديق لي إلى بيت صديق ثالث لنا يدعى أبو محمد الحواشين لنستريح قليلاً. فاستأذنا ودخلنا البيت وجلسنا في غرفة الضيوف، أنا وصديقي وأبو محمد، وابنه الطفل محمد حواشين ذي الـــ 12 ربيعاً. وبدأنا بالحديث عن أوضاع المخيم، وخلال وقت قصير انتشر خبر استشهاد زياد العامر وهو من المقاتلين الأشداء، فتحول الحديث حول الشهيد زياد. ثم طلب صديقي حقيبة مدرسية ليضع فيها بعض أغراضه. فذهب الطفل محمد، وأحضر حقيبته المدرسية، وأفرغ جميع محتوياتها من الكتب وأعطاها لصديقي. بعد هذا سألني الطفل محمد سؤالاً غريباً بالنسبة لعمره. قال لي: "يا عمي كيف بستشهد الإنسان؟ وصحيح الاستشهاد إشي مؤلم؟" فأجبته بما يناسب عمره، وهو: أن الإصابة مثل قرصة النحلة، ثم يغمض الشهيد عينيه، ويفتحها فإذا هو في الجنة. فاستغرب الطفل محمد جداً من بساطة المسألة. ثم خرج من البيت متوجهاً إلى مستشفى جنين القريب من المخيم علَّه يستطيع رؤية الشهيد زياد العامر. وعند وصولة قريباً من ثلاثة حفظ الموتى التي يوضع فيها الشهداء، أصابته رصاصة قنَّاص غادرة في الصدر فاستشهد على الفور بعد حوالي عشر دقائق من سؤاله عما إذا كانت الشهادة تؤلم أم لا. أما أبو محمد، فقد كانت هذه آخر ساعة يرى فيها ابنه محمد لأنه تم دفنه بجانب المستشفى الحكومي هو وعدد آخر من الشهداء. وبعد انتهاء المعركة تم نقلهم رفاقهم جميعاً إلى مقبرة الشهداء بجانب المخيم.

لم يتوقف هدير أصوات المقاومين من سماعات محمولة على السيارات، والسماعات المحمولة بالأيدي لرفع الهمم، وهتافات تصدح بالله أكبر، وبالروح بالدم نفديك يا شهيد. ووسائل الإعلام قد مُنعت من دخول المخيم حيث أعلنت محافظة جنين "منطقة عسكرية مغلقة" حسب أوامر جيش الاحتلال الصهيوني، بمعنى أنه يحظر على وسائل الإعلام وغيرها دخول المنطقة ليتاح للجيش الاحتلالي الانتهاء من "مهمته" دون أن يتم تسجيل جرائمه. أما المقاومون، الذين تواصلوا مع وسائل الإعلام بأجهزة الهاتف المحمول، فقد أكدوا بأنهم سيقاتلون حتى آخر رصاصة وآخر مقاتل، وكرروا بأنهم سيمرغون أنف الاحتلال بالتراب، وسيلقنونه درساً لن ينساه.

[67] شهادة شخصية لـــ عبد الله حويل (42 عاماً)، بتاريخ 2011/9/25.

4.4 اليوم الرابع (الخميس) 4/4/2002: الرئيس يراهن والمقاومون ينجحون الرهان

بعد يوم دام، مرهق ومتعب، وجس النبض المتبادل بين المقاومين وجيش الاحتلال الصهيوني، وكسر حاجز الخوف لدى الطرفين، واستخدام كافة وسائل القتال. ومع الأخبار المتتالية من نابلس وحصار البلدة القديمة ووقوع معارك ضارية وصعبه هناك (وأنباء استشهاد أبو شرار والطبوق)، وحصار كنيسة المهد في بيت لحم بمن فيها من مناضلين كنا على تواصل مستمر معهم (وخاصة المبعد إلى أيرلندة جهاد جعارة، والمبعد إبراهيم عبيَّات إلى إسبانيا، والمناضل عبدا لله داوود الذي أبعد الجزائر وتوفي في منفاه في العام 2010، والمبعد إلى غزة مازن حسين)... كانت هذه الأنباء تشحننا بالإصرار على المقاومة. ولعل أهم ما كان يرفع معنويات المقاومين هو تواصلهم مع الشهيد الرئيس ياسر عرفات، حيث كان المقاومون على تواصل مستمر مع الرئيس الراحل من خلال اللواء محمد ضمرة-أبو عوض واللواء فيصل أبو شرخ، مسئول حرس الرئيس أبو عمار في حينه.

بعد معركة اليوم الثالث في حارة الدمج والحارة الشرقية من المخيم، وإبداء المقاومين صموداً كبيراً، تقدمت قوات الاحتلال الإسرائيلية إلى محيط حارة الدمج، وخاصة قرب مسجد الأنصار، ومحيط حارة جورة الذهب، تمركز القناصة في كل مكان، وانتقل تركيز الجيش الإسرائيلي الغازي في هجومه إلى شارع جنين-واد برقين في المنطقة الشمالية الغربية قرب "المؤن" حيث تواجد الجنود في بيت أبو محمود الجربوع وبيت الحاج علي الصفوري، إذ قادهم المقاومون الذين كانوا متواجدين بالقرب من منزل رشيد منصور حيث وجرت اشتباكات عنيفة أدت إلى إصابة جنود واستشهاد المقاوم نضال حسني أبو الهيجاء وهو من مدينة جنين (وكان يحمل قطعة سلاح "كارلو" مصنَّعة محلياً). كما حاول المقاوم ربيع جلامنة، والذي كان دائما يحمل حقيبة مليئة بالأكواع على ظهره، إنقاذ رفيقة نضال أبو الهيجا وسحبه، إلا إنه أصيب في بطنه، وتم نقله بسيارة إسعاف، بعد وقت طويل لوصولها نتيجة لإعاقتها من قبل قوات الاحتلال، إلا إنه استشهد أثناء نقله إلى المستشفى.

وفي هذه الأثناء كانت مواجهات أخرى تجري، وآخذ في الاشتداد وامتدت لليوم الخامس، في المنطقة الغربية، وبخاصة قرب بيت أبو الشافع السعدي وأبو إبراهيم الجار قرب مدرسة الوكالة للإناث. كما استشهد أحد المقاومين بالقرب من شارع المستشفى، ولم نتمكن من إنقاذه قبل استشهاده، كما لم نتمكن من سحبه جراء كثافة إطلاق النيران. وقد حاولت إحدى الممرضات الاقتراب منه لسحبه، لكنما تم منعها من قبل جنود الاحتلال. وقد بقي هذا الشهيد ملقى على الأرض حتى انتهاء المعركة، فيما اقتربت منه دبابة، وتم ضربه بأعقاب البنادق في رأسه بعد استشهاده. وكانت هناك حالة مشابهة بالقرب من بيت الجلقموسي، إذ استشهد مقاوم آخر(يُعتقد أنه محمد البزور) أثناء محاولته ألقاء أكواع متفجرة على جنود الاحتلال، وقد تم منع الوصول إليه تماماً كالشهيد السابق.

في هذا اليوم سمع المقاومون إشادة الرئيس الراحل ياسر عرفات بالمقاومة في جنين ونابلس، والتقطوا إشارته بالمراهنة على صمود المقاومة حتمية نصرها، حيث قال: "إن الشعب الفلسطيني ينظر إلى من يقاتلون القوات الإسرائيلية في نابلس وجنين في الضفة الغربية باعتزاز وثقة بصمودهم وصبرهم وإصرارهم على تحدي آلة الدمار الإسرائيلية،"[68] ودعا إلى وحدة صفوف الفلسطينيين، وضرورة استعدادهم لمقاومة على المدى الطويل.

4.5 اليوم الخامس (الجمعة) 2002/4/5: كمين في حارة الطوالبة، وجثث شهداء على دفعات

تحت غطاء كثيف من إطلاق من رشاشات المروحيات عيار (500،800)، كانت قوات الاحتلال الإسرائيلية تقوم بتمشيط المنطقة بالقرب من بيت محمود طوالبة (قائد سرايا القدس) لتغطية التقدم بشكل بطيء (جندي-جندي) حتى وصلوا إلى بيت سري سمور الذي يقع قبالة بيت محمود طوالبة، فكشفهم المقاومون، ودار اشتباك طول بينهم، واتصل القائد أبو جندل بنا، وطلب قطعتين إم-16، أي إنه يريد مقاومَين معهما قطعتي إم-16، وذلك لتعزيز تواجدهم ومقاومتهم لتقدم الجنود الصهاينة.

(وكما هو معروف، فإن رصاص إم-16 متوفر بشكل كبير وأرخص من رصاص الكلاشنكوف، فكان الاتفاق بين المقاومين، إذا أمكن، استخدام سلاح كلاشنكوف أثناء الهجوم لقوته وسهولة التحرك به، واستخدام الـ إم-16 لتغطية الانسحاب بسبب كثرة الرصاص وتوفره، علماً بأن فارق الدقة بين البندقيتين قد زال تماماً بسبب قرب مسافة الاشتباك التي لم يعد فيها من قيمة لمسألة دقة الـ إم-16 التي تتفوق بها على الكلاشنكوف، فيما زادت قيمة قوة الكلاشنكوف نتيجة لقرب مسافة الالتحام!)

... ونتيجة لاتصال أبو جندل، فقد ذهب لمساندته كل من المقاومين إبراهيم جبر ومحمود طوالبة ومحمد النورسي (وهو نقيب في جهاز المخابرات الفلسطينية العامة، وسجين سابق لمدة 8 سنوات)، حيث التقوا مع أبو جندل والمقاوم عطا أبو ارميلة (أمين سر حركة فتح في إقليم جنين حالياً) والأسير حسان عويس، والأسير مجدي أبو وفا، حيث دخلوا من بيت أبو ساطي، ثم بيت محمود طوالبة، المقابل للبيت الذي يتواجد فيه الجنود مباشرة (وهو بيت سري سُّمور) بمسافة لا تزيد عن عشرين متراً. عندها، فتح المقاومون النار فجأة، ودون أن يشعر بهم الجنود الصهاينة، فبدأوا بالصراخ والعويل والنداء بالعبرية: "أيما، آبا" (أمي، أبي)، وطلب النجدة والمساعدة. وقام محمود طوالبة بتفخيخ جرة غاز وإلقائها باتجاههم، حيث انفجرت بالمكان. وقد أصيب في المعركة محمود طوالبة بيده إصابة سطحية خفيفة، وأُصيب مقاومان

[68] جريدة القدس، 5 نيسان 2002.

آخران، وقتل وأصيب ما يقارب إثنا عشر جندياً إسرائيلياً، ما أسهم في رفع معنويات المقاومين حدَّ السماء. وقد رجعت المجموعة المساندة لأبو جندل وأبو ارميلة إلى موقعها بسلام. ويذكر، على لسان المقاوم عطا أبو ارميلة، أن تلك المواجهة شهدت استلحاماً بطولياً استخدمت فيه أسلحة بدائية، أو على حدِّ قول أبو ارميلة: "كل ما وجد. إطلاق نار. أكواع متفجرة. قنابل ملوتوف. حجارة. طوب...وحتى أحذية!"

ومما تمت ملاحظته في هذه المعركة أن بعض المقاومين سمعوا إطلاق نار من سلاح كلاشنكوف في اتجاههم، فظنوا أنه إطلاق نار خاطئ، أو ما يعرف بـــ"نيران صديقة"، ولكن نظر بعضهم (مثل أحمد طرازعة وعمر عطيان) من الطاقات المخصصة للمراقبة، فتفاجئوا بأن هناك فرقة من القوات الإسرائيلية تستخدم الكلاشنكوف للتمويه على المقاومين، وربما كانت، مثلنا تستفيد من فاعلية الكلاشنكوف في المعارك الاستلحامية! وقد تواجد في هذه المواجهة أشبال أذكر منهم رجا قنيري ومجاهد قنيري. كما أذكر أن قوات الاحتلال الإسرائيلي، وأثناء تقدمها إلى جورة الذهب، عثرت على عبوات ناسفة في منزل الشهيدين أمجد ومحمد فايد، وقام سلاح الهندسة لديهم بتفخيخ المنزل المكوَّن من ثلاث طبقات وهدمه في صورة شهيرة أعيد بثها أكثر من مرة على فضائية الجزيرة، وظنَّ الناس أنها جاءت لإنهاء مواجهة "الكمين القاتل." وهنا، اعتقلت قوات الاحتلال الإسرائيلية المواطن حسني فايد، وهو رجل كبير في السن بسبب العثور على بعض الأكواع المتفجرة بالقرب من بيته، رغم أنه لم تكن له علاقة بها، وتم ضربه بوحشية، وخاصة في حرش السعادة، حتى استشهد.

وفي مقابلة مع الجزيرة، في هذا اليوم، قال الرئيس الراحل ياسر عرفات، ويقصد شارون: "هذا ليس وطنه، بل وطني، ووطن الفلسطينيين، ونحن هنا قبل سيدنا إبراهيم!" وقد كان لهذه الكلمات كبير الأثر على نفوس ومعنويات المقاومين والمدافعين عن مخيم جنين. كما أنه في هذا اليوم قتل مقدم في الجيش الإسرائيلي المحتل، وإصابة ثلاث آخرين. وقد تزامن مع ذلك تضييق للحصار الذي اشتد ومنع بشكل شبه نهائي وصول سيارات الإسعاف لنقل الشهداء والجرحى للدفن أو لتلقي العلاج، خاصة أنه في هذا اليوم كان هناك ثلاث شهداء وما يزيد عن خمسة عشر مصاباً. وممن استشهد الشبل منير وشاحي والذي أصيب في الصدر أثناء محاولته إلقاء أكواع متفجرة على جنود الاحتلال، وبسبب عدم وصول سيارات الإسعاف وتوفر العلاج، نقل من منزل إلى منزل، من بيت فيصل أبو سرية (والد الاستشهادي مصطفى أبو سرية) إلى بيت خليل النورسي-أبو محمد، وحاولت مجموعة من الأشبال (يقودهم الشبل رجاء قنيري والشبل ثائر أبو الباسل والشبل محمد أبو العباس) حتى وصلوا إلى بيت الألُّوب القريب من المستشفى ، فعادوا به من حيث أتوا، فبقي الشبل منير يترف دون علاج حتى استشهد بعد ثلاثة أيام من إصابته، أي في اليوم الخامس.

وفي هذه الليلة أيضاً، تركز القصف على حارة الحواشين بشكل عنيف مع إلقاء قنابل ضوئية من المروحيات، والطائرات الاستكشافية (التجسسية/"الزنانة" أو "أم كامل" بالتسمية المحلية)، والدبابات، وكأن الليل صار نهاراً. وقد حاولنا وبعض

المقاومين التنقل من بيت إلى بيت، فما أن نغادر البيت حتى يتم قصفه بالصواريخ. ويذكر أننا كنا موجودين في بيت الشيخ محمود أبو خليفة وأمه تقرأ القرآن متضرعة إلى الله أن يحمي المقاومين ويحفظهم من شر القوات الصهيونية الغازية، وما أن خرج المقاومون من البيت حتى تم اختراق السقف بصاروخ من طائرة أباتشي دون إصابة أحد، ربما استجابة لدعائها الطاهر وتضرعها إلى الله.

كما يجدر الذكر أنه في هذا اليوم، استشهدت المواطنة يسرى أبو خرج في مشهد سوريالي آخر من مشاهد المعركة. فأبو خرج بنت معاقة عقلياً، داخل الطابق العلوي من بيتها، بواسطة صاروخ أباتشي قطع أوصالها وجدائلها حدَّ أن جثتها قد انقسمت إلى عدة أشلاء بعضها في الجزء العلوي من البيت المهدَّم، والآخر في الجزء السفلي. و لم يتمكن أهلها وأهل المخيم من دفنها لحيلولة جيش الاحتلال دون تمكن الأهل من جمع أشلاء جثتها حتى اليوم الأخير من المعركة... حيث تم العثور على ضفيرتها!

4.6 اليوم السادس، السبت 2002/4/6: المقاومة مستمرة، وإسرائيل تلقي القنابل الفراغية

بعد خمسة أيام من هجوم القوات الإسرائيلية على مخيم جنين وفي محاولات اقتحامه والسيطرة عليه التي باءت كلها بالفشل، كان هناك عدد من الشهداء والمصابين، وتم اعتقال العديد من أهالي المخيم، كل عائلة في غرفة واحدة، مكبلين ومعصوبي الأعين، إذ تمت إهانتهم وتدمير محتويات بيوتهم، وكتابة الشعارات المعادية على الجدران، وكانت كثر من الشعارات شائنة وسافلة، وتضمن بعضها عبارة "الموت للعرب"...ولا عجب في ذلك، فقد كبير العسكر من جند العدو، شاؤول موفاز، يشرف على العلمية بنفسه في هذا اليوم.

كان هذا اليوم ماطراً، وكان البعض يقول إن الله معنا ليحمينا، وكنت من المؤمنين فيما كنت أفكر في قرارة نفسي، كذلك، بأن المطر سيبطل مفعول العبوات الناسفة المدفونة، وسيطفئ نار "التدفئة" والتعمية! وكان يوماً حافلاً بالمواجهات العنيفة على كل الجبهات، وخاصة حارة الدمج والمنطقة الغربية من المخيم. ففي حارة الدمج، والتي تعتبر من أضيق الحارات من حيث أزقتها وتقارب المنازل بعضها للبعض الآخر، كان لأهلها الدور الكبير في مساندة المقاومين في مراقبة تحركات جيش العدو، وإعداد الطعام، والسهر على راحة المقاومين أثناء استراحتهم ساعة أو ساعتين خلال الليل. فقوات العدو، بالمقارنة، تقوم باستبدال قواتها باستمرار لإراحتهم، بينما المقاومون لا يستطيعون ذلك، إذ هم في حركة مستمرة على مدار الساعة، ولا يتلقون إلا القليل من الطعام الذي يعينهم على الاستمرار في حركتهم، مع أن الكثير من المقاومين كانوا يصومون باستمرار، وكانوا يحضرون ما توفر من المواد التموينية لوجبة الإفطار (مع أذان المغرب). وأحياناً، كان المقاومون أثناء الاشتباكات يتناولون الماء لكسر صيامهم مع أذان المغرب، الذي كان يُرفع من قبل المقاومين أنفسهم بعد تم قطع الكهرباء عن المدينة والمخيم، وتعطلت سمعات الجوامع! وقد شارك أبناء حارة الدمج

في الاشتباكات، والمواجهات، وإلقاء الأكواع المتفجرة، وتوفير مولد كهرباء لشحن بطاريات النقال (الجوال وغيره) على يدي المواطن خالد الدمج. وقد تم قصف غرفة مولد الكهرباء بصاروخ أصابه إصابة مباشرة!

وقد حاول جيش الاحتلال أكثر من مرة التقدم في هذه الحارة بعد تمهيدها بصواريخ المروحيات ورشاشاته الثقيلة من عيار (800ـــ500)، وتقدم الدبابات، وإلقاء قنابل الصوت والدخان... إلا إن كل محاولاتهم باءت بالفشل، حيث وجدوا مقاومة شرسة جداً من المقاومين، وعلى رأسهم الحاج عماد القاسم وثابت المرداوي وأبو موسى الحلاجي وطه زبيدي ومحمود طوالبة ويحيى زبيدي، وقد خسر العدو في هذه المواجهة ثلاثة جنود وتكبد العديد من الإصابات، بناءً على رواية المقاومين، فانسحبت القوات الإسرائيلية من هناك، ثم عادت بعد أن لملمت جراحها مدحورة، ولكن هذه المرة استأنفت هجومها بالجرافات الضخمة المصفحة D9N وجرافات D9L، وبدأت بهدم البيوت بشكل ممنهج في هذا اليوم، لا في اليوم التاسع كما تقول بعض المصادر، وقد استمر ذلك حتى لم يتبق بيت واحد في الحارة، وأصبح المقاومون والجرافات وجها لوجه، وبخاصة عندما تجمع المقاومون في بيت جليِّل الدمج الذي كان يحتوي على مخبز يقوم على خدمة المقاومين دون مقابل. وفي اليوم التالي، أصر أصحاب البيت على عدم خروج المقاومين إلا بعد تذوق طعامهم، لا خبزهم وحسب، وهو ساخن وخارج من الفرن للتو! وفي نهاية اليوم، اضطر المقاومون إلى الانسحاب إلى حارة الحواشين ومنزل الحاج عماد بعد قدوم الإمدادات من المقاومين في مجموعات أخرى، وتوفير الغطاء لهم للانسحاب، حيث كانت قوات الاحتلال تتمركز في مسجد الأنصار.

وفي الوقت ذاته، كانت معارك ضارية تدور غربي المخيم مع مجموعة من قوات الأمن الوطني عرف منهم: أبو جندل، أحمد طزازعة، وعمر عطياني، وطارق دراوشة؛ ومجموعة من المقاومين، منهم: محمد بدوي، يوسف مشارقة (العجل)، شادي النوباني، مصطفى الشلبي، نضال السويطي، أمجد الفايد، ومحمد مشارقة. وقد كانت هذه المعارك قريبة من بيت أبو إبراهيم الشلبي (الجار) والشافع السعدي، حيث تواجد مقاومون في منزل أحد السكان من ثلاث طوابق. وقد تم قنص طارق دراوشة (من وادي الفارعة) في رأسه برصاصة من عيار ثقيل، فسقط شهيداً، حيث رأى الشباب مخه ينتشر على الأرض. ثم تم سحب الشهيد والانسحاب من البيت. وبوشر بعمل كمين حول البيت، فتقدم الجيش ودخل إلى البيت من خلال إحداث ثغرات في الجدار باستخدام المطارق الكبيرة، فبدأ المقاومون بإطلاق النار وإلقاء الأكواع المتفجرة في اتجاههم، حيث صرخ أبو جندل وأقسم بأنه سينتقم لطارق دراوشة، الذي كان يكن له محبة خاصة لأن طارق من الشباب الذين كانوا ينشدون الشهادة، حيث قدم أصلاً إلى مخيم جنين حتى ينفذ عملية استشهادية. وفي هذه الكمين اعترف العدو بمقتل ثلاثة جنود، وإصابة آخرين بجراح خطيرة.

وفي هذه الجهة، أيضاً، كان المقاومون متمترسين خلف أكياس الرمل يرصدون ويترقبون الجنود لحظة بلحظة. ومن

الجدير ذكره أن عناصر القوة التنفيذية في الأمن الوطني كانوا ملتزمين بمواقعهم التزاماً حديدياً. ويذكر أحد المقاومين، وهو عمر عطياني، من الأمن الوطني، قال إن قوة إسرائيلية كانت متواجدة على رأس الزقاق حيث نصب الكمين المحكم حول المترل، وطلب منها قائدها الالتفاف على المقاومين، إلا أنهم بدأوا بالصراخ والبكاء ورفضوا تنفيذ الأوامر والالتفاف على المقاومين. ومن الجدير ذكره وجود مجموعة من المقاومين الذين يتقنون اللغة العبرية، مثل إياد السلفيتي وعطا أبو ارميلة، وكانوا موزعين على المحاور والحارات لالتقاط ما يمكن من معلومات من خلال السماع المباشر لمخاطبات قوات الاحتلال واتصالاتها. وبعد عملية إطلاق النار، تم انسحاب المقاومين من منطقة الكمين لأن القوات الإسرائيلية استعانت بالمروحيات، وبدأت بقصف المنطقة بشكل واسع ومكثف حتى أنها أحرقت معظم منازل تلك المنطقة.

وفي حارة أبو سباع وشارع المستشفى كانت القوات المعادية تحاول التقدم بكل قوة، ولكن تم صدهم من قبل المقاومين الذين كانوا متمركزين في منازل مقابلة، وتم قنص العديد من جنودهم وقتل جندي وإصابة آخرين في مترل أبو عادل الجبارين. وقد قامت آليات الاحتلال بهدم الجدار القريب من بيت الديراوي وكشف المنطقة لمدافع دباباتهم ورشاشاتهم، إلا أن المقاومين سطروا موقفاً رائعاً في الثبات والصمود حتى الأيام الأخيرة من المعركة بمواجهة كثافة تلك النيران والرد عليها. وأما في جورة الذهب، فقد كانت القوات الإسرائيلية تواصل تقدمها ببطء، تدخل المنازل، وتهدم الجدران، وتفتح ثغرات، وتضع أكياس الرمل، وتركِّز القناصة، وتدفع بالكلاب التي أثبتت الكاميرات على رؤوسها لكشف وجود المقاومين دون دفع خسائر "بشرية"!

وهكذا، فقد كان المشهد البانورامي العام للمخيم لمن يريد أن يتصور ذلك من الجو، هكذا: مروحيات تقصف على مدار الساعة على كل سنتمتر في المخيم؛ دبابات تطلق قذائف ثقيلة تقصف من حرش السعادة ومنطقة صباح الخير؛ حرائق في كل مكان دخان من قوات الاحتلال الإسرائيلية؛ ودخان من إطارات السيارات من المقاومة لإخفاء الرؤيا؛ دمار وجثث شهداء وأشلاؤهم في كل مكان؛ انقطاع تام للكهرباء يسبب ظلاماً دامساً؛ والمقاومون يتابعون الأخبار على أجهزة راديو صغيرة يتحلَّقون حولها ويستمعون للأخبار بالعربية ولغة العدو العبرية.

وأثناء انسحاب المقاومين من المنطقة الغربية باتجاه حارة الطوباسي، بالقرب من غرفة العمليات الرئيسية، استقر المقاومون في بيت خالد السعدي، وفي هذه الأثناء، كنت على اتصال مباشر مع نضال سويطات، وقام بإعطائنا معلومات حول تقدم جيش العدو نحو مترله بالقرب من حارة السمران وجورة الذهب، من خلال تواصله مع أهله. وفي آخر اتصال معه أخبرني أن جيش الاحتلال متواجد في بيته مع كلابه، ويهددون أهله، ويخبرونهم بأنهم سيهدمون مترلهم لأن أخاه يوسف سويطات نفذ عملية استشهادية في الخضيرة. وبعدها، انقطع الاتصال مع نضال و لم يعرف السبب إلا بعد عشرة دقائق حيث دمر صاروخ البيت الذي دخله، وهو بيت خالد السعدي، تبين أنه يحمل قنبلة فراغية أدت إلى

استشهادهم، فيما أصيب نضال إصابة مباشرة بصاروخ. وقد كان في مجموعة نضال أربعة مقاومين، وهم: مصطفى الشلبي (الملقب بـــ اشنوير، والذي ألح في طلب قطعة سلاح حدَّ أنه حمَّل قادة المقاومة "خطيَّة عدم إعطائه قطعة السلاح إلى يوم الدين!"، وكان جالساً على كرسي، ومحمد حامد، وفادي أبو عره (وهو من الأمن الوطني)، وطارق دراوشة (من الأمن الوطني كذلك) وقد استشهد في موقعة سابقة في المنطقة الغربية. هذا، ويقول أحد المقاومين إنه شاهد الجيش فيما بعد يدخل المنزل وفتشوه واخذوا بندقية وتركوا الجثث حتى انتهاء المعركة.

ويذكر في أحداث ذات علاقة أنه في هذا اليوم سقط سبعة عشر شهيداً في حي القصبة في نابلس بعد مواجهات دامية. وقد كانت المفاجئة باستشهاد "المطارد" القسامي قيس عدوان الذي كان مقيماً في مخيم جنين، ولكن كتائب القسام ارتأت إخراجه من المخيم، وكنا نعلم كم كان يريد البقاء والاستشهاد في المخيم، لكن لاحقاً علمنا باغتياله في بلدة طوباس هو وخمسة من مرافقيه. وقد كان عدوان، المتحدِّر من بلدة سيريس ويسكن في مدينة جنين، مطارداً من قبل قوات الاحتلال إذ تتهمه بالضلوع في العديد من العمليات الاستشهادية داخل فلسطين المحتلة العام 1948.

4.7 اليوم السابع (الأحد) 2002/4/7: كمين رفع المعنويات-مواجهة حارة أبو جواد

في صباح اليوم السابع، الذي اختلط فيه الليل بالنهار على المقاومين لأن المعركة كانت مستمرة على مدار أربع وعشرين ساعة، وبسبب الأجواء الماطرة والضباب، استمرت قوات الاحتلال في محاولتها إحكام السيطرة على المخيم من كل جهاته، والتوغل داخله، وتقسيمه، حسب خطتهم العسكرية، إلى مربعات وفصل كل مربع عن الآخر وقطع الاتصال والتواصل والإمدادات بين المقاومون بغية السيطرة على المقاومة وكسر عظمها، حيث تم فصل الحارة الغربية بالكامل عن حار الحواشين، حيث تقدمت دبابات وآليات أخرى باتجاه مفرق جورة الذهب وحارة السمران ومنزل زياد أبو الهيجا، وخلال ذلك انسحب أبو جندل ومن معه إلى حارة الحواشين.

هنا، نصبت القوات الإسرائيلية كمائن عسكرية، ووزعت قناصة وراصدين بمناظير نهارية وليلية، ورافق ذلك وتصوير جوي على مدار الساعة لإمداد القيادة بكل ما يتحرك على الأرض، وقصفه بواسطة مروحيتين تنشران الموت في الجهة الشمالية فوق ضاحية صباح الخير، ومروحيتين أخريين فوق حرش السعادة... تتبادل أدوار القصف والقتل. وفي ظل هذه الأجواء، لم يكن من متسع لأي مقاوم أن يتحرك بسهولة، لكن ذلك لم يزد المقاومين إلا استبسالاً نظراً لمحدودية الخيارات (في ظل التصفية والقتل)، فلم يعد للمقاومين إلا المقاومة، والمواجهة وحسب. هنا، بدأ المقاومون بإخراج السكان لتقليل الخسائر وليس كما تقول إسرائيل لاستخدامهم كدروع بشرية (الأمر الذي كانت هي من يقوم به)، إذ كان أولئك أهلنا أخواناً وأخوات وزوجات وأبناء وآباء وأمهات، نحميهم ولا نحتمي بهم.

وعلى الرغم من إدراك المقاومين لمدى نجاعة مقاومتهم، إلا إن بعض المصادر الإعلامية كانت تثلج صدورهم بأخبار ذات قيمة عالية لرفع معنوياتهم. ومن ذلك الاتصال الهاتفي الذي أجريته مع الإعلامي وليد العمري، مدير مكتب قناة الجزيرة في فلسطين، حيث أخبرني بأنه موجود في صندلة، مسقط رأسه، وأنه لا يصدق عينيه إذ كانت هناك مروحيات "أنفا" لنقل الجنود الجرحى (وربما القتلى) من سيارات الإسعاف القادمة من محيط مخيم جنين. وهناك تذكرت ما قاله القائد أبو جندل في إحدى الجلسات المكرسة للإعداد للمعركة: "نريد جرحى في صفوف القوات الإسرائيلية الغازية، لأن الجرحى يرهقون الجيش أكثر من القتلى بالعلاج والتضميد والنقل إلى المستشفى. إن صراخهم وعويلهم ومشاهد تألمهم ستؤثر بشكل كبير على معنويات جنودهم."

وفي المقابل، كانت قوات الاحتلال الإسرائيلية كذلك غير مصدقة لما يحدث، ما دفع رئيس هيئة الأركان شاؤول موفاز إلى تصريح أرعن بأنه سينهي المعركة حتى قبل هذا اليوم. ولكن المعركة تستمر، وجيش الاحتلال الإسرائيلي، ومجتمعه العنصري، لا يطيق حروباً طويلة وخسائر كثيرة. ولذلك، فقد قدم موفاز بنفسه إلى مخيم جنين (في اليوم السابق)، وتواجد في حي الجابريات لقيادة المعركة بنفسه، بعد أن زاد استغراب الإعلام الإسرائيلي والعربي والعالمي (وفي بعض الأحيان الإعلام الفلسطيني) مما يحصل في مخيم جنين وحي القصبة في نابلس، ما زاد الضغط على قوات الاحتلال الإسرائيلية، كما زاد إصرار المقاومين في المخيم على مواصلة المعركة حتى النصر.

وفي هذا اليوم حاول بعض المقاومين التقدم نحو حارة الدمج لدعم الأخوة المتواجدين بالقرب من الحارة، وعلى رأسهم طه زبيدي، الذي تواجد في بيت خالد البطل، وكان في رفقته شادي صويص، ومحمد نغنغية (إيشت)، وحسين أبو نعسة، وثابت المرداوي، وعبد الهادي العمري. وما أن عبر زبيدي ممراً ضيقاً حتى أطلق قناص إسرائيلي، متمركز على بيت أبو بسام الحريري، رصاصة على رأسه، فخر شهيداً تعانق روحه روح والدته سميرة زبيدي التي استشهدت قبله بشهر تقريباً في 6 آذار 2002، والتي عُرف عنها احتضانها ومساندتها للمقاومين، وكان كل أولادها مشاركين في معركة مخيم جنين: عبد الرحمن، وزكريا ، ويحيى، وطه، وجبريل، وداوود الذي كان يتابع المعركة من سجنه. وبعد استشهاد طه قام جندي إسرائيلي بإطلاق قذيفة "إنيرجي" عليه حتى احترق بالكامل إلا عصبة على رأسه كتب عليها "لا إله إلا الله"، وكان طه أحد أهم قادة سرايا القدس-الذراع العسكري لحركة الجهاد الإسلامي، وكان مسؤول التسليح في سرايا جنين. وفي حدث مشابه، حصلت مواجهات في حارة السمران (القطنات) بالقرب من جورة الذهب عندما تقدمت قوات الاحتلال الإسرائيلية باتجاه حارة الحواشين، فتصدت لها مجموعة من المقاومين، وكان على رأسهم: محمود الحلوة ورائد الأمين ومحمد الأمين وأشرف أبو الهيجاء وعبد الرحيم فرج وعمر أبو الشريف، وأجبروها على التراجع وسقوط العديد من الجرحى في صفوفهم.

في هذه الأثناء المخيم أُغلق بالكامل، و لم يُسمح لأي شخص مغادرته إلا مستسلماً. فلم يغادر أي مقاوم إلا من قام بتسليم نفسه من المدنيين. وفي هذا اليوم، وبالتحديد في ساعات المساء، ساد الهدوء التام واعتقد المقاومون أن قوات الاحتلال الإسرائيلية ستنسحب كما في اجتياحاتها السابقة لمخيم جنين بسبب الضغط الدولي وشدة المقاومة، ولكن تبين، فيما بعد، أن تلك القوات كانت تقوم باستبدال وحداتها فقط في جنين. وقد طالب موشيه يعالون، نائب رئيس الأركان في حينه، والذي تواجد في مخيم جنين، باستبدال قوات الاحتياط بقوات "جولاني" و"جفعاتي،" وتم استبدال قائد العملية "إيال شلاين" بنائبه "ديدي يديدياه".

بعد غروب شمس هذا اليوم، قامت مجموعة من المقاومين برصد مجموعة من قوات الاحتلال الإسرائيلية تتقدم من حارة السمران إلى بيت أبو العبد زبيدي والتمركز فيه، محاولة التقدم باتجاه حارة الحواشين من خلال بيت مقابل لبيت أبو العبد زبيدي حيث يفصلهما شارع بعرض أربعة أمتار. وعندها، قام المقاومون بنصب كمين محكم حيث تواجدوا في بيت أبو جواد القاسم وبيت فتحي الناطور، وحسب التعليمات والإرشادات والقواعد العامة للمقاومين (القاضية بـــ: عدم الكلام وإصدار أي صوت، وإطفاء التلفونات النقالة والميرسات، وعدم إصدار أي ضوء، سواء دخان أو ضوء البلفون أو اللمبات المتواجدة معهم) كان الهدوء مطبقاً وكأن المكان خال من أي بشر، إلا من صوت الطائرات وهي تمشط المنطقة وتمهد للجنود التقدم من خلال رصاصاها الثقيل. وفي ظل هذا الهدوء السابق للعاصفة، بدأ الجنود الصهاينة بالتقدم والتسلل إلى بيت أبو سمير السولمي جندي-جندي، وبهدوء، وباشروا الصعود إلى درج في مقدمة البيت، وهم مكشوفين تماماً لرجال المقاومة. ومع إعطاء الإشارة، فتح المقاومون نيران رشاشاتهم وبنادقهم من كل الأنواع باتجاه الجنود وبكل كثافة وتركيز، ما أدى إلى قتل العديد منهم وإصابة الكثيرين. وقد روى الأهالي، فيما بعد، أنه قد تم استخدامهم كدروع بشرية، وبأنهم رأوا أربع جثث (لجنود صهاينة) ملقاة على الأرض ما أصاب الجنود الصهاينة الآخرين بالذعر والرعب، وما جعل قسماً منهم يدخل البيت وبسرعة، وقسماً آخر، لم يصل بعد، عاد مسرعاً من حيث أتى إلى بيت أبو العبد زبيدي. ومن الجدير ذكره أنه قد تواجد في هذا المكان كل من محمود طوالبة، وعبد الرحيم فرج، وأشرف أبو الهيجاء، وتحسين أبو الليل، والحاج عماد القاسم، وشادي النوباني، وعماد النشرتي، وعلاء الصباغ، وزكريا زبيدي، ومحمد أبو الزلف.

بعد هذا الكمين، ساد الهدوء مرة أخرى في انتظار ردة فعل القوات الصهيونية. وما هي إلا لحظات حتى عاد الطيران يقصف المنازل والبيوت مستخدماً الصواريخ الحارقة والمتفجرة والرصاص الثقيل. كما استخدمت قوات العدو قذائف الآر-بي-جي والإنرجي، وقذائف الدبابات، بعنف لم يسبق له مثيل حتى اعتقدت قوات الاحتلال الإسرائيلية بأنها قضت على المقاومين جميعاً. ومرة أخرى، كان هناك التزام تام من المقاومين بقواعد الاشتباك المتفق عليها. وفي هذه الأثناء، انسحبت مجموعة من الدبابات والجرافات والمدرعات من المكان، وكانت خدعة، حتى يطلق المقاومون النار عليها، ولكن المقاومين لم يحركوا ساكناً لسببين: الأول إدراكهم للخدعة العسكرية الصهيونية، والآخر التزاماً بتعليمات

الاشتباك أن الرصاص من الأسلحة الرشاشة يستخدم فقط ضد الجنود الراجلين، وليس في مواجهة الآليات الثقيلة. وقد كانت لنا تجربة تدعم تعميم هذه القاعدة على المقاومين، حيث قمنا، رفقة ثلاثة من المقاومين، بإطلاق النار مرة واحدة من رشاشات كلاشينكوف على برج الجرافة "D9N"، ولكن وابل الرصاص لم يؤثر فيها بشيء. حتى أن قذيفة الآر-بي-جي الوحيدة التي امتلكها المقاومون، تم إطلاقها على يدي أبو جندل نحو دبابة صهيونية في منطقة زقة "الويمي" (في منطقة الساحة)، فأصابتها إصابة مباشرة لكنها لم تؤثر فيها شيئاً!

بعد الهدوء الكبير، حاولت مجموعة من الجنود الصهاينة، المجموعة التي دخلت بيت أبو سمير السولمي، الانسحاب بهدوء جندي-جندي، لكن أحد المقاومين الساهرين، وقد قاربت الساعة على الثانية ليلاً، سمع صوتا من الباب الخلفي لبيت أبو سمير السولمي، فنبَّه المقاومين لذلك، وبدأت عملية المراقبة إلى أن بدأت مجموعة العدو بالخروج، فأمطرهم المقاومون بوابل من الرصاص الكثيف، فأصابوا ما أصابوا وقتلوا ما قتلوا. وقد استشهد نتيجة لهذه المواجهة المقاوم أشرف أبو الهيجاء الذي أصر على القيام بتمشيط المنطقة بعد إيقاع هذه الإصابات في صفوف جنود الاحتلال، وكان قد غنم خلال معركة حارة الدمج بعض المعدات التي تركها الجنود الصهاينة خلفهم. وقد قام الحاج عماد القاسم (المقدم في جهاز الشرطة، السجين لمدة أربع سنوات)، والذي بترت يده في المعركة، بسحب جثة الشهيد أشرف أبو الهيجا من موقع استشهاده. وقد واصل الحاج عماد تشجيع المقاومين على الاستمرار بالمقاومة، وهو يحمل يده المبتورة، وعلى الرغم من خشية المقاومين بأنه قد استشهد.

وفي نهار هذا اليوم، كثفت القوات الإسرائيلية إطلاق النار في زقاق "الويمي" حيث تواجد الحاج علي الصفوري الذي ثبت في مكانه ثبات العسكري المدرَّب الذي يعرف دوره بشكل دقيق، وكان برفقته مجموعة من الأشبال، مثل: الزعبور، ثار أبو الباسم، إياد أبو ترمة. وقد كان المكان قبالة قناصة صهاينة على مدار الساعة متمركزين في بيت الدكتور النشرتي، وكانوا يستخدمون السماعات لمطالبة المقاومين بالاستسلام، فيما كان المقاومون يردون عليهم بالسماعات بمطلب مشابه بالاستسلام والعودة من حيث أتوا، وقد رافق ذلك دق الطبول والغناء والأناشيد الثورية. كان هذا الممر الضيق مغطى بساتر ترابي في المقدمة، وتواجد في بيت أبو سرية العديد من الجرحى، مثل محمد بدوي الذي أصيب في قدمه في المنطقة الغربية وبقي يترف و لم يستطع أحد علاجه، وأوصى ببيع سيارته وتوزيعها على الفقراء، ويجدر الذكر أن محمد هو أخ الشهيد لطفي البدوي، الذي استشهد في الانتفاضة الأولى.

وإلى هذا المكان ذاته، وصل الشيخ رياض بدير، الذي قدم من طولكرم وكان يحمل إم-16 قصيرة، قاصداً الاستشهاد في مخيم جنين. وقد رافقنا لعدة أيام في المعركة. وقد حاول الوصول إلى الحاج علي الصفوري حيث يتواجد في مكان صعب، كما بينا سابقاً، ولكنه أصيب برصاصة قناص إسرائيلي في الفخذ، فقام بإسعافه المقاوم نضال النوباني، لكنه لم يستطع الحركة، وجلس في حامل للفراش (داخل الجدار) وبدأ بقراءة القرآن. وقد طلب المقاومون منه مراراً الخروج

حيث إنه رجل كبير السن (57 عاماً)، ولا يعرفه الجنود ويستطيع أن يحمل هوية أي رجل كبير في المخيم، إلا إنه رفض وقال: "أنا جئت إلى مخيم جنين كي أستشهد." وقد تم هدم البيت عليه من قبل جرافات قوات الاحتلال الإسرائيلية ووجد مستشهداً بعد هدم البيت يجلس القرفصاء كما كان وهو يقرأ القرآن. في هذه الأثناء، وقريباً من بيت الشهيد يوسف أبو عرب، ونحن نترقب، طلب أحد المقاومين من الحاج أبو رجا أبو سباع مراقبة الشارع، فما أن نظر ومد رأسه إلى الأمام حتى أصيب برصاصة أردته شهيداً.

وفي ساعة متأخرة من هذه الليلة، وأثناء استراحة المقاومين في بيت جواد القاسم وبعد معركة طويلة جداً، ساد الهدوء المكان، وعادت القوات الإسرائيلية بإطلاق قذائفها على المترل مرة أخرى، فأصابت قذيفة إنيرجي مباشرة المقاومين وهم نائمون، وكان بحوزتهم حقائب متفجرة انفجرت بقوة ما أدى إلى استشهاد محمود طوالبة (قائد سرايا القدس)، وشادي النوباني، وعبد الرحيم فرج، كما تمت إصابة تحسين أبو الليل الذي استطاع رغم إصابته النزول إلى الطابق الأول والاختباء حتى نهاية المعركة. وكان، خلال اختبائه، يأكل القليل من الجبنة التي وجدها بالمكان ويشرب القليل من الماء. لكنه استشهد، كذلك، فيما بعد، إثر قيام قوات إسرائيلية خاصة باغتياله بعد حصاره في بلدية جنين.

وقد كان من أهم الدروس والعبر من هذه المعركة: (1) إذا أراد أحد المقاومين التحرك فعليه التحرك قبل أن يحل الظلام؛ (2) ضرورة التزام الهدوء المطلق وعدم الكلام إلا بالإشارة؛ (3) عدم إجراء اتصالات هاتفية؛ (4) عدم التدخين لأن ضوء السيجارة أو الدخان يمكن رصده؛ (5) عمل نوبات نوم ،جزء يستريح وينام وجزء يراقب؛ (6) عدم إطلاق رصاص على الدبابات والجرافات، وادخار للجنود المشاة؛ (7) عدم النوم بالقرب من متفجرات، وضرورة إبعادها حتى وقت استخدامها.

4.8 اليوم الثامن (الإثنين) 2002/4/8: "نحن قوم لا نستسلم: ننتصر أو نموت"

بعد يوم عصيب وليلة مباركة وشرسة كانت تتوالى معلومات للمقاومين عبر أجهزة الراديو، وخاصة المحطات العبرية، تفيد أنه قبل معارك الليلة الماضية، حسب أقوال دان حالوتس (قائد سلاح الجو الصهيوني في حينه) بأن عدد القتلى في قوات الاحتلال الإسرائيلية كان سبعة جنود. كما سمع المقاومون بأن هناك شهيداً من قباطية، وبأن الدول العربية قدمت ثلاثمائة وثلاثين مليون دولاراً دعما للسلطة الفلسطينية، وغير ذلك من أخبار ذات علاقة قريبة أو بعيدة لمعركة جنين، نحو أن حزب الله يقصف مزارع شبعا بالصواريخ ويصيب جنوداً إسرائيليين، وأن قراراً دولياً يحمل رقم 1403 يدعو إلى الوقف الفوري لإطلاق النار، ووضع حد للإرهاب والعنف والتحريض، كما يدعو إلى سحب القوات الإسرائيلية من المدن الفلسطينية ومنها رام الله. ومن تلك الأخبار، أن الحصار آخذ في الاشتداد على الرئيس الفلسطيني في رام الله، لكنه، حسب المقربين منه، كان سعيداً بالمقاومة والتصدي في جنين ونابلس وبيت لحم.

في تلك اللحظات لم يعد الإحساس بالزمن مجدياً، فثمة مهمة واحدة نريد إنجازها ومن ثم نتفرغ لمعرفة الأيام: تلك هي مهمتنا، الانتصار على العدو. نعم، لم نعد نعرف أيام الأسبوع، ونعتقد أن الجنود الإسرائيليين يمكن أن يكونوا قد فقدوا الإحساس بالزمن كذلك، إذ حدثنا الأهالي بأن الجنود كانوا يسألونهم أي يوم في الأسبوع هذا اليوم أو ذاك، وفي راويات أكثر تفكيراً حالماً أن الجنود كانوا يسألونهم: "هل هناك ضغط دولي على الحكومة الإسرائيلية للانسحاب؟ وكم يوماً سنبقى في جنين؟"

في هذه الأثناء، كان المقاومون يتجمعون ويجمعون ما غنمته المقاومة من سلاح، ومعدات تركها الجنود الإسرائيليون الغزاة خلفهم، وقد رأيت بعضها مع الشهيد أشرف أبو الهيجاء. هنا، كانت المنطقة الغربية مفصولة بالكامل عن حارة الحواشين، التي كان أبو جندل يرابط فيها، و لم أتصور أن بوسع أبو جندل الوصول إلينا، لكننا كنا على اتصال دائم قبل وصوله إلينا. وقد بدأت القوات الإسرائيلية بتشديد الخناق على المقاومين والتقدم أكثر من حارة الدمج، وحارة أبو السباع، وتمت السيطرة على غرب المخيم وحارة السكة من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلية بعد القصف العنيف لكل البيوت وحرقها بالكامل، إذ تم التقدم من جورة الذهب وحارة السمران باتجاه حارة الحواشين، وكان أبو النائل-علي قصص قد استشهد وهو في بيته، وكان رجلاً مريضاً، و لم يتمكن أبناؤه ولا المقاومون من سحب جثته بعد استشهاده نتيجة لترصد القناصة وكثافة النيران.

وفي هذه الأثناء ونحن ننتظر أبو جندل، فإذا به يقطع الشارع الفاصل بين حارة الحواشين وحارة الراشد، دحرجة وبشكل رشيق لم نر مقاتلاً يتنقل بخفته وخبرته وقدرته على التحرك بهذا الشكل وهو يحمل بندقية الكلاشنكوف بيد واحدة، ويطلق النار من هذا السلاح ذي ردة الفعل القوية التي لا يتمكن أي مقاتل من احتمالها وهو يحمل البندقية بيد واحدة. وقد تعانقت وأبو جندل وبقينا معاً فترة من الوقت، وتبادلنا الآراء حول تكتيكات الهجوم والانسحاب المناسبة. وقد كان أبو جندل إذا سمع بتقدم القوات الإسرائيلية يبتهج كأنك تخبره بشيء سار، فهو لا يعرف الخوف، ويمتلك من الخبرة والحنكة ما يؤهله لأن يكون في هذا المقام، فقد واجه المحتلين في الحارة الغربية وحارة الدمج وحارة السكة وشارع الساحة وحارة الحواشين، وكان يمتلك قوة تنفيذية ضاربة.

هنا، واصلت قوات الاحتلال الإسرائيلية القصف من طائراتها ودباباتها، كما تقدم جرافاتها، وطالبت السكان (من عمر 15-50) عبر مكبرات الصوت بالاستسلام؛ كما طالبت تسليم المقاومين وسلاحهم، وعدم السماح لهم بدخول البيوت وإلا سيقصف البيت ويهدم على من فيه. وفي هذه الأثناء، كنت برفقة نضال النوباني، وعبد الله حويل، ومحمد خريوش، وعماد عامر، وعطا أبو ارميلة، وبشار حواشين، وعمر أبو الشريف، ومحمد عامر، وعماد النوباني، وأحمد أبو جلدة، وإبراهيم جبر، وأبو موسى الحلاجي، وعبد الحليم عز الدين، وكمال الصباح ، وإياد العزمي، وآخرين ربما أكون قد نسيتهم... حيث بدأ المقاومون الانسحاب إلى حارة الحواشين، وبدت الأزقة صعبة المرور بسبب كثرة ما أطلق

عليها من القذائف والصواريخ، وما كان فيها من أسلاك رفيعة متراصة، وكان علينا الحذر أثناء السير في الأزقة خشية من أن تودي بنا تلك الأسلاك.

هذا، وقد وصل إلى مسامع المقاومة بأن جيش الاحتلال الإسرائيلي قد أعدم خمسة مواطنين عزل بدم بارد أمام أسرهم، وتبين أن من الضحايا: الشهيد وضاح فتحي شلبي، والشهيد عبد الكريم السعدي، وأبو الزكي فتحي الشلبي الذي تظاهر بأنه ميت، فأنجته حيلته، أما أبو عمر الزرعيني، فقد أصيب و لم يستشهد. وفي هذه الليلة، وتحديداً بعد صلاة العشاء، تواجدت مع مجموعة من المقاومين قي بيت الأستاذ جمال القنبع، حيث كان المقاومون في هذه الفترة مضغوطين، إذ تكثّف القصف وعمليات الهدم على أطراف المخيم. وكنت آنئذ أمر من أحد الشبابيك بعد قدوم مروحية، وبدأت بتمشيط المكان بكثافة نيران هائلة، فحاولنا الاختباء في منزل أبو نضال النوباني، وبمجرد دخولي من الشباك حتى تبعني ما يقارب خمسين مقاوماً وكان الكل يعتقد أنه بأمان، وكنا نرى الموت أمام أعيننا كل لحظة. وفي هذه الأثناء حاولت مع مقاوم آخر هو محمد خريوش، وبرفقة عبد الرحيم فريحات، وعلاء الصباغ، ونضال نغنغية، ونضال النوباني أن نخرج باتجاه فرندة في البيت، فإذا بكف الجرافة يضرب الفرندة وكأنها لم تكن، فصرنا جميعاً في فم الموت!

عودة إلى الأجواء العامة للمعركة، داخلاً وخارجاً، كانت المعارك تشتد وتزداد ضراوة في نابلس وجنين، وحصار كنيسة بيت لحم في طريق مسدود، وكان جيش الاحتلال الإسرائيلي محبطاً لعدم القدرة على دخول مخيم جنين ومدينة نابلس، وكانت الصواريخ والقذائف الإسرائيلية تمطر المخيم، إذ في يوم واحد تم إلقاء ما يقارب 130 صاروخاً، وكان الأهالي، وأحياناً المقاومون، يعدون للصاروخ حتى يصل 1، 2، 3.....10! هنا، بدأ الإعلام يسلط الضوء بشكل أكبر على معركة مخيم جنين، كانت الأخبار متضاربة حول عدد الشهداء والجرحى الفلسطينيين، وعدد القتلى والجرحى الصهاينة. في هذه الأثناء، تكثف تشريد الأهالي وازدادت عمليات طردهم من بيوتهم إلى قرى قريبة مثل: رمانة والطيبة وزبوبة وكفر دان، ومقر الهلال الأحمر في جنين، ومباني المدارس الحكومية، وعند الأقارب في المدينة.

وفي هذا اليوم، استشهد القائد القسامي محمود الحلوة بالخطأ، وكان قد شارك قبل استشهاده بساعات في اشتباك مع مجموعة من المقاومين مع جنود بالقرب من بيت المرحوم حسن أبو ناعسة، وكان الشهيد الحلوة جسوراً شديداً في المقاومة. وقد تفاجأ الجميع به من حيث أنه بعد عودته "للحياة الطبيعية" (إذ تزوج وفتح دكاناً خاصاً به، وخاصة بعد إصابته في الانتفاضة الأولى إصابة بالغة)... لم يلبث أن عاد إلى صفوف المقاومة حين بدأت الاجتياحات لمخيم جنين. لقد كان يرتدي في المعركة زياً عسكرياً وخوذة على رأسه، فقام أحد المقاومين من الأمن الوطني بإطلاق النار على بطنه وصدره ظناً أنه من القوات الإسرائيلية المعادية، فخر على الأرض، وكان بجواره "سدر" ألمنيوم، فأخذ بثنيه بصورة أشبه للهستيرية من شدة الألم. وقد طلب منه المقاوِم أن يسامحه وسامحه. وكان هذا بالقرب من منزل الشهيد فواز الدمج. و لم

يتم العثور على جثة الشهيد محمود الحلوة بعد انتهاء المعركة، ويعتقد أنه تم هدم البيوت فوقها وجرفها من مكان إلى مكان، إلا أن الأهالي وجدوا جمجمة ويعتقد أنها تعود له.

وفي نهاية هذا اليوم، بدأ الخناق يشتد أكثر وأكثر، والتموين ينفذ رغم عدم الشعور بالجوع أو العطش، وبدأ المقاومون يسمعون بأخبار جنين تزداد انتشاراً محلياً وعالمياً، وكنت بشكل خاص على تواصل مع القيادة والإعلام، وكان الكل يقول لنا اصبروا واصمدوا هناك حلول... هناك تحرك دولي... هناك قرار 1402... هناك قرار بعده 1403... والكل يدعو إلى وقف العنف، ولكن على أرض المعركة، ولا وقوف ولا تراجع!

4.9 اليوم التاسع (الثلاثاء) 2002/4/9: كمين الـ 13 المبارك

تجمع المقاومون واحتشدوا في بيوت محددة في المخيم لا تتجاوز خمسة منازل، حيث أن القتال بدأ يشتد ضراوةً، والقصف يزداد، والجرافات تتقدم هادمة البيوت حيث كان هناك مجموعة من المقاومين في بيت الشيخ إسماعيل، في الحارة الشرقية من المخيم، وكان من هؤلاء المقاومين: علاء الصباغ، عبد الرحيم فريحات، علاء فريحات، نضال نغنغية، أكرم أبو سباع، أمجد أبو سباع، عبد الله حويل، شادي وشاحي، فتحي أبو عيطة، حسام أبو سرية، بشار حواشين، "أبو موسى" أحمد حلاجي، مجاهد قريني، ماهر نوباني، رائد طوالبة، مصطفى قنيري، عصام أبو سباع، مصطفى الوزة، أحمد الزيني، رائد الضرير، الشلطوفي، وغيرهم. أما في بيت أبو عمر الطوب، فكنتُ مع إياد السلفيتي، وائل أبو سباع، عمر أبو الشريف، علام وعلي القنيري، سعيد الطوباسي، محمد طوالبة، عبد الله الوحش، ثائر أبو الباسم، محمد خريوش، محمود أبو خليفة، أحمد أبو الرب، عبد الهادي العمري، صخر عيسى، زكريا زبيدي. أما في حارة الوبمي، فكان: الحاج علي الصفوري، ثابت المرداوي، أبو جندل (الذي كان هو ومرافقه عمر عطياني في بيت قريب)، أحمد طزازعة، الضبع، عبد الحليم عز الدين، محمود السعدي، وأشرف السعدي-البِخ، والزعبور، والبعوضة. وقرب بيت خليل المصباح، كان: نضال النوباني، محمد مشارقة، أمجد فايد، محمد فايد، رجا قريني، شادي صويص، خليل مصباح، وئام حريري، إياد بشارات، عصام أبو سباع، أشرف السعدي، وبعض من أفراد قوات من الأمن الوطني.

كانت كل مجموعة من المقاومين تعتقد بأنه لم يبق إلا هم في المخيم، حيث انقطعت الاتصالات بشكل شبه-تام بين المقاومين، وفرغت بطاريات البلفونات، وأصبح التنقل صعباً بسبب الهدم والدمار الكبير الذي لحق بالمخيم. أما العالم، فبدأ يتلفت لعظم المأساة ويدعو إسرائيل إلى الانسحاب. ومن الأخبار التي كانت ترد إلينا عبر ما توفر من وسائل إعلام أن: "إسرائيل لم تخطط لحرب طويلة إلى هذه المدة،" و"الجنود الإسرائيليون يقولون إن موفاز قادنا إلى مذبحة،" و"المخيم مهجور من السكان ولا يوجد فيه إلا المقاومين، ولذلك يجب تدميره من السماء،" و"شارون يقول رغم الخسائر ستستمر المعركة...."

وفي ساعات المغرب، كنا على موعد مع واحدة من أهم لحظات معركة جنين، إن لم تكن أهمها على الإطلاق: "الكمين القاتل-الكمين المبارك." فقد سُمع إطلاق نار كثيف في الحارة الشرقية في المخيم، إذ في طريق صاعد يقابلك بيت الحريري في الجنوب مباشرة، وتنزل شمالاً إلى ساحة صغيرة يتموضع شرقها بيت خليل المصباح وغربها بيت أبو خرج، وتحته بقليل دكان أبو شادي. لم يعرف البعيدون عن المكان ما الذي كان يحدث، وتوقع المقاومون بأنه يوم عادي كبقية الأيام، وبأن جيش الاحتلال الإسرائيلي يكثف إطلاق النار حتى يصل للمقاومين. وقد كانت أسطرة هذا الكمين مبالغ فيها في بعض الأحيان، مع أنه كان كميناً طبيعياً-مهماً في ظل جاهزية المقاومين وعنجهية قوات الاحتلال الإسرائيلي وربما استخفافها بثقل مهمتها. وكان هناك الكثير من التخمينات عند الناس فيما بعد حول إطلاق النار الكثيف الذي تبين بأنه "الكمين المبارك-القاتل" وعدد القتلى من الجنود الصهاينة: فمنهم من قال بأنه تفجير وتفخيخ بيوت؛ ومنهم من قال بأن استشهادياً فجَّر نسفه في الصهاينة؛ ومنهم من عزا ذلك إلى التنظيم المحكم والدقيق من قبل المقاومين... وأما إسرائيل، فقد ادعت بأنه خطأ من مروحية إسرائيلية، يعني "نيران صديقة." وقد دعم رواية "الطائرة" أو ربما أضعفها، أخبار وإشاعات بدأت تتسرب للإعلام والجمهور الإسرائيلي بأن المقاومين قد أسقطوا مروحية يتواجد فيها وزير الحرب الإسرائيلي بنيامين بن إليعيزر، ورئيس هيئة الأركان شاؤول موفاز.

كانت الساعة بين الخامسة والسابعة مساءً (ولم نكن مدركين للزمن كما مرَّ سابقاً) عندما تحركت مجموعة من قوات الاحتلال الإسرائيلية راجلةً من حارة الدمج باتجاه بيت أبو بسام الحريري القريب من حارة الحواشين (والذي كانت تتمركز فيه قوة أخرى)، ومن ثم تقدمت باتجاه الساحة الصغيرة الموصوفة آنفاً، وبدأت التقدم بهدوء متسللة في غسق المغيب، وقد تواجد في المكان مجموعة من مقاومي الأمن الوطني والأشبال، والمقاومين غير المعروفين. وما أن تقدم ضابط المجموعة الإسرائيلية حتى لاحظه أحد المقاومين دون أن يعلم بأن هناك قوات معادية كبيرة خلفه، فأبلغ ضابط المراقبة المقاومين بتقدم الضابط الإسرائيلي، فتم فوراً الاستعداد والصبر حتى يمر باقي الجنود ويصبحوا في مكان مقابل للمقاومين وتحت مرمى نيرانهم. وما أن وصل الضابط في المقدمة وجنوده من خلفه منطقة الساحة الصغيرة حتى أمطرهم المقاومون بوابل من الرصاص الكثيف من طاقات المنازل والشبابيك العلوية (التي تحمي المقاومين من نيران العدو) للبيوت التي كانوا متمركزين فيها في الجهة الغربية فقط للساحة الصغيرة، فقتل الضابط وحاول بعض جنوده إنقاذه، فيما تخبط البعض الآخر وذهل من شدة الارتباك، فأصيب العشرات منهم، ومنهم من فرَّ باتجاه المقاومين دون أن يعرف أن قدماه تقودانه إلى حتفه. وكانت القواعد العامة للمقاومين حاضرة في هذا الكمين كذلك: الهدوء التام، وعدم الكلام البيني في ساعة الصفر إلا بلغة الإشارة. لذلك، لم يشعر بهم جنود الاحتلال الإسرائيليين. وقد كان على رأس المقاومين: نضال النوباني، وأمجد الفايد، ومحمد الفايد، والأشبال، وأفراد من قوات الأمن الوطني.

كان الجنود يصرخون "إيما، آبا...روني"، وقسم منهم دخل إلى الغرف التي يتواجد فها المقاومون فأجهزوا عليهم. وكان هناك جندي صهيوني مصاب ويطلق النار، فلحق به إلى فرندة الأسير خليل المصباح المقاوم أمجد الفايد، والذي كان

يتمتع بذكاء حاد وشجاعة نادرة وخبرة بالسلاح قل نظيرها، وأجهز عليه، وكان الفايد يطلق النار عليه ويقول: "هاي هدية للشهيد زياد العامر، وهاي للشهيد محمود طوالبة، وهاي للشهيد محمود الحلوة، وهاي للشهيد أشرف... إلى أن أصابه قناص بطلقة في رأسه، من بيت أبو بسام الحريري، ألحقها بقذيفة إنبرجي اخترقت بطنه، فسقط الفايد شهيداً.

ومن ثم انسحب المقاومون لمدة خمسة عشر دقيقة وساد الهدوء التام و لم يسمعوا أي صوت. ثم عاد المقاومون مرة أخرى إلى المكان وصادروا كل قطع السلاح أم-16، ومجموعها إثنتي عشرة قطعة، وقطعة ميغ، ومسدسات، وجعب، وميرسات عسكرية، ومعدات أخرى. وقد قام الشهيد نضال النوباني بأخذ ميداليات التعريف بالجنود الإسرائيليين من رقابهم، وتم خطف جثة جنديين ووضعهم في دكانة أبو شادي قبل الانسحاب.

هنا، كنتُ والمقاومين في بيت أبو عمر الطوب لا ندري ماذا يحدث في البيوت المجاورة. إلى أن جاءني اتصال هاتفي من الدكتور صائب عريقات ينقل فيه أن "الإسرائيليين يتحدثون عن هدنة. ماذا يحصل عندكم؟" عندها أخبرناه بأننا سنرد عليهم عبر (قناة) الجزيرة! هنا، أدركنا أنهم يريدون وقف إطلاق النار حتى يتم سحب جثث القتلى وتدارك الجرحى عن أمكن. وكما كان ردنا للدكتور عريقات، جاء ردنا عبر قناة الجزيرة، حيث تم اتصال هاتفي مع قناة الجزيرة جاء فيه: "إن من يريد التفاوض على إطلاق النار أو وقفه، فعليه التفاوض فقط مع الرئيس ياسر عرفات في المقاطعة." وبعد ذلك، نُقل إلينا بواسطة اللواء محمد ضمرة واللواء فيصل أبو شرخ أن الرئيس الراحل ياسر عرفات دمعت عيناه عندما سمع منا هذا الكلام، وقال لكل من حوله: "هؤلاء هم الأبطال يرجعون القرار إلي وأنا محاصر." وقد كان لهذا دلالة على وحدانية القيادة وشرعيتها، وعلى انتماء المحاصرين من مخيم جنين إلى أولئك المحاصرين في المقاطعة وعلى رأسهم الرئيس الراحل ياسر عرفات. كما كانت هناك رمزيات ذات دلالة عالية، بل وأسطورية، بالمعنى الحقيقي لا للمبالغة، أن مخيم جنين يثأر للرئيس المحاصر، حيث كان لهذا للكمين المبارك الدور الأكبر في رفع معنويات الفلسطينيين حتى السماء. فإضافة إلى النتائج المبهرة في عدد القتلى والجرحى والخسائر في الكمين، وفي مفارقة حربية رائعة، تبين أن الجندي المتطرف غادي يتسحاق عزرا من مستوطنة "بات يام" المقامة على الساحل الجنوبي لمدينة يافا الـــمُحتلة (والذي اشتهر بوصفه لجنين كـــ "جحر الأفاعي"، ويعتقد بأنه الجندي الأول الذي ظهرت صورته في اقتحام مقر المقاطعة في رام الله لمحاصرة الرئيس الراحل ياسر عرفات-انظر الملحق رقم (3)، قد قتل في اليوم الرابع من المعركة بتاريخ 2002/4/4. يا لأقدار رام الله، ويا لأقدار جنين، ويا لروعة المقاومة التي تقوم بجعل المعتدي يدفع الثمن غالياً قبل أن تجف دماء شهداء المقاطعة!

وأثناء انسحاب المقاومين من مكان الكمين، قام أحد القناصة الصهاينة بإطلاق النار على القائد نضال النوباني فسقط شهيداً لاحقاً بأخيه الشهيد شادي النوباني الذي استشهد رفقة الشهيدين محمود الطوالبة وعبد الرحيم فرج. وما هي إلا لحظات حتى قام قناص صهيوني آخر بإصابة محمد الفايد في رأسه فسقط شهيداً، ولحق أخاه الشهيد أمجد الفايد. وقد

كانت نتيجة هذه العملية أو "الكمين القاتل"، كما سماه الإسرائيليون أو "الكمين المبارك" كما نسميه نحن، مقتل ثلاثة عشر جندياً وإصابة عشرين آخرين. وفي المقابل، كان من الملاحظ أن قطع السلاح كلها مدموغة بلون أحمر على الكعب وكان أينما توجه المقاومون تقوم قوات الاحتلال الإسرائيلية بإطلاق النار واستهداف المناطق التي يتواجدون فيها بالصواريخ، وهذا على ما يبدو هو أدى إلى استشهاد نضال النوباني من خلال ملاحقة بندقيته التي كانت "معلَّمة" أو "مدموغة" بصورة تمكِّن من تتبعها عن بعد.

ومن المواقف المضحكة التي حصلت في هذا الكمين المبارك أن اثنين من الأخوة المقاومين حُشروا في بيت مجاور يعود لأسرة الأسير خليل المصباح، وحاصرهم جنود الاحتلال الإسرائيليين، وبدأوا يطرقون عليهم أبواب البيت. عندها طلبوا من عجوز في البيت أن تقول للجنود إنهم أبنائي، فقالت للجنود أنا لا أعرفهم! فبدأ أحدهم يتمارض، فيما بدأ الآخر بلف قدم جندي مصاب بالشاش. عندها، اعتقلهما الجنود الصهاينة، وتم استخدامهما كدروع بشرية لكي يتقدم الصهاينة وينتشلوا الجثث. أما الجثتان في دكان أبو شادي، فقد بحثت عنهما قوات الاحتلال في كل مكان دون جدوى، إلى أن أحضرت الكلاب المدربة وتم إيجادهم وإخراجهم من الدكان.

هذا الكمين المبارك الذي هز أركان حكومة الاحتلال الإسرائيلية والمجتمع الإسرائيلي العنصري والمضلل، وفاجأ العرب المتفرجين، والمجتمع الدولي الصامت... رفع المعنويات لدى الشعب الفلسطيني في كل مكان، وجعل المحللين الإسرائيليين يقولون بأن مخيم جنين تحول من الدفاع إلى الهجوم، وأجبر القيادة السياسية والأمنية والعسكرية الإسرائيلية على التحول إلى قيادات عسكرية وميدانية خوفاً من الفضيحة وردة فعل الشارع الإسرائيلي والتي قد يدفع ثمنها شارون نفسه سياسياً. لذلك، أشرف أرئيل شارون، رئيس الحكومة الإسرائيلية، على العملية مباشرة من حرش السعادة، شأنه في ذلك شأن وزير الحرب بنيامين بن إليعيزر الذي تابعها من مروحية في السماء، وكذلك رئيس هيئة الأركان شاؤول موفاز من منطقة الجابريات رفقة موشي يعلون. وقد كان رأي بعض القادة الإسرائيليين ضرب المخيم بقنابل زنة طن اسمها "زرعيت" ومحو المخيم وتدميره، كما حصل في حادثة اغتيال الشهيد صلاح شحادة في حي الدرج في غزة.

أما بعد هذا الكمين المبارك، فقد ازدادت وتيرة هدم بيوت المخيم بشكل كبير، فاستمر هدم حارة الحواشين من أربع جهات. وكما قال أحد الجنود الإسرائيليين المتطرفين: "إنني أمرت بأن أقوم بعمل مكان يشبه ملعب كرة القدم." وهذا ما تم تدميره من حارة الحواشين، وجزء من حارة الدمج، وما تم حرقه من الحارة الغربية. ذلك لا يدل إلا على إفلاس القيادة الإسرائيلية النازية. وفي المقابل، فقد جاء في تقرير اللجنة الإسرائيلية التي شكلت لمعرفة ماذا حدث في هذا الكمين، بطلب من أهالي القتلى والجرحى الإسرائيليين، تبين أنه لم يقتل أي جندي بأي نوع من أنواع المتفجرات أو نيران صديقة وكل الجنود المقتولين هم نتيجة إصابتهم برصاص المقاومين الفلسطينيين. وبعد هذا الكمين المبارك، كذلك، كان لازماً على الحكومة الإسرائيلية إنهاء هذه المعركة وبأسرع وقت ممكن لأن المجتمع الإسرائيلي لا يتحمل

مثل هذه الخسائر، والجيش الإسرائيلي قد ضُرب معنوياً وأسيء إلى سمعته السيئة كجيش محترف ومدرَّب، أي كجيش محترف في اقتراف المجازر.

أما أثناء الليل، والاشتباكات دائرة في منطقة الكمين، فقد كنتُ مع مجموعة من المقاتلين في بيت أبو عمر الطوب في حارة الحواشين، وكان السهر والمراقبة بالتناوب وحدثت الكثير من المواقف الطريفة، من باب المضحك-المبكي، وكان مع المقاومين في نفس البيت الشبل سعيد الطوباسي (وهو محكوم الآن بـــ 31 مؤبد!) يحمل حقيبة متفجرات ويجلس طوال الوقت على الباب الرئيسي للمترل وكأنه طالب مدرسة ملتصق بحقيبته. وكان كل الكلام يدور حول الشهادة والجنة والحور العين والضحكات كانت تملأ المكان أحياناً والدعاء أحياناً أخرى. وكان في نفس البيت زكريا زبيدي، قائد كتائب شهداء الأقصى لاحقاً، فجاء إلى البيت إياد السلفيتي، ووائل أبو السباع، وكانا متعبين ومرهقين وأرادا أن يرتاحا فأشار عليهما زكريا زبيدي أن يذهبا إلى المطبخ، إذ هو مكان آمن ويوجد فيه فراش وبعض الطعام، وما أن وصلا إلى الباب وإذا بصاروخ يدخل من الشباك ويخرج من الحائط في الجهة الأخرى، فعاد إلينا إياد ووائل ورأسيهما يكسوهما غبار الانفجار، وكأنما قد صعقا بتار كهربائي، فملأت الضحكات المكان بشكل هستيري!

وأثناء السهر والمناوبات، كان علام القنيري قلقاً جداً، وكان كلما مر من ممر درج البيت وضع يده على راس أخيه علي والذي كان في نوبة سهر، وكان المناوبون يضعون بطانية على أكتافهم من البرد والسلاح أو العبوات أمامهم، وكنت أسأل علام: لم القلق؟ فكان علام القنيري يقول لي: "أنا لست قلقاً على نفسي بل على أخي." وهذا الشعور الأخوي كان شعور كل المقاومين الذين لهم أخوة في المعركة. فأنا كان أخي عبد الله معي في المعركة، وكنت أحاول إخراجه بأي طريقة، ولكنه كان يرفض لأن "الأعمار" كما كان يقول دائما "بيد الله، ولا يستطيع أي أحد تغيير قضاء الله وقدره، ولا يوجد أروع من أن يكون الأخوة شهداء."

ونحن نجلس في هذا البيت، جاءنا المقاوم عبد الله الوحش وهو متعب ومرهق، وكنا نعلم باستشهاد محمود طوالبة، ولكن لم نرد التحدث بالموضوع لأن محمد طوالبة موجود معنا، فما كان من عبد الله إلا أن قال محمود استشهد، فطلبنا منه السكوت فأصر على أنه رآه بنفسه، فحمد أخوه، محمد طوالبة، الله تعالى وصلينا معا صلاة الغائب عليه.

4.10 اليوم العاشر (الأربعاء) 2002/4/10: شهيد "فعلي" مع وقف التنفيذ!

بعد ليلة طويلة مليئة بالرصاص والصواريخ والقلق والترقب، وكل من المقاومين في كافة الأمكنة يعتقد أنه بات وحده بعد أن استشهد الجميع ودُمِّرَ المخيم، نهضنا باكراً فرأينا من خلال الطاقات مجموعة من المقاومين تتحرك وتنتقل إلى مكان آخر، فوقفنا وتداولنا ما حدث في الليل، واستمروا في سيرهم، وعلمنا، فيما بعد، أنهم قاموا بتسليم أنفسهم. فذهبت مع مجموعة من المقاومين لاستكشاف من تبقى وماذا حدث، وذهبنا إلى بيت الشيخ إسماعيل-مؤذن المسجد

والذي لا يبعد أكثر من عشرين متراً. كان أحدنا يمر والآخر يغطي عليه السير، وهكذا حتى مررنا جميعاً بعد أن رأينا جثة الشهيد نضال النوباني ممداً على وجهه ويده بارزة كأنه يلقي التحية. فأخذ المقاومون بندقية الكلاشينكوف والمسدس اللذين كانا بحوزته، وقطعة الـــ إم-16 التي غنمها من الجنود الصهاينة، وكذلك بعض الميداليات التعريفية التي انتزعت من رقاب الجنود الصهاينة الذين قتلوا في الكمين المبارك. وغطيناه ببطانية، وكانت قربه، كذلك، جثة الشهيد محمد الفايد الذي كان ممداً على جانبه ويضع ظهر كفيه على وجهه، وباطنهما إلى الخارج، وكأنه يريد أن يصد الرصاص. ودعناهما، وواصلنا المسير... وصلنا إلى بيت الشيخ إسماعيل وكانت المفاجأة هناك، حيث ما يقارب أربعين مقاوماً ومواطناً متكدسين في غرفة واحدة. جزء كبير منهم لا يحمل سلاحاً. استقبلونا وكأننا من مكان آخر، كأننا "مخلصين" آتين لإنقاذهم، لأن الكل كان يعتقد بأنني استشهدت كما أعلنت بعض وسائل الإعلام، فيما كان البعض يعتقد بأنني اعتقلت، والكل كان يعتقد بأنهم هم وحدهم، وحدهم فقط، من تبقى في المخيم.

لقد كان وجودهم من وجهة نظري خطأ كبيراً لذلك طلبت جلسة ميدانية سريعة جمعتني بعلاء الصباغ، عبد الرحيم فريحات، نضال نغنغية، واتخذنا قراراً بمغادرة الجميع إلا من يحمل السلاح، وفعلاً جمعنا المتواجدين في البيت مع مصابين ووضعناهم على أبواب خشب بدل الحمالات (التي نفدت منذ الأيام الأولى للمعركة من كثرة المصابين). وهنا، حصلت بعض المواقف الصعبة، إذ طلبت من أخي عبد الله حويل ورائد طوالبة، أخ الشهيد محمود طوالبة، مغادرة المكان وتسليم أنفسهم، إلا أننا وجدنا صعوبة كبيرة في إقناعهم، ولكن في النهاية خرجوا. ولكن رفض عبد الله حمل راية بيضاء فأمسكنا بشبل صغير، حمل قطعة القماش، وقلنا له تقدم الصفوف، وبعد خروجهم شعرنا براحة كبيرة.

في هذا اليوم، أراد المقاوم علام القنيري أن يراقب تحرك قوات الاحتلال الإسرائيلية من بيت رمضان، وهو بيت قريب من بيت أبو عمر الطوب، وكان معه بعض المقاومين ومنهم أخوه علي، وما أن مرَّ أمام أحد الشبابيك حتى أطلق قناص صهيوني النار على رأسه، فوقع شهيداً. فقام أخوه علي بتقبيله ووداعه في مشهد مؤلم، إذ استشهد من كان يخشى استشهاد أخيه. وقد أخذ علي خاتم العرس وساعة اليد من أخيه الشهيد. ويذكر أن علي قد اعتقل لاحقاً، وهو الآن محكوم بالسجن المؤبد. وقد وجدنا، أثناء تنقلنا، الشهيد محمد عطية مشارقة في الطابق العلوي لمنزل أبو رياض الفايد، وكان قد أصابه قناص صهيوني من منزل مقابل، وقد عرفت عن مشارقة جرأته في رمي الأكواع المتفجرة، وكان يحمل بندقية كلاشينكوف كانت لا تزال في حوزته.

وأثناء تجمع المقاومين أمام بيت الشيخ إسماعيل، كانت هناك مجموعة من النسوة والشباب وأولادهم يريدون تسليم أنفسهم. وكان في الجهة المقابلة لهم مباشرة جثث شهداء لا تزال في الزقاق، وكانت أم الشهيد نضال النوباني ضمن النساء. فأول ما سألتنا عنه كان: "وين نضال؟" وكأنها تعلم باستشهاده، فحاولنا ألا تنظر إلى يمينها شرقاً حتى لا ترى ابنها الشهيد. أما أخوه، عماد النوباني، فكان يؤشر لنا أن انتبهوا بأنكم في مرمى القناصة الصهاينة، (هذا بالإضافة إلى

أخيه ماهر النوباني الذي اشترك في المعركة وحكم لمدة 15 عاماً). وبعدها خرج الكثير من الأخوة والمقاومين الذين لم يكونوا معروفين بشكل كبير للصهاينة، خاصة أن إسرائيل كانت تركِّز على من شارك في عمليات عسكرية ضدها في الضفة والقدس وأراضي فلسطين المحتلة في العام 1948، وتعتبرهم مطاردين أو مطلوبين.

قررنا كمقاومين (وقد تجمعنا في بيت الشيخ إسماعيل، وكان اعتقادنا بأننا نحن وحدنا من بقي على قيد الحياة في المخيم لشدة الدمار الذي تميز به هذا اليوم حدَّ أننا خلنا أن الحياة قد انعدمت خارج ما يجري معنا) أن ننقسم إلى مجموعتين: مجموعة تبقى مكانها في بيت الشيخ إسماعيل، تضم المقاومين: علاء الصباغ، نضال نغنغية، زكريا زبيدي، عبد الرحيم فريحات، عماد النشرتي، أكرم أبو سباع، أمجد أبو سباع، مصطفى الوزة، سعيد الطوباسي، محمود ستيتي، عبد الله الوحش، عدنان أبو ناعسة. ومجموعة أخرى تتوجه إلى غرب المخيم: وكانت تضم جمال حويل، وائل أبو سباع، إياد السلفيتي، علاء فريحات، عمر أبو الشريف، كمال الصباح، هلال عتراوي، أحمد أبو الرب (الذي كان له دور بارز في التصنيع)، عصام أبو سباع، أشرف السعدي، محمد النورسي، الزعبور ،محمد الرخ-تيتا، منير النجار، أنور أبو زهو من مدينة جنين.

لقد كانت خطة الانتقال التي وضعناها للوصول إلى المنطقة الغربية صعبة للغاية، حيث إن المكان كان مدمراً بالكامل تقريباً، وكله ركام، وكان التقدم فوق الركام. وبالتالي، سنكون عرضة للقناصة والطائرات والرشاشات والدبابات. لذلك، قررنا منذ البداية أن كل ممر نمر فيه يقوم أحد المقاومين بالتغطية بإطلاق النار (حبة –حبة)، ويقوم زميله بالمرور من خلفه، حتى وصلنا جميعنا إلى بيت أبو عمر الطوب في المرحلة الأولى. وقد كان وائل أبو سباع، آخر المقاومين السائرين في المجموعة، يريد اللحاق بنا، فإذا برصاصة تصيبه في رقبته فوقع على الأرض مغمى عليه، دون أن نعرف مصدر إطلاق النار حتى الآن. فوقفت فوق رأسه، وكان متواجداً في مكان خطير، وكان معي إياد السلفيتي وهلال العتراوي. اقتربت منه ورفعت يده أكثر من مرة والدماء تسيل بغزارة من رقبته وإصبعه تؤشر بالشهادة، فرفعت يده ثلاث مرات دون حراك ودون علامة على الحياة. هنا، بدأ إياد وهلال بالبكاء، وأراد إياد البقاء معه وخاصة أنهم لم يفترقا طوال أيام المعركة. وكانا قد قالا لي، قبل إصابة وائل، بأنهما يريدان مرافقتي حتى اللحظات الأخيرة، وطلبت من إياد التحرك بسرعة لأنه لا يوجد وقت والمكان خطير جداً ولا يتحمل البقاء. تركنا وائل أبو سباع خلفنا على أنه قد استشهد (ليتبين، لاحقاً، أنه لم يستشهد، بل بقي شهيداً "فعلياً" مع وقف التنفيذ)، واستمرت المجموعة بالسير، وأردنا الخروج من بيت أبو عمر الطوب، ففتحنا الباب و لم نجد أي أثر لبيوت قائمة وكأنك تفتح باب طائرة، أو تقف على شفا جرف هار، وتتفاجأ بالهواء، والهاوية، والموت!

ترددنا في الانتقال إلى الجهة المقابلة، إلا أن المقاوم عمر أبو الشريف، وكان صاحب نكتة حتى وهو يقاوم وعلى بعد خطوة من الموت، خرج منطلقاً بسرعة باتجاه بيت هشام الرخ وكان البيت مدمراً بالكامل، فتبعناه، واحتمينا بجدار،

ومن ثم تحركنا إلى الأمام، فأصيب فارس جرادات-البعوضة في يده، وحتى أن الجنود بدوا وكأنهم متفاجئون من رؤية بشر يتحركون على الأرض، وكأن أيديهم لم تستطع الضغط على الزناد، أو لكأن أعينهم لم تر ما ترى غير مصدقين، ولعلها سرعة المقاومين في التقدم والاحتماء... وما كنا نمر بزقاق حتى تطلق النار بكثافة علينا وفي كل اتجاه. وأثناء مرورنا أمام جرافة ضخمة،لم يرنا سائقها الصهيوني، واستمر مسيرنا وسط الدمار وزخات الرصاص، وملاحقة الصواريخ وقذائف المدافع المنتشرة في كل مكان، ورائحة الموت في كل بيت وحارة وزقاق، إلى أن وصلنا أحد البيوت، وكان مصنعاً للمتفجرات استأجره المقاومون دون علم صاحبه بأنه سيكون كذلك. وفي طريقنا، التقينا أبو جندل ومرافقه من الأمن الوطني-عمر عطياني، وقدرنا الموقف وصعوبته وبأن الشهادة لا تزال خيارنا. هنا، حدثني أبو جندل بأنه إذا تجاوز الزقاق المتواجد فيه إلى الطريق، فإنه سينجو من الوقوع في يد الصهاينة، فأوضحنا له خطورة المكان وتواجد القناصة في كل بيت، لأننا نعلم مفاصل وزقاق وتضاريس كل تفصيلة في المخيم أكثر منه، على الرغم من أنه مقاوم شرس وضابط مقدام في الأمن الوطني من قرية يعبد القسام، وعائد من المنفى، وكان له دور كبير في قتل جنود صهاينة في أريحا وقبة راحيل في بيت لحم، وإصابة نائب قائد المنطقة الإسرائيلي في جنين خلال انتفاضة النفق في العام 1996، وكانت أجهزة الأمن الإسرائيلية تعرف شراسته وخبرته وتريد قتله انتقاماً... لذلك، أخبرنا أبو جندل بضرورة أن نكون قريبين من زوايا البيوت، حتى إذا تم جرف المنزل وهدمه يكون هناك احتمالية للنجاة عبر البقاء أطول فترة ممكنة للاستمرار في ضرب قوات الاحتلال الإسرائيلية.

وهكذا، استمر مسير مجموعتنا القادمة من الشرق حتى وصلنا إلى بيت رِفْقِيْ الرُّخ وهو مدمر جزئياً، والتقينا بالحاج علي الصفوري، فسعد بأننا جميعاً مازلنا على قيد الحياة، وخاصةً أن الحاج علي بقي ثابتاً في مكانه حتى آخر لحظة، وكان مثالاً للقائد المنضبط الملتزم، ولم يتمكن أي جندي صهيوني من أن يدخل أو يتقدم من منطقته. وأثناء استراحتنا في بيت أبو أنور النورسي وقت المساء، نمنا على ظهورنا، أنا والحاج علي الصفوري، ورفعنا أقدامنا بشكل جزئي باتجاه شباك المنزل، فطلب مني الحاج علي فتح برادي البيت مازحاً، فقد كان خلف الشباك هو هدم ودمار ومخلفات المنازل. وفي الأثناء، سمعت صوتاً يرج الأرض رجاً ويهزها هزاً، فقلت للشيخ علي بأن الجرافات اقتربت، ولكنه لم يقنع حتى قامت الجرافة بضرب سقف المنزل المتواجدين فيه بـــ"شاكوش" الهدم. وما هي إلا لحظات حتى ملأ الدخان والغبار المكان. وبسرعة، وباستخدام اللمبات، وجدنا فتحة في البيت كان قد فتحها المقاومون إلى البيت المجاور، وانتقلنا بسرعة، وفي الطريق التقينا بثابت المرداوي، وكان مصاباً بيده إثر الاشتباكات في حارة الدمج وأماكن أخرى. كما التقينا، محمود السعدي، وأكملنا المسير إلى بيت الدقم والذي كان آيلاً للسقوط بشكل كامل، "يوشك أن ينقض"... فخرجنا منه إلى بيت أبو أنور النورسي، الذي لم يكن كالمكان السابق، فوجدنا الشيخ رياض بدير في المكان جالساً يقرأ القرآن في حامل الفراش، وعندما أردنا الانتقال إلى الجهة المقابلة استخدمنا سلماً صغيراً للوصول إلى بيت البكليزي، حيث هاجمنا في هذا البيت أثناء المعركة كلب كبير، وكان عليه أجهزة كشف ورصد الطريق، وهو كلب مدرب على شم رائحة السلاح، حيث دخل على المقاومين ومن ضمنهم الحاج علي فجأة، فلم يصدقوا ما رأوا، وبدأ الجميع، في حالة من

الصدمة والخوف، بإطلاق النار عليه من كل اتجاه، وكنا نقول مازحين للحاج علي بأنك إذا كنت على كل جندي تقتله ستأخذ مؤبداً، فكم عاماً ستحكم على قتل الكلب؟

أما في بيت البكليزي، فقد فتحنا حفرة صغيرة أسفل المنزل، وطلبت في هذه الأثناء من الشبل الزعبور إحضار الميرس الخاص بي من بيت عماد النوباني، وكنت قد تركته هناك حتى لا أتحدث مع خطيبتي وأهلي كي لا يعيقنا أحد، ولو حتى عاطفياً، عن المقاومة. فكلما كانت تتصل خطيبتي كنت أجعل أحد الشباب يرد عليها، ويطمئنها أنني بخير، لكن غير موجود، أو أنني أصلي، وما إلى ذلك... حتى اعتقدت بأنني قد استشهدت، لأن الإشاعات كثرت في المعركة، حتى أن بعض وسائل الإعلام نشرت خبر وطريقة استشهادي، وحتى أن بعض المواطنين قاموا بالاتصال مع أهلي وأبلغوهم بكيفية استشهادي، وكيف رأوا جثتي.... جاء الزعبور بعد مسير عصيب وشاق من مكان لا يتجاوز عشرة أمتار عنا، فالقناصة كانوا يراقبون البيوت من مكان بعيد في جبل الدكتور خالد مطيع بالقرب من موقع الأبراج وبدأوا بإطلاق النار علينا. وأثناء إحضار الزعبور للميرس، أصيب في كتفه حتى أنه جثا على ركبتيه لكن بهدوء، ونحن لا نعلم لماذا يفعل ذلك، وخلع قميصه، وقال: "تصاوبت"! فنام على بطنه، وقام أحد المقاومين بوقف التريف باستخدام ما تيسر من أقمشة ملابس حتى يخفف عنه، وكان الزعبور يتقن اللغة العبرية، ويتندر بها، ما أضفى على المقاومين جواً من المرح! ولا زلت أذكر بأنني رايته في ساحة المخيم، قرب محلات طوالبة للملابس-الراجح سابقاً، ويضع على ظهره حقيبته المدرسية، فطلبت منه خلع الحقيبة وأن يقوم بحركات جمباز في الهواء، ففعل، وقام بحركات الشقلبة، ومن ثم الطيران في الهواء وإلى الخلف!

ومن بيت البكليزي توجهنا إلى بيت طلال الويمي، حيث دخلنا من شباك صغير، ووجدنا المنزل قد حرق بالكامل، فنزلنا إلى الطابق السفلي وكان الوقت بعد المغرب، فأراد بعض الأخوة التقدم من أمام الساتر الترابي في أول الزقاق، وهو المقاوم إبراهيم الدمج، وكان مصاباً في رقبته، فقام جندي صهيوني بالإمساك به، في لحظة غفلة نادرة، وتم اعتقاله، ثم سمعنا صوت رصاصة، فقلنا في دواخلنا بأن إبراهيم قد استشهد. ثم عدنا إلى بيت البكليزي، ومنه نزلنا من فتحة صغيرة أسفل البيت إلى مكان ضيق جداً بجانب بيت أبو إياد حسن العيشة وبيت يوسف الجمل، وليس في بيت الشيخ إسماعيل، كما كتب بعض الرواة الذين لم يكونوا معنا في المعركة!

حوصرنا في هذا المكان وحاولنا أكثر من مرة النفاذ لكن دون جدوى، فقد أردنا فتح ثغرة في جدار بيت حسن وسعيد الحمدان، ولم نجد شيئاً نهدم به الجدار، لكن وجدنا أدوات بسيطة بدأنا الحفر بها حتى تمكنا من عمل ثغرة صغيرة لم يستطع المرور منها إلا إياد السلفيتي، ثم تبعه هلال العتراوي وأصبح معلقاً لا يستطيع الخروج ولا يستطيع العودة في مشهد من مشاهد الفكاهة وسط الركام. ثم طلب منا المقاوم محمد النورسي أبو خليل، وهو سجين ثمان سنوات وكان متهماً بعملية استشهادية داخل فلسطين المحتلة في العام 1948، وهو ضابط في المخابرات الفلسطينية، أن يرى بيته

كيف هدم. فذهب بصحبته المقاوم عمر أبو الشريف وعلاء فريحات الذي كان يحمل الناتو سلاح خاصة الشهيد زياد العامر، وبعد دقائق معدودة عاد الإثنان دون محمد النورسي، وحدثانا بأن قناصاً صهيونياً قد أصابه في رأسه برصاصة... سقط النورسي شهيداً، وكان الجو كئيباً جداً لأنه خمس دقائق فقط تفصلك عن أخ يغيب عنك إلى الأبد، أخ ورفيق آخر يمضي تاركاً غصة في القلب عليه وعلى بناته اللائي لم يتوقف عن توصيتنا بهن.

4.11 اليوم الأخير (الخميس) 2002/4/11: الحصار الأخير ومُرِّ الخيارات

هذه تفاصيل الحصار الأخير ومُرِّ الخيارات بعد استنفاد الخيارات، التفاصيل التي لا يعرفها إلا من قاد تفاصيلها بنفسه. ففي حوالي الساعة التاسعة والنصف مساءً قمت بالاتصال من خلال الميرس بغسان السعدي، وهو مقاوم نشيط كان يساعد المقاومين في توفير الطعام لهم، ونقل الجرحى مع سيارات الإسعاف حين تتوفر، وكان يلبس لباس طواقم الإسعاف. وما أن سمع صوتي حتى أصيب بالذهول، ولم يصدق ذلك إذ إنه كان يعتقد كالآخرين بأن المخيم لم يبق فيه أحد حياً، وسألني عن الوضع وكيف الحال، وقال: "أنا موجود بمستشفى جنين الحكومي، مستشفى الدكتور خليل سليمان، وبجانبي الحاج عماد قاسم الذي بترت يده أثناء المعركة في اليوم السابع، وخرج بأعجوبة وهو فاقد الوعي، ونقل بسيارة في اليوم التاسع لتلقي العلاج.

وبعد ذلك، بدأت الاتصالات تنهمر علينا من كل مكان، وبطارية النقال لا تسمح بذلك، إذ كنا نريد استخدام الاتصال الخلوي للأمور الحساسة فقط. فقد تحدث إليَّ الأخ هشام الرخ ووضعته في صورة الوضع؛ واتصل الأخ المرحوم اللواء أمين الهندي مدير جهاز المخابرات العامة؛ واتصل أيضاً اللواء جبريل الرجوب مدير جهاز الأمن الوقائي، في حينه؛ والأستاذ فخري تركمان عضو المجلس التشريعي؛ والأخ قدورة موسى أمين سر حركة فتح في محافظة جنين في حينه؛ واتصل الباحث رسلان محاجنة من مؤسسة بتسيلم الإسرائيلية لحقوق الإنسان ووضعناه في صورة ما يجري بالتفصيل؛ واتصل كذلك اللواء فيصل أبو شرخ واللواء محمد ضمرة أبو عوض وأرادا وضع الرئيس الراحل ياسر عرفات في صورة الوضع وبالتفصيل.

وفي هذه الأثناء سمعنا أن هناك مبادرة من حزب الله يعرض فيها سماحة السيد حسن نصر الله مبادلة المحاصرين في اليوم الأخير من المعركة بالعقيد الإسرائيلي "تتنباوم" والذي خطفه الحزب في عملية خاصة ومعقدة. ولذلك اتصلت بالأخ اللواء منير مقدح، وهو أحد مرجعيات كتائب شهداء الأقصى، وكان صديقاً قريباً جداً علينا، وله فضل كبير في دعم المقاومة ورعايتها. وتحدثت معه حول الصفقة المنظورة وعملية التبادل، وبعد لحظات اتصل بنا شخص من الخارج قال إن اسمه أبو حسن وهو من حزب الله، ونحن لم نكن نعرفه، وتحدث معنا عن ضرورة المماطلة والصبر وإطالة أمد الصمود حتى ينضج شيء ما، وفي الوقت نفسه اتصل ثابت المرداوي بالدكتور رمضان شلَّح، فأكد جدية طرح حزب الله في عملية التبادل.

هنا، افترش المقاومون الأرض وأخذوا في الاستراحة بالتناوب. وبعد فترة قصيرة، اتصل الأخ غسان السعدي (المطلق) وكان بجانبه الحاج عماد في مستشفى جنين، والأخ هشام الرخ وأبلغونا بأن بعض المقاومين قد استسلموا، وخاصة علاء الصباغ ونضال نغنغية، وهما من أخطر المطاردين لقوات الاحتلال الصهيوني، وكنا قد تركناهما من ساعات فقط في المنطقة الغربية، ما ترك انطباعاً لدينا بأن المجموعة التي تركناها خلفنا قد سلمت وانسحبت. ولذلك، فقد تناقشنا بهدوء وبصوت عال أحياناً، ودرسنا وضعنا وحسبنا خياراتنا جيداً، حيث تجمعنا في منطقة منخفضة جداً تحت أنقاض البيوت، وحيث بدأت الجرافات الإسرائيلية الغازية بهدم كل شيء حولنا حتى تحول المكان إلى حفرة كبيرة نتيجة لهدم كافة بيوت المنطقة المحيطة، فبدونا كأننا في حفرة عميقة، وكانت الدبابات تحيط بالمكان ومروحيات الأباتشي تجوب السماء فوقنا مباشرة، وطائرة استكشافية تطلق القنابل الضوئية على مدار الساعة تحيل الليل نهاراً إذ لم يتوقف إطلاق القنابل الضوئية حتى الصباح، فالقناصة في كل مكان يحيطون بنا. كان الرصاص معنا، لم ينفذ كما يقول البعض... لكن دون جدوى لعدم فعالية المواجهة. لقد كانت لدينا كميات من الذخيرة تكفينا شهراً، ولكن في ظل هذه الظروف (استسلام المجموعة المتواجدة غرب المخيم وعلى رأسها المطاردين؛ والحصار والطوق المحكم من حولنا؛ ومبادرة حزب الله التي يكتنفها الغموض) لم يكن في المكان إلا خمسة مطاردين من أصل سبع وعشرين، وهو عددنا بالكامل من مقاومين وأمن وطني. وبالتالي، فإن من سيتعرض للسجن أو التصفية هم خمسة فقط، وأما الباقي، فسيفرج عنهم، فلماذا نضحي بالجميع؟ لقد كنت، ومن معي من المقاومين، على قناعة بأن المطاردين ستتم تصفيتهم، وهذا ما أكده لنا الدكتور صائب عريقات. لذلك، كان القرار بالإجماع من كل المقاومين، ومن كافة الفصائل، باستثناء رفض الشبل عصام أبو سباع الذي كان والده قد استشهد خلال المعركة والحج علي الصفوري الذي كان قد تحفظ ورفض، ولكنهما في النهاية وافقا على القرار بعد سماع الأنباء حول مبادرة حزب الله. وهنا، خلع الحاج علي الصفوري اللباس العسكري (الأوفرهول)، وخلع عصام أبو سباع بنطاله العسكري ولبسه بالعكس.

بعد اتخاذ القرار بهذه الاتجاه، اتصل بنا الدكتور صائب عريقات وأبلغنا بأن إسرائيل أعدمت الشيخ إبراهيم جبر وابنه مصعب، وتبين عدم صحة هذا الخبر فيما بعد، وبأن الإسرائيليين سيصفون المطاردين منا. وأبلغنا أنه على تواصل مستمر مع الرئيس ياسر عرفات والمبعوث الأمريكي أنتوني زيني. وبناءً على ذلك، فكلما كانت تتقدم الدبابات كنا نتصل مع الدكتور صائب عريقات، وبعد دقائق يتم وقف تقدم الدبابات والجرافات! وقد كان مسار المفاوضات الذي قدته بنفسي مع قوات الاحتلال الإسرائيلية على هذا النحو، بكل ما سبقه وتخلله وتلاه:

1. إبلاغ كافة وسائل الإعلام ومنظمات حقوق الإنسان بوضعنا ونحن محاصرين وعددنا وأسمائنا الرباعية، وبخاصة منظمة بتسليم، ومركز عدالة؛

2. الاتصال بأعضاء الكنيست عن الأحزاب العربية ووضعهم في صورة حصارنا، وبخاصة الدكتور عزمي بشارة، والدكتور أحمد الطيبي، ومحمد بركة، وهاشم محاميد؛
3. التواصل مع القيادة الفلسطينية وخاصة الرئيس الراحل ياسر عرفات، والذي أمر بدوره بالإيعاز لبعثاتنا وممثلياتنا وسفارتنا في الخارج نقل ما يحصل معنا تحت الحصار، والتواصل مع القادة العرب رغم مقاطعتهم له في تلك الفترة؛
4. التواصل مع قادة الفصائل الوطنية والإسلامية، حيث تحدثت مع الأخوة مع الدكتور عبد العزيز الرنتيسي، والدكتور رمضان شلح. وكنت على تواصل مستمر مع مكتب الرئيس وخاصة اللواء فيصل أبو شرخ واللواء محمود ضمرة أبو عوض؛
5. لقد كان تواصلي المستمر والمباشر مع الأخ مروان البرغوثي، القائد العام لكتائب شهداء الأقصى والذي كان يتابع المعركة لحظة بلحظة؛
6. التواصل مع كنيسة المهد وخاصة مع الأخوة جهاد جعارة والشهيد عبد الله داوود وإبراهيم عبيات ومازن حسين؛

وبعد إجراء كل هذه الإتصالات، اتفقنا على أن نطيل أمد المفاوضات التي بدأت الساعة العاشرة والنصف حتى الصباح: أولاً، حتى يكون هناك صدى إعلامياً وتصل الرسالة إلى الجميع من أجل عدم تصفية أي مقاوم؛ وثانياً حتى نخرج في ساعات النهار بغية وضوح أفضل لمسارنا وللحيلولة دون تنفيذ أي محاولة للتصفية من قبل قوات الاحتلال الصهيونية. وثالثاً، حتى نتمكن من دفن السلاح وعدم تركه غنيمة للصهاينة. وقد أبلغني الدكتور صائب عريقات بأن ما يسمى الناطق باسم جيش الاحتلال الإسرائيلي يريد الحديث معي من تل أبيب. فقلت له لا مانع، فاتصل بعد دقائق، أي حوالي الساعة العاشرة والنصف، وطلب أن نسلم أنفسنا وبسرعة. فقلت له بأنكم تريدون تصفيتنا ولا يوجد ضمان، لذلك نريد قدوم الصليب الأحمر ومؤسسات حقوق الإنسان وأعضاء الكنيست العرب. فرفض هذا الطلب، وأكد بأن الوضع قد انتهى وأنهم لا يريدون إيذاء أحد. وقد لاحظت بأنه متضايق من الأخبار التي "تسيء إلى سمعة إسرائيل أمام العالم،" من وجهة نظره، وخاصة الإشاعات والمعلومات بأن هناك مئات القتلى من المدنيين تصل إلى 500 مواطن فلسطيني، وهذا ما "خشي" منه شمعون بيرس حين قال: "أخشى أن تبدو صورة إسرائيل سيئة بعد انقشاع غبار المعركة."

قلت للناطق بلسان جيش العدو سأعود بعد قليل، ثم اتصلت بالدكتور صائب عريقات وأكد لي بأنهم يريدون تصفيتنا. فيما كان رد الأخ مروان البرغوثي: "إنكم الأقدر على تقدير الموقف وأخذ القرار بذلك، أنتم في الميدان يا أخي جمال، وما ترونه مناسبا نحن معكم وندعمكم." حاولت إغلاق النقال مدة ساعة أو ساعتين، للمماطلة وحفاظاً على البطارية، ثم بدأت الجرافات والدبابات بالتقدم، وكانت القنابل الضوئية تزداد في السماء، والقناصة يقتربون أكثر فأكثر منا

ويحكمون الطوق حولنا، ففتحت النقال وعاد ما يسمى الناطق باسم جيش الاحتلال بالاتصال مرة أخرى، فقلت له، نريد ضمانات، فقال لي: "أنت شخص مماطل وغير جدي، لكن قائد العملية في جنين يريد الحديث معك."

وبعد ساعة تقريباً اتصل قائد العملية على البلفون، وقال: "ماذا حدث معكم؟ متى تخرجون؟ فقد بدأت حتى الشمس بالطلوع!"، فقلت له سنخرج. وطلب خلع ملابسنا، فقلت له: لا نستطيع. بعد أن تأكد لنا أن عملية ومبادرة حزب الله في التبادل رفضت بالمطلق من قبل حكومة الاحتلال الإسرائيلية... سنخرج دون خلع ملابسنا. ولكن القائد الصهيوني أصر، وقال: "أنتم تضعون أحزمة ناسفة حول خصوركم،" فقلت له: لا يوجد أحزمة، وأنا أضمن ذلك. فضحك، وقال: "إنت بتتخوث، وتلعب فينا. ولا تريد التسليم، بل تماطل لحاجة في نفسك." واستمرت المفاوضات على خلع الملابس ساعة كاملة حتى أصبحت الساعة السابعة صباحاً. وقلت لهم نحن جاهزون للخروج دون خلع الملابس، وصعدت على كومة ردم من البيوت المهدمة، وتقدمنا بشكل سريع. الزعبور وهو يتحدث العبرية ونزل على الردم ورفع بلوزته وهو يقول: "نحن مدنيون." نزلنا جميعاً (وكنا 27 مقاوماً) ووقفنا في صف طويل. اقترب منا ضابط قال بأنه قائد العملية، وقال: "أين جمال؟" فتقدمت، فقال لي: "أنت قصير. فقلت له: قصير مثلك!" فرفع يده، كمن يؤدي تحية، ثم قال: "لو كنت مكان شارون لما فعلت ذلك. أنتم قاومتم مقاومة لم نشهدها من قبل، وخاصة أنا، فأنتم مقاتلون أشداء، وأنا فخور بخوضي هذه المعركة. ولكن، أنا متأكد بأننا سنجلس معا على طاولة المفاوضات يوما ما." فقلت له: "هذا هو كلامكم دائماً بعد أن تقتلوا وتدمروا ولا تبقوا شيئاً، تقولون: نريد السلام. أنتم لم تنتصروا، نحن انتصرنا بصمودنا وإرادتنا."

بعد ذلك، قام جنود الاحتلال بتكبيل أيدينا إلى الخلف، ووضعونا في بيت الحاج أبو محمد الفايد الذي أصيب في قدمه (وكان ابنه جمال قد اختبأ في "سدَّة" داخل البيت طوال فترة وجود الجنود الصهاينة فيه لمدة تقارب عشرة أيام)، وكان هناك جنود بشكل كثيف، وذهلنا من عدد القناصة والجنود والآليات في الشوارع رغم مضي 11 يوم على بدء المعركة، ومكثنا فترة من الوقت في بيت أبو محمد الفايد، ومن ثم نقلونا إلى مكان قريب من بيت أبو علي عويس. وهناك كان الجنود متأثرين وحاقدين جرَّاء على مقتل زملائهم، وكانوا يفتشوننا، ودفعونا على تلة تراب صغيرة. وقال لي قائد العملية: "في حد ظل جوَّه؟ بدنا ندمر المخيم بالـ F16." فقلت له، إفعل ما تشاء فهذا قرارك وليس قراري، فالمخيم مدمر أصلاً، وماذا تبقى فيه ليتم تدميره بالـ F16؟ وطلبت منه أن أرى المخيم وهو مدمر، فمسك بيدي وأنا مكبل، وأراني جزءاً بسيطاً، ثم قال: "جمال، أنا الآن انتهى دوري والشباك يريدونكم." وبعد ذلك، طلب أحد الجنود من المقاوم عمر أبو الشريف أن ينادي ويطالب "من لم يخرجوا"، إن بقي أحد أصلاً لم يخرج، بالتسليم، لكن الشريف رفض ذلك، وقال له: "هذا شغلك مش شغلي!"

وضعونا على تلة من الردم لفترة من الوقت حتى قدمت وسائل الإعلام الإسرائيلية ليؤكدوا للعالم بأنهم غير مجرمين ولا يقتلون الأسرى، وتكون الرواية الفلسطينية حول حدوث مذبحة في جنين محض بروبوغاندا، وليؤكدوا لمجتمعهم "انتصارهم" على مخيم لاجئين! عندها قدم عجوز صهيوني، يبدو أنه مصور عسكري أو أمني متخصص، فضحك الشباب على هيئته، ونظرت إليه بازدراء، فسألني: "علام تنظر؟" فقلت له ساخراً: الضابط سمح لي بالنظر! فنقلني إلى مكان أبعد عن الشباب، وأجلسني مرة أخرى على ركبي، ووجه للحائط. ثم نقلونا من أمام بيت أبو علي عويس (وكان مدمراً، وكان في البيت قبل تدميره، دكانة صغيرة، وكان الجنود الصهاينة يأكلون مما فيه من أطعمة معلبات وعصائر!)، وكان بعضنا يقابل الآخر، وكان الحج علي الصفوري ينظر إلى الأرض، فقلت له: "يا حاج علي إحنا مش مجرمين، اتطلع في الكاميرات بتحدي... فضحك وضحك الجميع، ضحكاً من ذهب!" وضعونا قبالة حائط يفصل مسجد المخيم الكبير عن معمل طوب راغب السعدي، وأجبرونا على الجلوس على ركبنا ورؤوسنا إلى الحائط، وأحضروا عصبات رمادية بخطوط زرقاء، ذكرتنا بألبسة الـــ"باسياك" التي كان ضحايا معسكرات النازية يجبرون على ارتدائها... هذا بالإضافة إلى الإصرار على التعرية، وتحديداً المنطقة العلوية من الجسم. كما زاد من التماثل الذي حضر إلى أذهاننا بمعسكرات النازية الإشارات الملونة التي علموا بها جباهنا، وأيدينا. مكثنا فترة طويلة حتى أن أقدامنا أصابها الخدر. عندها، وقف شخص خلفي، يبدو أنه كان جاسوساً محلياً، ونطق اسمي بلهجة فلسطينية واضحة: "جمال حويل،" ثم وقف خلف الحاج علي الصفوري، وأشار إليه، ونطق اسمه: "الحج علي الصفوري." فقال له ضابط المخابرات الصهيوني: "قصدك الحج هاون،" ملغزاً إلى كون الحاج علي الصفوري كان مشهوراً بتصنيع قذائف الهاون!

واقتادوني أنا والحاج علي الصفوري بالقوة ونحن لا نستطيع الوقوف بسبب تخدر أقدامنا إلى داخل المسجد، ثم وضعونا كل واحد في مكان، وأجلسوني على ركبتي، وشعرت أن هناك ضابط مخابرات أمامي يجلس على كرسي، وقال لي: "مرحبا جمال حويل!" فقلت: أهلين! فقال: "سمعت أن هناك عملية ستحدث في العفولة؟" فقلت له: أنا إنسان مدني واعتقلت من بيتي. فقال لي كلمة بذيئة، ثم قال باستخفاف وشماتة: "أنت تفاوض لوقف إطلاق النار مع الجيش؟ من أين أتيت بالسلاح؟" فقلت له أنا إنسان مدني، فما شعرت إلا بضربة بكعب بندقية في مؤخرة رأسي أسقطتني على الأرض، وشعرت، كما في الصور المتحركة، كأن عصافير ونجوم تدور حولي رأسي من شدة الضربة! ثم هجم علي عدد كبير من الجنود الذين كانوا يضرب في الأماكن الحساسة من الجسم: في البطن والرأس والظهر. وقد قام أحد الجنود بمسكي من رأسي، وشعرت بأنني سأستشهد وسيقومون بتصفيتي، وكنتُ فرحاً أن أكون شهيداً في مسجد المخيم، وقام بجري على سجاد أرضية المسجد، ثم رفعني وبدأ يضرب رأسي بعمدان المسجد حتى سال الدم من كل مكان في وجهي ورأسي. وفي هذه الأثناء، كان الحاج علي يُلاقي نفس المصير، ويأخذ "نصيبه" من الضرب والتعذيب ضمن من يسميه الأعداء الصهاينة بـــ"التحقيق الميداني."

أما في الخارج، فقد سمعنا صوت إياد السلفيتي وهو يصيح جرَّاء الضرب والتعذيب، ويشتم الجنود بالعبرية والعربية، ويُضرب بشكل عنيف.... و لم أعرف السبب إلا بعد لقائي به في السجن، حيث تبين أنه فهم ما يسبوننا به ويقولوا عنا بأننا حيوانات، فسألهم: "كيف حيوانات وأنتم تتحدثون إليهم؟" فاستشاط الجنود غضباً وضربوه ضرباً مبرحاً في كل مكان. ومن أجمل لحظات المقاوم إياد السلفيتي، في المعركة، أن ابنه نجيب قد ولد وهو محاصر. ومن ثم قام الجنود بتجميعنا في سيارة نقل جنود، حيث قاموا برمينا بعضنا فوق الآخر ككومة من الجثث، وكنا مكبلين ومعصوبي الأعين، حيث اقتادونا إلى معسكر سالم، ومن ثم إلى الجلمة، ومنه إلى التحقيق السري، ولذلك التحقيق رواية أخرى.

4.12 اليوم الثاني عشر (الجمعة) 2002/2/12: استشهاد أبو جندل-المايسترو رئيس غرفة العمليات

"إما نستشهد بالبدلة العسكرية، وإما ننتصر. لا أريد نقاش." كانت هذه الكلمات التي قالها أبو جندل لمرافقة عمر عطياني، من القوة التنفيذية في الأمن الوطني، وهما يتنقلان من بيت إلى بيت، وكذلك، وهما تحت الركام والهدم في يوم الجمعة، اليوم الثاني عشر للمعركة (2002/4/12). كان ذلك في حارة الحواشين، بالقرب من بيت الرخ، ثم دخلوا إلى منزل أبو زينة بحثاً عن مكان "آمن." ثم استقر بهم المقام في بيت أبو الفوز، إذ جلسوا في المطبخ، وأعد أبو جندل الفراش، وناموا في المطبخ. وكان أبو جندل يقوم بتغيير الغرفة باستمرار حسب تحرك جرافات الاحتلال الإسرائيلية وتقدم الجنود الصهاينة، وفي الساعات الأولى من تلك الليلة، ساد الهدوء التام إلا من صوت جرَّافة أو دبابة.

بعد ذلك، استقر أبو جندل ومرافقه في خزانة بالحائط معدة لطوي الفراش الذي قام بإنزاله كله، ثم جلسا أحدهما مقابل الآخر، وأحضر مرافقه عمر بعض ما توفر من الطعام والكعك والماء والعلكة... لكن أبو جندل لم يتناول أي شيء، ثم غيروا مكانهم إلى خزانة أخرى مشابهة في غرفة أخرى، ليستقر بهم الحال في غرفة صغيرة تحت بيت درج مليئة بأغراض البيت، وذلك حتى إذا هدم البيت لا يتأثر بيت الدرج لأنه مائل، ولا يتأثر المقاومان بالتالي. جلسا على فرشتين، ونام عمر، لكن أبو جندل لم ينم تلك الليلة، وأيقظ عمر الساعة الخامسة والنصف فجراً، وقال له إن الجرافة والدبابة الصهيونيتين قد انسحبتا من قرب المنزل. عندها قرر أبو جندل تغيير المكان والذهاب إلى بيت مهدوم بالكامل حتى لا يشك جيش الاحتلال الإسرائيلي بوجود مقاومين فيه. صليا الفجر، وبدأ عمر بقراءة القرآن، ثم وضع المصحف على الشباك استعداد للانتقال إلى غرفة ثانية، وسار أبو جندل في المقدمة أمام مرافقه، وبدأ يتحرك بهدوء تام، و فجأة سمع عمر صوت رصاصتين، وصراخ يقول له: "أشرد... أشرد." فانسحب عمر إلى الخلف، ولكنه سمع صوت "شخير" وعلم أن أبو جندل قد أصيب، ورأى أبو جندل ممدداً على وجهه، ويده اليمنى أمامه. عاد عمر لإنقاذه ووقف فوق رأسه ونادى عليه، ولكن أبو جندل لم ينطق بكلمة، وأطلقت رصاصة أخرى أصابته في طرف صدره، وكان في المكان دخان شديد ينبعث من الدبابات، وبدأ جنود الاحتلال الإسرائيلي الكلام بالعبرية، ومن ثم طلبوا من عمر خلع ملابسه وهو ما زال بالقرب من أبو جندل. ثم تقدم نحوه الجنود حيث كان هناك قناص بالقرب من بيت أبو خرج في الجهة المقابلة من الشارع، ورأى عمر تقدم قوات كبيرة من جيش الاحتلال الصهيوني. وقد أراد أحد الجنود تصفية عمر

حيث جلس جلسة قنص وقام بتلقيم سلاحه الـــ إم-16، واستعد لإطلاق النار. ولكن قدوم مجترة من بعيد أنقذ عمر، حيث نزل ضابط طويل القامة برتبة عالية، وصرخ في الجندي، فأوقفه. ثم سأل الضابط الكبير عمر مَن صديقه الذي قتل؟ فقال له لا أعرف، اسمه "أبو محمد" حتى يتهرب من قول إنه كان أبو جندل. وبالمناسبة، وللمفارقة، فإن أبو محمد هو الاسم الحقيقي لأبو جندل. ثم سأله: هل يوجد معك سلاح؟ فأجاب عمر: تركته في الخلف. وسأله عن سلاح رفيقه، فقال عمر: سلاحه معه!

عند ذلك، قام الضابط بإطلاق باغة ونصف حول جثمان أبو جندل للتأكد أنه حي أم ميت، ولو كان حياً فإنه سيتحرك بردة فعل لا إرادية من صوت الرصاص. ثم طلب الضابط من عمر إحضار سلاحه وسلاح رفيقه والجنود يصوبون أسلحتهم نحوه، وذهب وأحضر الكلاشن الخاص به، وكلاشن أبو جندل. فقام الضابط بسحب الباغة وإطلاق الحبة التي في بيت النار في الهواء. ومن ثم طلب الضابط من عمر انتزاع جعبة أبو جندل، وعند قلب جثمان أبو جندل على ظهره، أدرك عمر أن أبو جندل مصاب بالرأس، وهناك بفقاعات بيضاء تخرج من الرأس. هنا، أدرك عمر أن أبو جندل استشهد. هنا، ثم أخرج الضابط بلفون أبو جندل، وبطاريات بلفون، والوصية المكتوبة التي أوصى بها كما قال رفيقه عمر "الاستمرار في المقاومة وعدم إغفال أسرته والعناية بأبنائه."

بعد ذلك، أخرج الضابط كاميرا، وقام وطلب من عمر الجلوس عند رأس أبو جندل، ثم صوره ست صور، وقام بإرسالها إلى جهة لا يعلمها عمر، وعلى ما يبدو إلى المخابرات الصهيونية. ومن ثم جاءه اتصال يبدو أنه أخبره بأن القتيل هو أبو جندل، حيث بدت على الضابط علامات الراحة. حينها، ثم طلب الضابط من الجنود سحب أبو جندل ووضعه في وضعية يتأكدون فيها من استشهاده، وهي الوضعية التي وجد فيها أبو جندل شهيداً على الركام. بعد ذلك، اقتيد عمر في المجترة، وتم نقله إلى بيت خمايسة، وتم طلب سيارة إسعاف، وقام أحد الجنود بمسك إصابة عمر بيديه وعصرها بقوة، ثم نُقل إلى معسكر سالم بباص، ووضع على أرضية الباص. وبعد وصوله إلى سالم تم نقله إلى مستشفى للعلاج بعد يوم طويل من الإرهاق والتعب والترف، وقام الجنود بأخذ صور جديدة معه! أما أبو جندل، فلم يعلم أحد حتى اللحظة أين أرسلت صورته التي التقطها الضابط الصهيوني. ولم يعلم أحد حتى اللحظة أين يُحْتَفَظُ بوصيته الحربية. ولم يعلم أحد حتى اللحظة سرعة وصوله إلى الجنة ولا مكانه فيها... لكن الجميع يعلمون أن صوته وصورته سيبقيان للأبد دليلاً للحرية، وشاهداً على أن النصر، وإن على أعتى قوى الظلم، ممكن.

الفصل الخامس:

خلاصات معركة مخيم جنين (وملاحظات نقدية)

5.1 محطات توثيق معركة مخيم جنين
5.2 صعوبات البحث: بين الباحث والمقاوم
5.3 تأملات في "الخطة العسكرية" و"يوميات المقاومة"
5.4 دروس وعبر من الميدان

" إحذروا الموت الطبيعي. . . "

غسان كنفاني

الفصل الخامس: خلاصات وملاحظات نقدية

يتأمل هذا الفصل، الأخير من الرسالة، في معركة مخيم جنين بوصفها تجربة قابلة للتناسخ. وهذا "الفصل الأخير" من الرسالة لا يكتب بوصفه "خلاصة" كما هو الحال في معظم الرسائل والأطروحات الأكاديمية، مع وافر الاحترام لها، ذلك أن الكتابة هنا ليست لغرض أكاديمي بحت، وإن كانت في سياق أكاديمي بحت، هو إنجاز متطلب أكاديمي لنيل درجة الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة من جامعة بيرزيت. بل تأتي كتابة لهذا الفصل في إطار تأمل المقاوم لتحوُّله إلى باحث في موضوع مقاومته، بين ضرورات التذكُّر وسياسات الذاكرة. بين من عاش التجربة، ومن يتألم منها، ومن يتأمل فيها ليخطو مع شعبه خطوة للأمام. وعلى ذلك، يتناول هذا الفصل خلاصات الرسالة وخلاصة المعركة ككتلة واحدة، فيرصد محطات توثيق تجربة معركة جنين: خلال المعركة، وفي الأسر، وبعد التحرر من الأسر، وأثناء الدراسة الأكاديمية؛ ويركز على صعوبات إجراء هذه الرسالة بين "الباحث" و"المقاوم؛" كما يعرض بعض التأملات في "الخطة العسكرية" التي وضعتها المقاومة، و"يوميات المقاومة" نفسها بوصفها تنفيذاً لتلك الخطة أ خروجاً عنها، بالإضافة إلى مسرد خاص للدروس والعبر من ميدان المعركة، وتجربة الكتابة عنها.

فخلال معركة مخيم جنين، اختطف المخيم وأخباره أنظار العالم، وفي تاريخ الشعب الفلسطيني صارت "المعركة" صورة وأسطورة حدثاً فارقاً، ونموذجاً موحياً لمقاومات العربية، الأمر الذي دفعني للعمل على توثيق صمود مخيم جنين ومعركته للدفاع عن الحياة، وفضح ما ارتكبته دولة الاحتلال الصهيونية من جرائم مروعة بحق المدنيين والمقاومين في مخيم جنين، وإبراز بعض النفاق والصمت العالمي ممن التزموا الصمت أمام جرائم القتل والتدمير التي هدفت إلى إخضاع المخيم، والفلسطينيين عامة، في سياق مخطط إسرائيلي استهدف البنى الفلسطينية وتصفية محاورها المنحازة إلى خيار الكفاح المسلح.

وقد جاءت فكرة كتابة هذه الرسالة بعد انقطاع عن الدراسة دام أكثر من عشر سنوات في خوض المعركة والأسر. جاءت فكرة الكتابة كشيء من التجريب أولاً، ثم تحوَّلت، يوماً بعد يوم، إلى هاجس شخصي مسكون بهمٍّ جماعي فلسطيني، وهو كتابة "شهادة من الداخل" على معركة جنين، وعلى ما كتب عنها، صورةً وأسطورةً، على نحو يعيدها إلى عالم الواقع، وينقلها من إطار التباهي، الأجوف في غالبه، إلى أرض التأمل، وتدشين قابليات الاستنساخ لتجربة الكفاح المسلح حتى في أكثر المراحل السياسية امتداحاً للديبلوماسية وخيارات اللا-عنف.

5.1 محطات توثيق معركة مخيم جنين

هنا، وللتأكيد، فإنني لا أكتب هذه "الفصل الأخير" من الرسالة بوصفه "خلاصة" كما هو الحال في معظم الرسائل والأطروحات الأكاديمية، مع وافر الاحترام لها، ذلك أن كتابتي ليست لغرض أكاديمي بحت، وإن كانت في سياق

أكاديمي بحت، هو إنجاز متطلب أكاديمي لنيل درجة الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة من جامعة بيرزيت. بل تأتي كتابتي لهذا الفصل في إطار تأمل المقاوم لتحوُّله إلى باحث في موضوع مقاومته، بين ضـــرورات التـــذكُّر وسياســـات الذاكرة. بين من عاش التجربة، ومن يتألم منها، ومن يتأمل فيها ليخطو مع شعبه خطوة للأمام.

فكمقاوم، قبل أن أكون، باحثاً، كانت هناك أربع محطات تم من خلالها التوثيق والتدوين للكثير من الأحداث التي ما زالت شاخصة بين باصرتيَّ، على الرغم من مرور الأيام:

(1) أولى هذه المحطات كانت مع الشهيد أبو جندل، حيث توافقنا، خاصة بعد اجتياح آذار في العام 2002، على توثيق وتدوين يوميات معركة نيسان، لما لذلك من أهمية في حفظ الذاكرة ونقل التجربة بما لها وما عليها، وتسجيلاً للمشاهدات والأحداث لاستخلاص العبر والإفادة وتأصيل وعي ومدارك الأجيال الفلسطينية التي أريد ويراد وسيراد لها نسيان خيار الكفاح المسلح ضد أعتى آلة عسكرية في المنطقة، وهي الآلة الاحتلالية الصهيونية. وقد تم الاتفاق على التوثيق من خلال الكتابة اليومية حول الأحداث كل في مكانه، وكان ذلك بطريقتين. طلبنا، في الطريقة الأولى، من الأخوة المقاومين المتواجدين في أمكنة أخرى تزويدنا بتفاصيل ما يحدث لديهم. وأما الطريق الثانية، فكانت بث "أخبار المقاومة" عبر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية من أجل توثيق وحفظ هذه الأحداث. وقد كان ذلك لإدراكنا أن ما بحوزتنا من توثيق سيتم إتلافه أو فقدانه خلال هذا الاجتياح والعصف والتدمير.كنا نمتلك كاميرا فيديو كانت بحوزة أحد المقاومين واسمه غسان نغنغية، وقد قام بتسجيل الكثير من الأحداث إلا أنه تم تدمير هذه الكاميرا.كما تواجد لدينا أحد الصحافيين، مراسل جريدة الأيام من أبناء المخيم، وهو محمد بلاص، الذي قام بتسجيل الكثير من الروايات.

(2) أما المحطة الثانية، فكانت خلال مرحلة الاعتقال، إذ تم توثيق جزء من هذه التجربة من خلال الأسير وليد دقة، وإجراء توثيق مع عدد من المقاومين الذين تم اعتقالهم حديثاً، حيث تم تسجيل شهاداتهم ويومياتهم في المعركة. على الرغم من أنها اقتصرت على أربعة مقاومين لا يمثلون المعركة بشكل كامل. وقد كان ذلك من خلال كتابه الذي نشرته مواطن-المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، بعنوان: يوميات المقاومة في مخيم جنين العام 2002، والذي كان الدكتور المناضل عزمي بشارة مشكوراً قد أخرج مسوداته من السجن حين كان لا يزال عضواً في البرلمان عن حزب التجمع الديمقراطي الفلسطيني، الحزب الأكثر رؤيوية وحفاظاً على الخطاب الفلسطيني والهوية الوطنية في فلسطين المحتلة في العام 1948.

(3) وأما المحطة الثالثة، فكانت حين قمت بمحاولة توثيق أيام المعركة وشهاداتها من خلال مقابلة كل من شارك في المعركة بسبب معرفتي بهم وثقتهم بي أثناء التواجد في سجون الاحتلال الصهيوني. وأيضاً بسبب تنقلي المستمر في سجون الاحتلال حيث تنقلت ما يزيد على خمسين مرة خلال سبع سنوات ونصف، ما أتاح لي المجال لرؤية ومقابلة معظم المقاومين. وأحيانا كنت أحاول أن أنقل بعض الشهادات المكتوبة من خلال الأخوة المفرج عنهم أو من خلال بعض المحامين أو من خلال التواصل التلفوني "نقّال مهرَّب" مع خطيبتي. ولكن الحقيقة المرة أن جزءاً كبيراً من الشهادات قامت إدارة السجون بإتلافه وتمزيقه.

(4) وأما المحطة الرابعة والأخيرة، فقد كانت تجربتي كـــ"باحث،" بكل ما أثارته هذه الكلمة من تندُّر مشرفي الدكتور عبد الرحيم الشيخ الذي وصفني بـــ"الباحث المجازف، غريب الأطوار، الباحث عن الجنون والمشاكل" وكباحث-مع-وقف-التنفيذ... تندراً على أنني لا ينبغي أن أصف نفسي بـــ"الباحث" لأنني أكتب هذه التجربة في سياق أكاديمي، بل أن أحافظ على مكانتي كلاجئ، ومقاوم، وأسير، وسياسي، أو كباحث مغرق في المشاركة بخلق الفعل ومشاهدته في آن معاً، لا كـــ"مؤرخ شفوي" ولا كـــ"باحث إجرائي" ولا كـــ"أنثروبولوجي محلي".... وذلك لتتجلى الموضوعية في أوضح صورها. وعليه، حملني مشرفي الأكاديمي، وزميلي، وصديقي على أن أستخدم "ضمير المتكلم" بدلاً من "الباحث،" والضمير الجمعي "نا" بدلاً من الضمير الإشاري "ـــهم" !

5.2 صعوبات البحث: بين الباحث والمقاوم

وعلى الرغم من ذلك، فقد كانت تجربتي كباحث أصعب بكثير من تجربتي كمقاوم، وذلك للأسباب التالية:

1. أن ثمة الكثير من المعلومات الحساسة التي ينبغي إبداء الكثير من الحرص في الخوض في تفصيلاتها سواء على المستوى العسكري، أو السياسي، أو الاجتماعي داخل مخيم جنين وخارجه، قبل معركة مخيم جنين، وأثناءها، وبعدها، وحتى الآن؛
2. أنني أقوم بالكتابة بعد فترة طويلة من وقوع المعركة؛
3. عملية تجميع المصادر والمراجع المختلفة كانت صعبة لأن توثيق المعركة لم يتم بشكل علمي وموضوعي، وكل من كتب ووثق المعركة، باستثناء الشهادات التي جمعها الأسير وليد دقة ربما، لم يكن متواجداً في المعركة في الغالب؛
4. كان هناك تحيز حزبي واضح وعدم موضوعية في كتابة هذه "الشهادات"؛
5. لاحظت مبالغة الأهالي، وأحيانا بعض المقاومين، في سرد بعض الأحداث وعدم صحتها أحيانا؛

6. عميلة التوثيق، رسمياً، كانت قليلة، وحين تمت كانت "المصادر" بسبب عدم توثيق الرسمي للأحداث بشكل جدي، وعدم إعطاءها الاهتمام الكامل؛
7. وجدت صعوبة عند كثير من المقاومين، الذين تم الإفراج من السجون، في تذكر الأحداث، أو عدم الرغبة، التي أتفهمها، في زيادة الطين بلة في "تضخيم ملفهم الأمني!" لدى العدو الصهيوني.

5.3 تأملات في "الخطة العسكرية" و"يوميات المقاومة"

وعلى الرغم من هذه الصعوبات وغيرها، فإنه لا يزال التأمل ممكناً لاستخلاص العبر. فالخطة العسكرية للمعركة التي اتفق على تنفيذها بعد رسمها في غرفة العملات المشتركة، لم تكن خطة عسكرية محكمة ومبنية على معلومات دقيقة. وكانت ناتجة عن تجارب المقاومين في معارك سابقة وخبرتنا جميعاً متواضعة، خاصة أن القيادة العسكرية والأمنية الفلسطينية (على المستوى الفلسطيني الرسمي) لم تشارك ولم تساعد في وضع الخطة لأسباب سياسية تتعلق بخيارات السلطة الفلسطينية ومنظمة التحرير في مرحلة ما بعد أوسلو.

وبالتالي، فلم ترق خطتنا إلى مستوى الخطط العسكرية بمفهومها المعاصر. وأثناء المعركة وتقدم أحداثها وتقدم قوات الاحتلال الإسرائيلية لم يكن هناك أهمية كبيرة للخطة العسكرية، بل أصبح لكل مجموعة ولكل محور مقاوم تكتيكهم عسكري الخاص بظروفهم وأوضاعهم، ولم يوجد تواصل حقيقي بين المجموعات الموزعة على حارات المخيم مع تقدم الأحداث.

وعلى ذلك، فقد تمت ملاحظة عدم التزام الكثير من المقاومين بمواقعهم كما هو الحال مع مجموعة أبو جندل.كما لم يؤخذ بعين الاعتبار هطول الأمطار، مثلاً، وأثرها السلبي على العبوات والمتفجرات المزروعة في الأرض والتي أبطل مفعول بعضها بسبب الأحوال الجوية.كما إن المقاومة لم تتوقع أن تقوم الجرافات بهدم أحياء بكاملها. كما لوحظ عدم توفر إمكانات لوقف تلك القوات حيث لم يكن لدى المقاومة سوى قذيفة آر.بي.جي واحدة مع العلم أنه تمت مصادرة العديد من هذه القذائف والقافات من مقرات أجهزة أمنية في مختلف مدن الضفة الغربية بقيت رهينة مخازنها إلى أن اجتاحتها وصادرتها قوات الاحتلال الإسرائيلية. وقد كان عدم وجود إسناد قوي في الخطوط الخلفية للعدو الإسرائيلي وإرباك خططه من العوامل التي لم تساعد المقاوم. هذا، بالإضافة إلى عدم فاعلية وسائل الاتصال، واعتماد وسائل بدائية، ومكشوفة للعدة، مع العلم أنه تمت الإشارة في يوميات المقاومة في الفصل الرابع من هذه الرسالة أن انكشاف الاتصالات للعدو لم يؤثر سلباً على أداء المقاومة، بل كان في الغالب في صالحها نظراً لضيق مساحة الحركة في ساحة المعركة، وعدم وجود هامش وقت طويل لتحليل المعلومات حين/وإن تم اعتراضها من قبل العدو. كما أفاد انكشاف الاتصالات في تحقيق بعض أهداف حربنا النفسية أحياناً. هذا بالإضافة إلى أن اللجان التي تم تشكيلها لم يتم التزام كل بعملها، ما أدى إلى تداخل في المهام، كان حميداً في معظم الأوقات نتيجة لضيق مساحة الجبهة.

وخلاصة القول في موضوع الخطة العسكرية وغرفة العمليات المشتركة (التي انهارت بانهيار المقرين اللذين تم الاتفاق عليها لقيادة غرفة العلميات في أول أيام المعركة!)، أن الخطة العسكرية، وضعف الإمكانيات، لم تتناسبا مع قوة وضخامة إمكانية العدو الإسرائيلي.

أما بخصوص يوميات المقاومة، فقد كان ثمة صعوبة لدي في سرد الأحداث والمشاهد يوما بيوم وساعة بساعة، حيث تداخلت الأيام (التي كانت متداخلةً أصلاً خلال المعركة!) بحيث لم يكن من الممكن بشكل دقيق معرفة وقوع حادثة استشهاد أو معركة في وقت محدد مائة بالمائة، حيث أننا ونحن في أتون المعركة مررنا بظروف ولحظات لم ندرك الوقت أو اليوم، حتى الأذان لم نسمعه لتحديد الوقت بسبب قطع الكهرباء عن المخيم بفعل القصف المتعمد لمحولات الكهرباء على أيد قوات الاحتلال الإسرائيلية كتمهيد لهجومها. ففي بداية المعركة حاولنا أن يكون هناك مؤذن من المقاومين، لكن في أوقات لاحقة واشتداد الحصار أصبح من الخطورة إصدار أي صوت.

وثمة صعوبة في كتابة بعض الأحداث من الناحية الأمنية والسياسية والاجتماعية. فمن الناحية الأمنية، لا يمكن ذكر بعض أسماء المقاومين الذين ما زالوا على قيد الحياة في السجن وخارجه؛ ومن الناحية السياسية تبدل خيارات القيادة الفلسطينية وأسلوب إدارة الصراع مع الاحتلال عما كان عليه الحال مع الرئيس الراحل ياسر عرفات. وأما من الناحية الاجتماعية، التي لها علاقة بخصوصية الناس وأسرارهم، فلم يكن بالإمكان الولوج فيها بالتفصيل لنا فيها من حساسيات اجتماعية قد تؤذي البعض، أو قد تؤثر على اللحمة الوطنية والسلم الاجتماعي الوطني العام.

كما إن من أبرز الصعوبات، في هذا السياق، صعوبة العودة في الذاكرة لأيام مر عليها وقت طويل، وتذكر تفاصيل الأحداث، ذلك أنه حتى المراجع والمصادر المختلفة، والجرائد، والبيانات الرسمية، لم تكن متوافقة في تفصيل أحداث ويوميات المعركة.كما أن صعوبة التواصل مع بعض الأخوة في السجون حال دون معرفة بعض التفاصيل والوقائع. إضافة إلى أن حساسية بعض الأحداث المتعلقة ببعض الشهداء وذويهم حالت دون ذكر هذه الأحداث، أو تذكرها، لما تثيره من مشاعر الأسى والحزن لديهم.

5.4 دروس وعبر من الميدان

أما على المستوى الاستراتيجي الفلسطيني العام، فلا بد من الاستخلاص بأن أهم أسباب الصمود والإنجاز في معركة مخيم جنين هو استفادة المقاومة واستخلاص العبر التفصيلية من المعارك السابقة، وأهم هذه العبر أن:

1. لا سلاح بعد الإيمان بالله والتوكل عليه والاستعانة به التسلح بالإرادة، مقابل الرعب والخوف الذي يملأ قلوب الأعداء، والوحدة الوطنية والتنسيق والتعاون الفصائلي لا يجوز التخلي عنه بل يجب جعله أهم الأولويات الفلسطينية، ذلك أنه كان صمام البقاء والصمود والانتصار في معركة مخيم جنين؛
2. تلاحم المقاومة مع الأهالي، ذلك أن اكتساب تأييدهم أمر في غاية الأهمية لنجاح المقاومة واستمرارها. وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى أنه كان للاحتياطات في موضوع الماء والكهرباء والاتصالات، وبخاصة التركيز على هواتف لا تستطيع قوات الجيش تعطيلها، ومولدات بديلة للطاقة، واستخدام "التموين الشعبي" و"الإمداد المناطقي" كبديل عن التموين والإمداد المركزي (على المستوى الوطني لقوات الأمن الفلسطينية)...كان لكل ذلك الأثر البالغ في صمود المقاومة واستمرارها وتكبيد العدو خسائر فادحة؛
3. وفي المقابل، ثمة ضرورة وطنية لتطهير البيت الداخلي من الجواسيس والخونة والطابور الخامس وتحصين المجتمع والمقاومة الفلسطينية منهم، فقد كان لهؤلاء الدور الخطير في تعظيم الخسائر الفلسطينية في هذه المعركة نتيجة لما أمدوه للعدة من مساعدة سواء على شكل معلومات استخدمت في الحرب الاستخبارية في كافة مراحل المعركة، أو مساعدات لوجستية على الأرض؛
4. كان لا بد من توفير مستشفيات ميدانية محصنة أو عيادات طوارئ موزعة بشكل مدروس في ظل خرق قوات الاحتلال الإسرائيلية لكافة المواثيق المتعلقة بكفالة حرية الحركة لسيارات الإسعاف والنجدة الطبية أثناء المعارك، إذ كان هناك خلل واضح أدى إلى بقاء جرحى نزفوا حتى الاستشهاد، وكان يمكن إسعاف بعضهم وإنقاذهم، وبخاصة أولئك الذين لم يلزمهم عمليات جراحية، وكانوا أصيبوا إصابات خفيفة أو متوسطة. وهنا، يجب التذكير انه كان لمحاولات المقاومين، في بعض الأحيان، إنقاذ الجرحى من الشوارع المكشوفة مردود خطر أضر بهم، فلا بد من التأكد من سلامة الوضع والموقع قبل التحرك بدافع العاطفة، ولكن يجب أن نتحكم بها بوعينا وتعقلنا وحساب النتائج. وقد يكون وجود العيادات الميدانية حلاً أقل خطورة لهذه الحالات؛
5. عدم المغامرة لغنم سلاح العدو أو التعرض في الشوارع المكشوفة لاحتجاز جثة جندي قتيل لأن كل تلك الحالات أودت بحياة مقاومين، كان ثمة ضرورة قصوى لعدم "التهوُّر" والاستخفاف بـــ"قواعد الاشتباك" في حرب الشوارع لنيل نصر سريع في هذه المواجهة أو تلك. ويلحق بهذا الأمر التنبه إلى أن أسلحة الجنود قد تكون مشفرة ليمكن تتبعها، وإذا وقعت بأيدي المقاومين فقد تدل الطائرات عليها، وقد ذكر هذه الحوادث عدد من المقاومين واستشهد بعضهم بالصواريخ الموجهة لأماكن مثل هذه الأسلحة. كما ينطبق هذا على الحذر من استخدام الزي العسكري للعدو، والتخلص منه حال الانتهاء من تنفيذ عملية عسكرية معينة به، وذلك حتى لا يصاب المنفذ بنيران صديقة من قبل المقاومين. ولعل التنسيق بصور أكثر دقة، ووجود غرفة عمليات فعلية، في حالات قادمة تكفل عدم وقوع مثل هذه الأخطاء؛

6. ينبغي تركيز المقاومة على العبوات والمتفجرات، لأنها أسهمت بشكل فعال في تعزيز المقاومة إيقاع الخسائر بالجنود، وفي إعاقة تقدُّم قوات الاحتلال الصهيونية؛
7. ضرورة الاستفادة من "حرب الشوارع" في محيط مدني، كمخيم جنين، ومن ذلك الخطة الذكية التي وضعها أبو جندل: وهي إذا نفذت الذخيرة يمكن للمقاومين أن يدفنوا سلاحهم، وأن يظهروا كمدنيين غير مقاومين، وإذا تمكنوا من النجاة يعيدون الكرة بالبحث عن عتاد وتقديم عون ومدد للمقاومة من جديد؛
8. ضرورة التخفيف من تركيز المقاومين في موقع المعركة، كالمخيم، وتوزيعهم في مواقع أخرى لضمان استمرار المقاومة في أوضاع تكون أقل صعوبة وأكثر مرونة.

وأخيراً، ينبغي تكرار القول إن معركة مخيم جنين كانت التجربة العسكرية الفريدة وتكاد تكون الوحيدة في تاريخ الانتصارات الفلسطينية من داخل فلسطين المحتلة (بعد تأسيس دولة إسرائيل العنصرية في العام 1948 وحرمان الفلسطينيين من تشكيل حداثتهم وإقامة دولتهم) مقارنة بمعارك مثل الكرامة، وبيروت، والحصارات المتوالية على الفلسطينيين وقيادتهم التاريخية. كما ينبغي القول إن توثيق معركة مخيم جنين ليس مجرد ذكرى شخصية، بل هي مسؤولية جماعية في حفظ الذاكرة الوطنية الفلسطينية، وتدشين فصول البطولة الفداء في تاريخها الطويل، لا من باب تهنئة النفس، بل لدواعي الإصرار على خيار المقاومة في مخيم جنين كطريق للنصر والحرية، وكنموذج قابل للتناسخ ما دامت ثنائية الخير والشر قائمة، وما دامت الاحتلال قائماً، فلا بد أن يظل خيار المقاومة قائماً.

ملحق رقم (1): الخسائر المادية في المنازل بعد معركة جنين

عن الدائرة الإعلامية لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين:

مجموع المنازل التي دمرت تدمير كلي 435 .

1- 428 شقة لاجئين .

2- 7 شقة غير لاجئين

3- 310 منزل دمرت في منطقة (Inside Ground Zero)

4- 125 منزل (Outside Ground Zero)

5- 190منزل تم بناء منازلها في (Ground Zero)

6- 120 منزل تم بناء منازلها في New Camp /New land

7 - مجموع المنازل التي دمرت جزئيا أو أضرار كبيرة أو حريق

وعن السيد عدنان الهندي رئيس اللجنة الشعبية لخدمات مخيم جنين:

هدم بشكل كلي 446 بيت.

هدم جزئي كبير 1114 بيت.

حرق بيوت بشكل كامل 55 بيت.

أضرار جزئية 900 بيت.

ملحق رقم (2) شهداء معركة الدفاع عن مخيم جنين

1. زياد إبراهيم العامر
2. هاني عطية أبو ارميلة
3. عماد مشارقة
4. محمد القلق
5. نضال حسني أبو الهيجاء
6. ربيع جلامنة
7. طارق درويش
8. وليد إبراهيم محمود
9. فادي أبوعرة
10. محمد حامد طالب
11. منير عيسى وشاحي
12. مصطفى الشلبي (اشنيور)
13. نزار سعيد مطاحن
14. نضال سويطي
15. منذر الحاج
16. اشرف ابوالهيجاء
17. عبد الرحيم فرج
18. محمود طوالبة
19. شادي توفيق النوباني
20. محمود ابوحلوة
21. محمدحسين الفايد
22. امجد حسين الفايد
23. جابر جبر
24. طه محمد عبد الرحمن الزبيدي
25. نضال النوباني
26. محمد خليل النورسي
27. علام قنيري

28 محمد البدوي
29 رياض بدير
30 يوسف ريحان ابوجندل
31 محمد عطية مشارقة
32 محمد مسعود ابوالسباع
33 محمد عمر علي حواشين
34 مريم وشاحي
35 فدوى الجمال
36 وضاح الشلبي
37 عبد الكريم السعدي
38 على نائل مقصقص
39 احمد بشير حمدوني
40 يسرى محمد خليل ابوخرج
41 جمال عيسى الصباغ
42 عبد الناصر غريب
43 محمود حمد محمد
44 عطية ابوارميلة
45 جمال محمود فايد
46 حسني علي الفايد
47 جمال توفيق عرعراوي
48 نايف قاسم
49 عميد عزمي
50 كمال الصغير
51 فارس عناد الزبن
52 علي خمايسة
53 زهير استيتي
54 سعدة نجم

ملحق رقم (3): أسماء القتلى الإسرائيليين في المعركة حسب موقع جيش الاحتلال على الإنترنت

1) Lt. Boaz Promerantz was killed in Ramallah on 29 March by Palestinian fire.
2) Staff Sgt. Roman Schliapshtein was killed near Ramallah on 2 April by Palestinian fire.
3) Sgt. First Class (res.) Ofir Roth was killed by Palestinian fire on 2 April near Har Homa.
4) Capt. Moshe Gerstner was killed on 3 April by Palestinian fire at the Jenin refugee camp.
5) Staff Sgt. Yitzhak Ezra was killed on 4 April by Palestinian fire in Jenin.
6) Major (res.) Einan Sha'arabi was killed on 4 April during IDF Operations in Jenin.
7) Lt. Nissim Ben David was killed on 4 April during IDF Operations in Jenin.
8) Sgt. First Class Marom Fisher was killed on 6 April during IDF Operations in Jenin.
9) Sgt. Roei Tal was killed on 6 April during IDF Operations in Jenin.
10) Cpl. Oded Kornfein was killed on 6 April during IDF Operations in Jenin.
11) First Sgt. Nissan Avraham was killed on 6 April during attempted terrorist infiltration at Rafiah Yam.
12) Sgt. Shmuel Weiss was killed on 8 April IDF Operations in Jenin.
13) Staff Sgt. Mataniya Robinson was killed on 8 April during IDF Operations in Jenin.
14) Major Assaf Assouline was killed on 9 April during IDF Operations in Naplus.
15) Major (res.) Oded Golomb was killed on 9 April during IDF Operations in Jenin.
16) Sgt. First Class (res.) Eyal Azouri was killed on 9 April during IDF Operations in Jenin.
17) Staff Sgt. Gedaliyahu Mellick was killed on 9 April during IDF Operations in Jenin.
18) Capt. (res.) Yaakov Azoulai was killed on 9 April during IDF Operations in Jenin.
19) Lt. (res.) Dror Bar was killed on 9 April during IDF Operations in Jenin.
20) Lt. (res.) Yoel Ayal was killed on 9 April during IDF Operations in Jenin.
21) First Sgt. (res.) Yoram Levy was killed on 9 April during IDF Operations in Jenin.
22) First Sgt. (res.) Tiran Arazi was killed on 9 April during IDF Operations in Jenin.
23) First Sgt. (res.) Avner Jascov was killed on 9 April during IDF Operations in Jenin.
24) Sgt. First Class (res.) Menashe Haba was killed on 9 April during IDF Operations in Jenin.
25) Sgt. First Class (res.) Eyal Zimmerman was killed on 9 April during IDF Operations.
26) Sgt. First Class (res.) Ronen El Shohet was killed on 9 April during IDF Operations in Jenin.
27) Sgt. First Class (res.) Schmouel Dany Mizlich was killed on 9 April during IDF Operations in Jenin.
28) Sgt. First Class (res.) Amit Bousidan was killed on 9 April during IDF Operations in Jenin.
29) Major Dutan Nahtomi was wounded on 9 April in Dura and died as a result of his wounds on 12 April.

ملحق رقم (4): أسماء المقاومين المحكومين مدى الحياة

1. هزاع السعدي
محمد الصباغ
عبد الكريم عويس
حسان عويس
منتصر ابو غليون
علاء فريحات
سيف قنديل
شادي العموري
علي القنيري
جمال أبو الهيجاء
حج علي الصفوري
سعيد الطوباسي
محمود عقل
ثابت مرداوي

ملحق رقم (5): المقابلات الشخصية (استخدمت المعلومات الواردة في بعض هذه المقابلات بحدِّها الأدنى، وسيجري توسيعها في الكتاب الذي سيصدر عن هذه الرسالة)

- الأسير مروان البرغوثي عضو اللجنة المركزية لحركة فتح ورئيس أركان انتفاضة الأقصى.
- من تبقى حياً من أعضاء غرفة عمليات معركة جنين، ومقاوميها.
- الدكتور ناصر القدوة عضو اللجنة المركزية لحركة فتح،رئيس مؤسسة ياسر عرفات،ومندوب فلسطين السابق في الأمم المتحدة.
- صائب عريقات عضو اللجنة المركزية لحركة فتح كبير المفاوضين الفلسطينيين
- اللواء أبو حسين الطيراوي عضو اللجنة المركزية لحركة فتح ،رئيس جهاز المخابرات الفلسطينية السابق.
- النائب عزام الأحمد، عضو اللجنة المركزية لحركة فتح.
- السيد نبيل أبو ردينة-الناطق بلسان الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات.
- اللواء فيصل أبو شرخ رئيس حرس الفلسطينيي الرئيس الراحل ياسر عرفات.
- اللواء محمود ضمرة-أبو عوض، رئيس حرس الرئيس أبو مازن سابقاً.
- السيد وليد العمري-مدير مكتب فضائية الجزيرة في رام الله.
- السيد علي السمودي-مراسل جريدة القدس في جنين.
- السيد محمد بلاص-مراسل جريدة الأيام في جنين.
- السيد ناصر أبو بكر-مراسل تلفزيون فلسطين.
- السيد ثائر أبو بكر-صحفي فلسطيني.

ملحق رقم (6): أسماء المدن و القرى التي ينتسب إليها سكان مخيم جنين

منطقة جنين

1- زرعين
2- نورس
3- المزار
4- مقيبلة
5- صندلة
6- اللجون
7- أم الفحم
8- مصمص
9- زلفة
10- مشيرفة
11- عين المنسي

منطقة حيفا

12- حيفا
13- المنسي
14- عين حوض
15- الخضيرة
16- أبوشوشة
17- اجزم
18- بلد الشيخ
19 أم الزينات
20- أم الشوف
21- حواسة
22- الطيرة
23- شفاعمرو
24- صبارين
25- عين غزال

26- أبوزريق
27- قيسارية
28- الياجور
29- جبع
30- عارة
31- عرعرة
32- خبيزة
33- دالية الروحة
34- الريحانية
35- السنديانة
36- قنير
37- الكبارة
38- كفرقرع
39- كفرلام
40- الكفرين
41- المزار
42- هوشة
43- البطيمات
44- فريديس
45- الطوطورة
46- عرب العوادين

منطقة الناصرة

47- الناصرة
48- المجيدل
49- صفورية
50- سولم
51- يافة الناصرة

منطقة بيسان

52- بيسان
53- تل الشوك
54- قومية

منطقة يافا

55- يافا
56- بيت دجن
57- الشيخ مونس

مناطق أخرى

58- البعنة/عكا
59- قاقون/طولكرم
60- بئرالسبع
61- بردس حنا
62- بريكة
63- جسر الزرقاء
64- دير طريف
65- عرب الجواميس
66- عرب الصوابرة
67- الغبية
68- مجارة
69- وادي حنين
70- اكسال
71- الكساير

ملحق رقم (7): الأسلحة الصغيرة والتي استخدمها المقاومون

1. بندقية كلاشنكوف
2. بندقية أم 16 طويلة وقصيرة
3. بندقية ناتو
4. جاليل طويل ،جاليلون قصير
5. بنادق انجليزية، وأم 1
6. رشاش 250
7. غنم المقاومين ميغ ، بالأضافة لاسلحة أخرى
8. قطعة ار_بي _جي واحدة مع حبة واحدة
9. مسدسات بأنواعها
10. أم بي 5 ،وكارلو
11. قطع سلاح اخرى مصنعة

خطوط انتاج المقاومة من العبوات بأنواعها والأكواع المتفجرة:

1. الأكواع المتفجرة بانواعها المختلفة : والكوع المتفجر عبارة عن ماسورة 2 انش، بطول 15سم،و (باوند) متفجرات عبارة عن خلطة مكونة من مادة (ام العبد) مادة بيضاء شديدة الانفجار+ البارود الملحي المصنع (فحم + سكر +سماد+كبريت اصفر) ، وينفجر بواسطة فتيل بطيء مصنع، ونوع من الاكواع يتم تفجيره خلال الكحت مثل زر الكبريت ونوع ثالث ينفجر من خلال الصدمة مجرد ارتطامه باي شيء، حيث تم تصنيع حوالي 11500 الف كوع في جنين،تم ارسال جزء منها الى نابلس (2000).

وهناك اكواع تملأ بمادة ام العبد فقط وتكون داخل ماسورة بلاستيكية مقوية (نصف انش)تستخدم للاحزمة الناسفة، ويتم وضع مادة ام العبد في اكياس نايلون حتى لا تتفاعل مع الحديد،وتوضع داخل مواسير حديدية تستخدم للاحزمة الناسفة ايضاً.

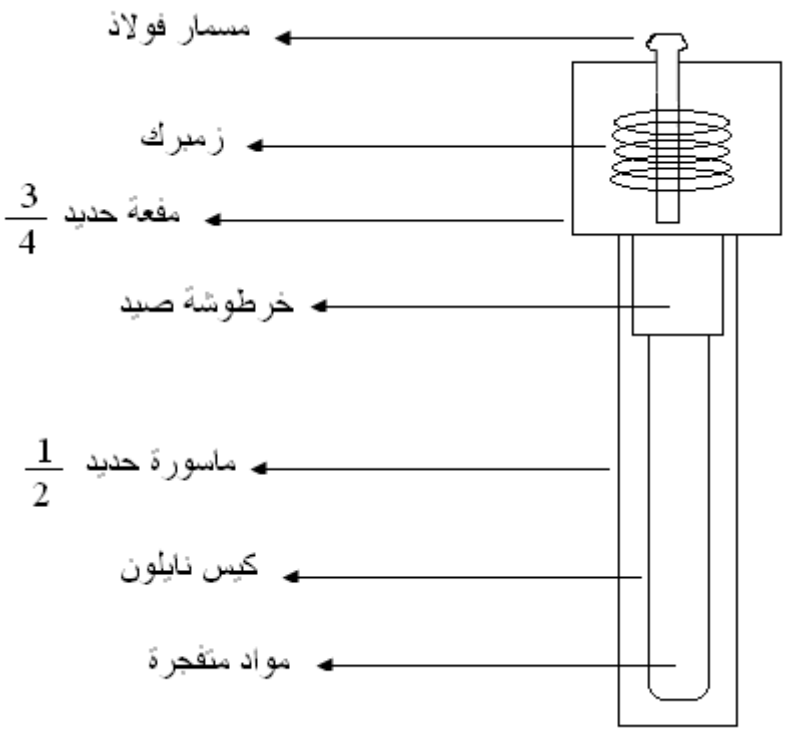

2. عبوات متفجرة كبيرة الدقمة (م . د /مضادة للدبابات): وهي عبارة ماسورة (12 انش)،و طول 80سم تملأ بالخلطة المذكورة (مادة ام العبد وخلطها بالبارود الملحي المصنع)،ويوضع داخلها صاعق كهربائي بطول 15سم، يعبأ بمادة ام العبد فقط ،ويتم تفجيرها بواسطة سلك 100 كهربائي بطول ياردة يتم وصله ببطارية سيارة او مصدر كهربائي قريب، وتم تصنيع (300 حبة، 50 منها لنابلس).
3. اسطوانة الغاز العادية (م . د): عبارة عن اسطوانة وزنها 12كغم، يوضع بها صاعق كهربائي، طول 20سم، يملأ بمادة ام العبد ويكون مثبت عليها بطارية جافة صغيرة ،ويتم تفجيرها اما بمصدر كهربائي قريب ،او عن طريق سحب الكرت وتوصيل الدائرة الكهربائية ،وتم تصنيع (750 حبة).
4. اسطوانة الغاز الخاصة بالثلاجات، تستخدم لضرب الجيبات العسكرية والمدولبة:
5. اسطوانة الغاز الخاصة بعصير الشراب (تستخدم للاحزمة الناسفة والجيبات): واحد ونصف انش، بطول 30سم، تعبأ بمادة ام العبد فقط، لذلك تكون شديدة الانفجار ولها قوة عصف كبيرة ويتم تفجيرها من خلال الفتيلة، وايضاً يتم وضعها على ارصفة الطرقات الموصلة الى المستوطنات، يمكن لقنبلتين منها تعطيل عمل دبابة،وتم تصنيع (1000 حبة) ،
6. عبوة الحية (م . د): وهي عبارة عن ماسورة (12- انش)، بطول متر و 80سم تعبأ بمادة مادة ام العبد وخلطها بالبارود الملحي المصنع،ويوضع فيها ثلاثة صواعق ويتم تفجيرها بواسطة الضغط (ضغط الدبابة اذا لم

تنفجر عن بعد)، وعلى مبدأ التفجير اللاسلكي عن بعد بواسطة موبايل او رموت البرادي (وتم تصنيع450 حبة، وارسال50 منها لمدينة نابلس).

7. عبوة الحنش الكبيرة (م . د): وهي عبارة عن ماسروة 18 انش، بطول 2.80م،وتكون معبأة بنفس خلطة عبوة الحية ،وبعض مخلفات جيش الاحتلال الصهيوني، من الغام ارضية ورصاص ، ويوضع فيها ستة صواعق معبأة بمادة ام العبد ،ويتم تفجيرها من خلا الضغط ، و يوضع فوقها حمالات حديد بحيث يتم حملها من قبل 6 افراد.

8.

أ. الغام (مضاد للدروع والجيبات والعربات المدولبة): وهي عبارة عن اسطوانة قطرها 10 انش بارتفاع 15سم، تعبأ مادة بأم العبد ويوضع فيها صاعق طوله 5سم ،ويتم تقجيرهاعن طريق الضغط وتوصل الدارة الكهربائية ،وتستخدم ضد الجيبات والعربات المدولبة)، (وتم تصنيع 1000 حبة).

ب. لغم للافراد: وهو عبارة ماسورة (2 انش) ،و بطول 25سم ،وتعببا بمادة أم العبد، وبراغي مسننة ، ويتم تفجيره بطريقة سحب الكرت او بالضغط وهذا اللغم ممكن ان يكون فوق الارض او على شجرة في المناطق الحرجية.

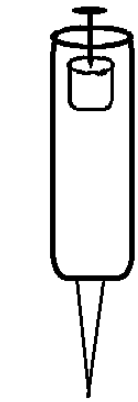

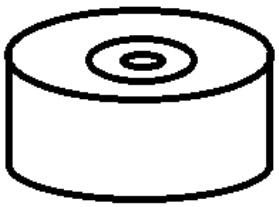

ج. لغم مضاد للافراد: وهو عبارة عناسطوانة (7 انش)، بعمق 12سم وتعبأ بمادة أم العبد وقضبان حديد (6 ملم)مقطعة بالميل بطول واحد ونصف سم ،بالاضافة الى براغي وتفجر بواسطة الضغط.(الشكل الدائري العلوي) .

9. العبوة الموجهة: وهي على شكل مخروطي،و بطول 50سم ،القطر الامامي 10 انش ،والقطر الخلفي انش واحد ، تعبأ بمادة ام العبد وخلطها بالبارود الملحي المصنع ،بالاضاقة الى وضع (30000) برغي تقريبا ، ويتم تفجيرها بطريقة السحب، توضع في الازقة والممرات للجنود المشاة، وتم تصنيع (500 حبة) في جنين وارسال (100 حبة) الى نابلس.

10. عبوة جرة غاز صغيرة (للمشاة والجيبات العسكرية): (تعبأ بمادة ام العبد وخلطها بالبارود الملحي المصنع ،وكمية كبيرة من البراغي)و يتم تفجيرها بطريقة السحب ،تم تصنيع (1200 حبة) في جنين.

11. عبوة الصاج الموجهة: عبارة عن صاجين فوق بعضها، يتم لحمها معا،و يكون باحد اطرافها ماسورة 1 $\frac{1}{4}$.انش، تعبأ بمادة ام العبد وخلطها بالبارود الملحي المصنع واضافة براغي مسننة،يتم تفجيرها بالسحب من خلال حبل طويل .توضع بالممرات الضيقة التي تدخل بها الجيبات، تم تصنيع(500 حبة) في جنين.

12. الاحزمة الناسفة البسيطة : عبارة عن مواسير شراب العصير السابقة الذكر(عشرة مواسير) وتعبأ بمادة بام العبد فقط وكيس براغي.ولها اشكال متعددة مثل لوح خشبي وقالب غاتوه ،ككما حدث في سكة الحديد وجراند كنيون .

ملحق رقم (8): المقاومون من القوة التنفيذية في الأمن الوطني

الرقم	الرتبة	الاسم
1	مساعد أول	عدنان عوض احمد محمد
2	مساعد أول	ضرار احمد عبد اللطيف ذوقان
3	مساعد أول	بكر عيسى عبد الكريم الغانم
4	مساعد أول	أيمن قاسم كفارنة
5	مساعد	شريف جميل حسن جرادات
6	مساعد	عبد الكريم احمد المصري
7	مساعد	جمال محمد حسن موسى
8	مساعد	فضل إبراهيم موسى عباس
9	مساعد	أيمن نمر محمد قنديل
10	مساعد	عبيدة محمد صالح نعيرات
11	مساعد	طارق محمد صادق زيود
12	رقيب أول	منير صالح محمد أبو الرب
13	رقيب أول	عبد الرحمن احمد نزال
14	رقيب أول	أكرم هاشم يوسف الحاج
15	رقيب	عمر سمير عطا عطياني
16	رقيب مساعد	ماهر محمد توفيق إغبارية
17	رقيب	عبد الجبار خليل قاسم خباص
18	رقيب	أنور فايز أنور عرفات
19	رقيب	احمد خليل عبد أبو كحيل
20	رقيب	سامر محمد شفيق جرادات
21	رقيب	نسيم نبيل يونس ورد
22	رقيب	باسل سعيد صعابنة

ملحق رقم (9): مقارنة بين قوات المقاومة الفلسطينية والقوات الإسرائيلية

قوات المقاومة الفلسطينية	قوات العدو الإسرائيلي
(1)رجال مقاومة 150+50 بعد الاستشهاد أو الاعتقال	جنود من 8-12 ألف جندي
أ-قوات الأمن وعمادها الأمن الوطني	لواء مشاة احتياط رقم 5
ب-كتائب شهداء الأقصى	كتيبة نحشون
ج-سرايا القدس	كتيبة 51 غولاني(.....) وحدات النخبة
د-كتائب عز الدين القسام	كتيبة 932 ناحال مشاة
كتائب أبو علي مصطفى	وحدة دفددفان (مستعربين)
الأشبال	القوة 13 كوماندوز بحري
	قوات الهندسة
	كتيبة المظليين
مدفعية صفر	مدفعية صاروخية 9
خفيفة 2 قاذف B7 +2 قذيفة	متوسطة/18 مدفع
ثقيلة صفر	خفيفة /72
دبابات صفر	دبابات /240
طائرات صفر	طائرات /12 طائرة هل مسلح (أباتشي/كوبرا)
	8 طائرات استطلاع
	جرافات Dal+Dan

ملحق رقم (10): مقارنة القوى والوسائل

الصنف	قواتنا	قوات العدو	قواتنا	قوات العدو
مقاومة+قوات امن	150-200	8-12 ألف	1	60
مدفعية	صاروخية	9*40	0	36
خفيفة	2*2 قذيفة	72	1	576
متوسطة	*	18	0	216
ثقيلة	*	12	0	216
دبابات	*	240	0	432
طائرات	*	12	0	144
			2	5688
			1	2844 قدرة
				360
				3200 قدرة

ملحق رقم (11): قائمة في أسماء الجرحى الانتفاضة من المعاقين حركيا في مخيم جنين

الاسم	العمر	مكان الإصابة
جهاد حسني محمد خليل	19	بتر قدم كلي
زكريا محمد عبد الرحمن زبيدي	35	العيون
أكرم محمد عبد نصار	48	القدم
عماد قاسم	39	بتر يد
جمعة أبو خليفة	42	بتر قدم
وائل أبو سباع	40	رقبة ويد
رائد أمين محمد يونس ظبايا	32	إصابة في العينين
سعادة محمود صالح جرادات	28	بتر اليد
عبد الحكيم سعيد بلاص	33	بتر في اليد والقدم
ارقم محمد عبد القادر ابو الهيجاء	34	شلل كلي
جهاد حسني محمد خليل	19	بتر قدم كلي
شادي علي عبد السمن	36	اصابة في الرأس
جهاد محمود حسن سايس	27	القدم
حسان علي نائل مصطفى	38	اصابة في اليد اليمنى
علي محمد إبراهيم خربوش	40	اصابة في اليد اليمنى

محمد توفيق محمود سالم	33	القدم
سليمان إبراهيم ذياب عامر	33	القدم
خالد رجا نمر أبو الهيجاء	35	اصابة في المسالك البولية
عديلة احمد	55	مسالك بولية
وائل محمود السعدي	42	حركية \ بتر يد
محمد إبراهيم عيد نغنغية	29	حركية\ شلل
مريم عيد دمج	54	حركية
خالد احمد عيسى حويل	50	اليد اليسرى العيون

ملحق رقم (12): خريطة اجتياح محافظة جنين

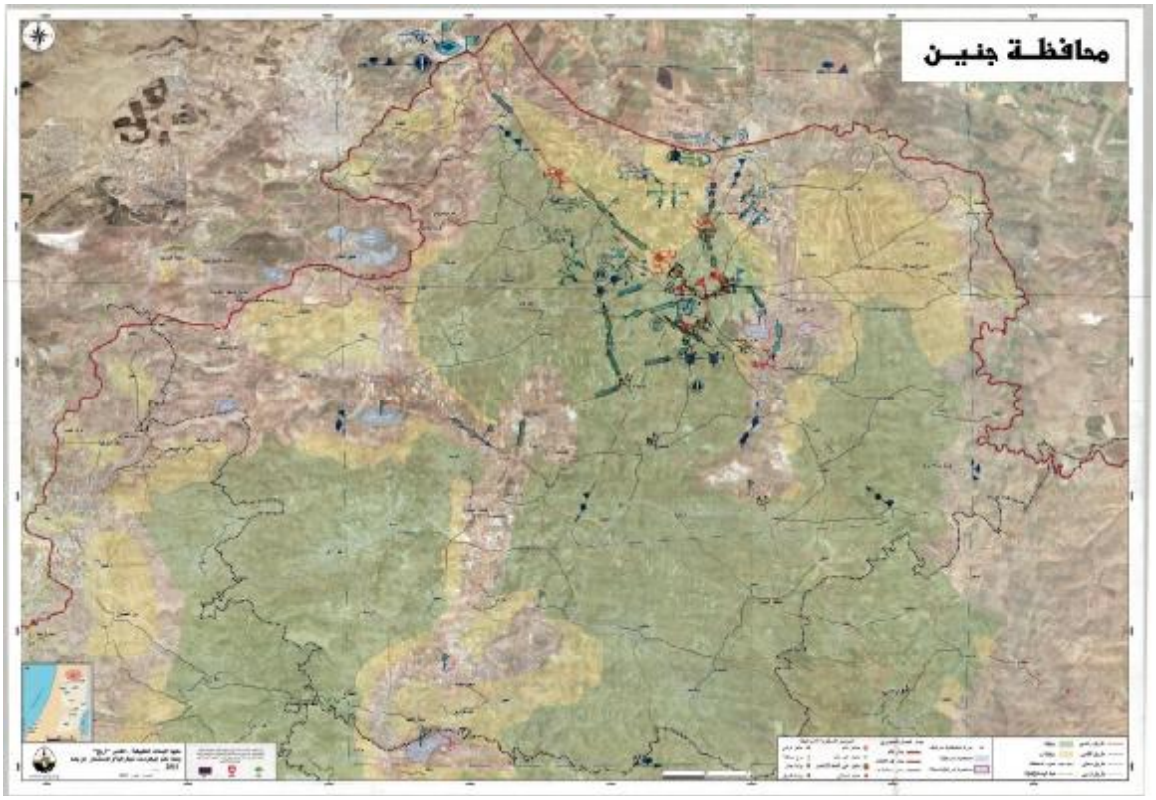

ملحق رقم (13): خريطة توزيع المقاومين والعبوات والسواتر

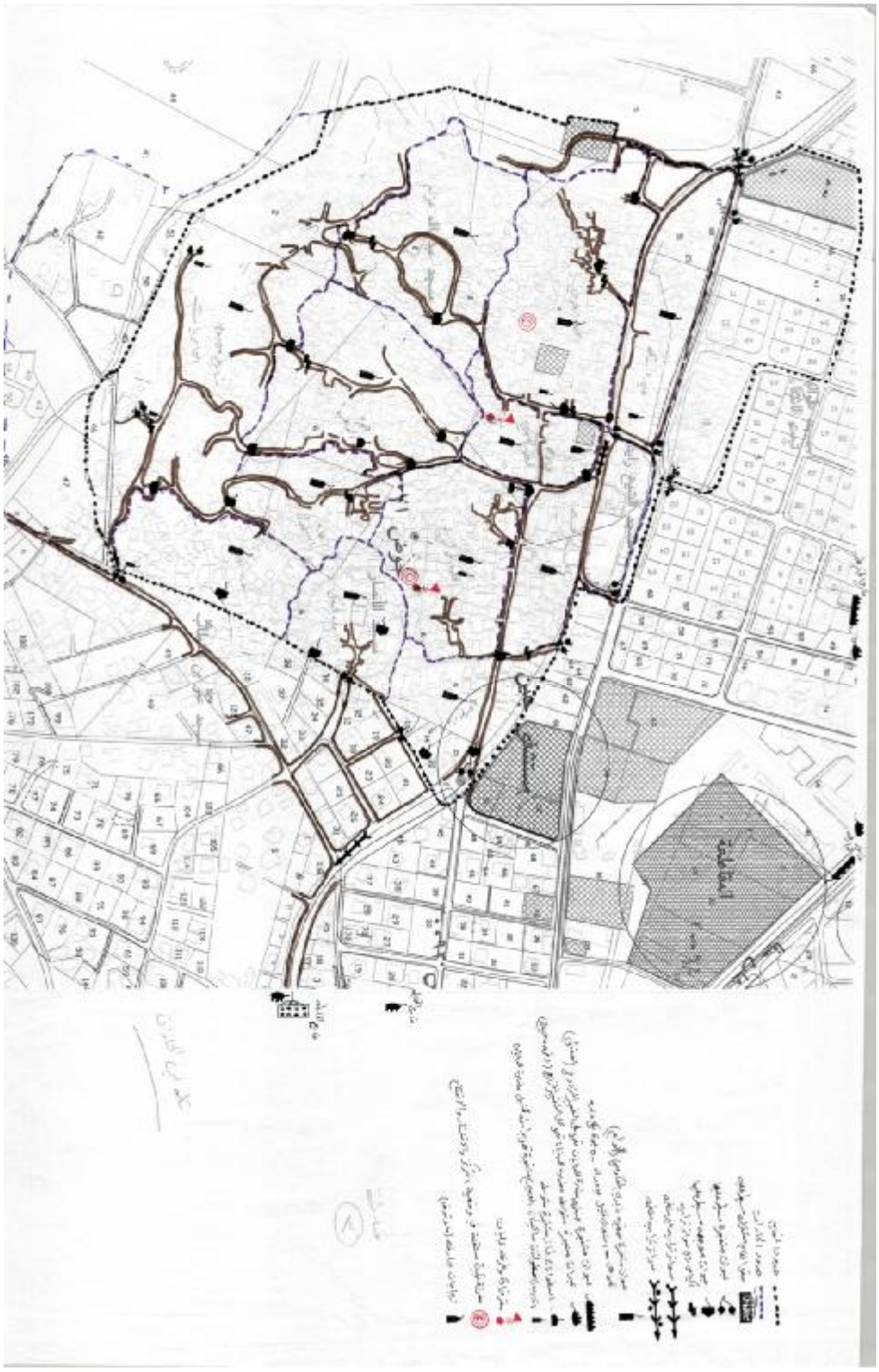

ملحق رقم (14): خريطة تقدم قوات الاحتلال في حارات المخيم

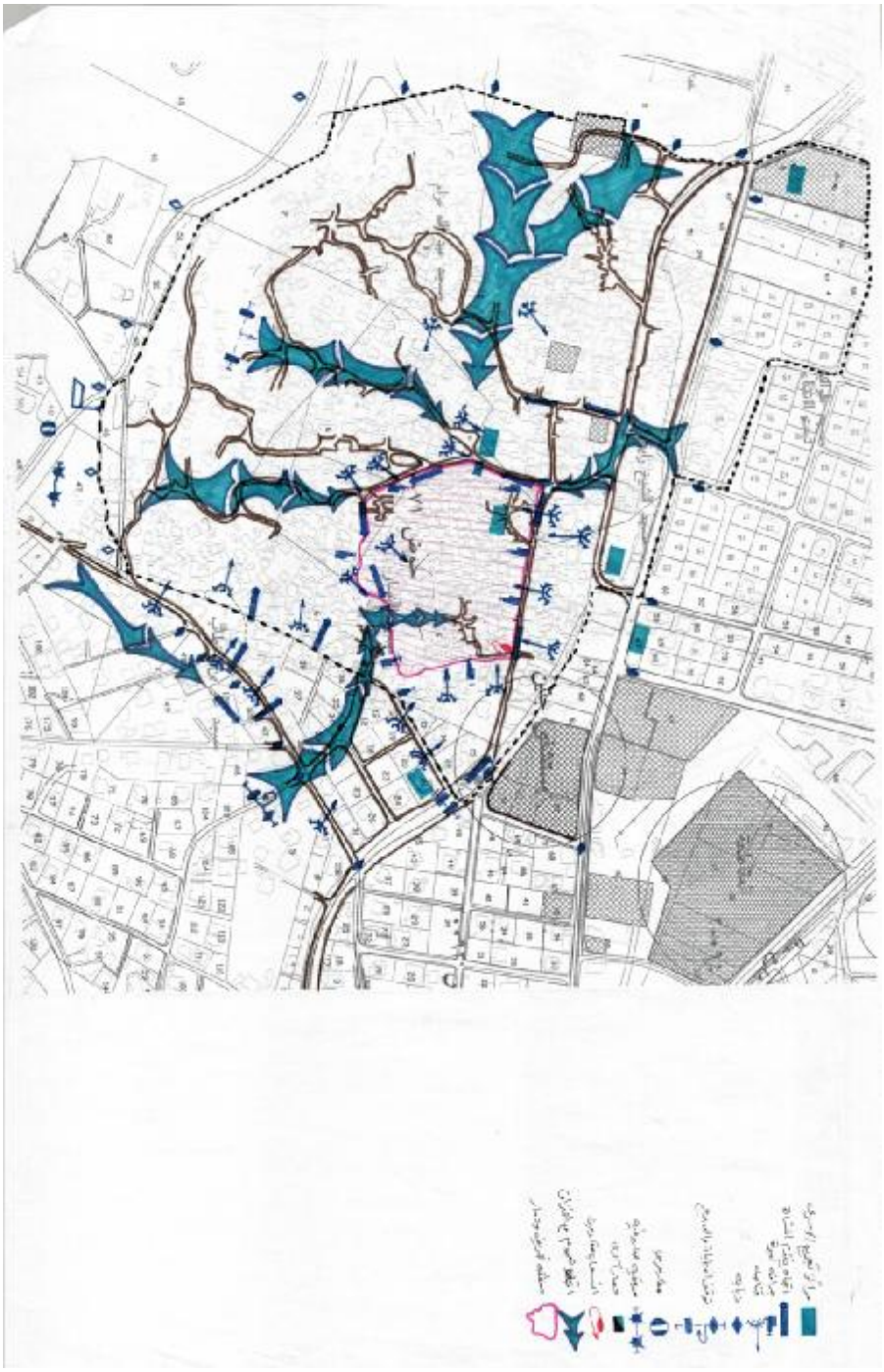

ملحق رقم (15): خريطة الكمائن

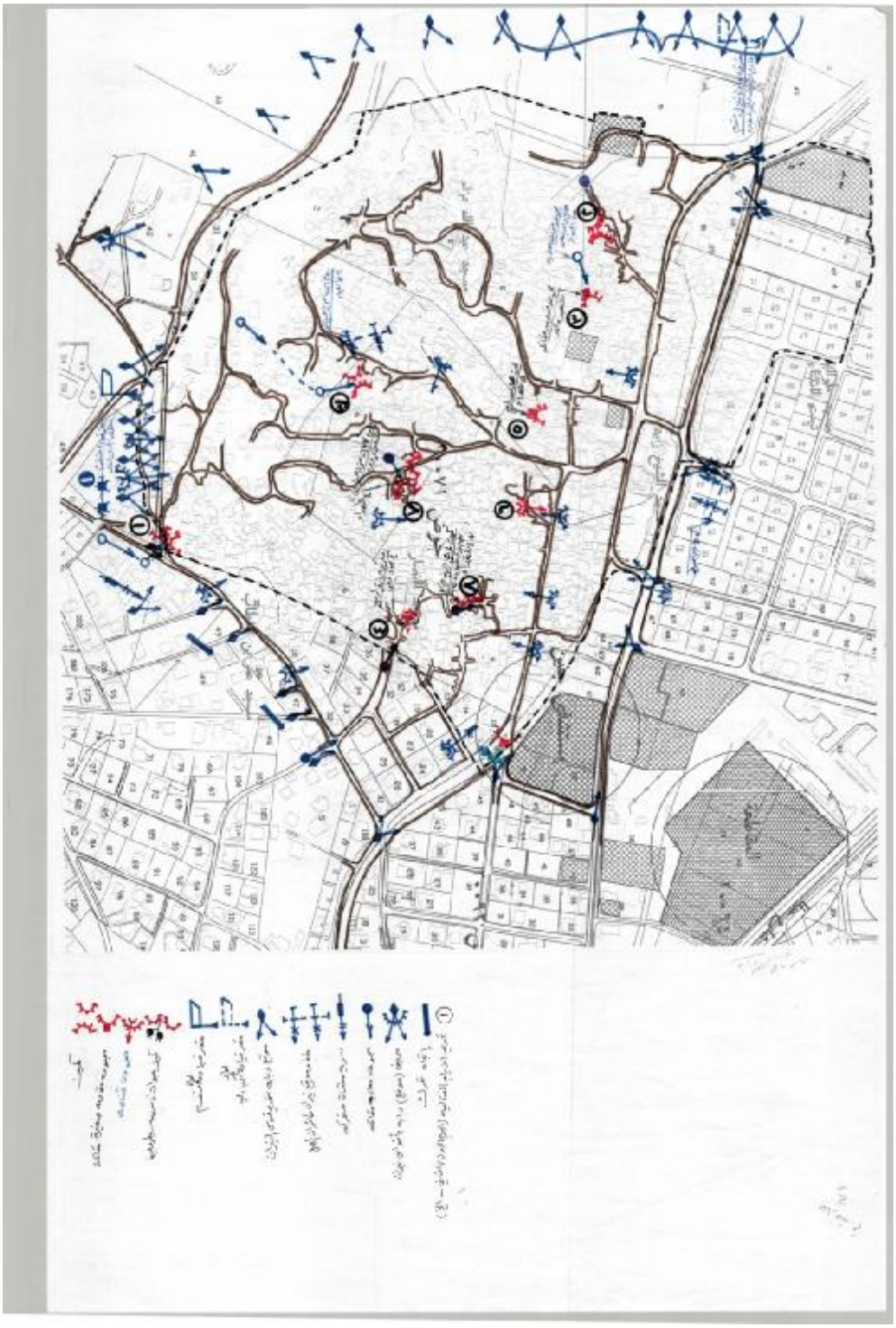

ملحق رقم (16): صورة عن تلخيص جريدة "معاريف" الإسرائيلية لنتائج المعركة

6.2.02

מושב חמדה: 3 הרוגים

מבצע "חומת מגן": הצלחות השב"כ

מפקדי התגים בגדה

דרג בכיר

נאצר עויס (עצור) 1
ג'מאל אחוויל (עצור) 2
עבד אלכרים עויס (עצור) 3
אחמד ברגותי (עצור) 4

דרג בינוי

זיאד עמאר (הרוג)
פרוץ נאג'י (עצור) 5
ג'מאל סעדון (הרוג)
מאג'ד קיני (הרוג)

עצור

מרואן ברגותי

מפקדי החמאס בגדה

דרג בכיר

רושאם נזראן/שכם (עצור) 1
סלים חג'ה/ג'נין (הרוג)
ג'מאל סוילם/רמאללה (עצור) 2

דרג בינוי

רוחי כביליה/שכם (עצור) 3
שאדי בושכאר/שכם (עצור) 4
אבראהים אבו חנב/רמאללה (עצור) 5
אחמד אבו טהא/רמאללה (עצור) 6

חוסל

קיס עדואן

מפקדי הג'יהאד בג'נין

דרג בכיר

נאבאת מרדאוי (עצור) 1
עלי־צפורי (עצור) 2
ע'א חלים חג'ה (עצור) 3

דרג בינוי

איהן זראגמה (הרוג)
פואד בשארה (הרוג)
מחמד יאסין (הרוג)
רב'ע אבו רוב (עצור) 4

חוסל

מחמוד (בורסי) טואלבה

מאת רונן שקד, עמיר רפפורט וחיים ברויר'א

19-4-2002

ملحق رقم (17): مرثية للشهيد نجيب حويل في ذكراه الثانية

١٤

في الذكرى الثانية لاستشهاده..

نجيب حويل.. أوّل الفهود وضمير الشهادة خالد في ذاكرة الأجيال.. ومنقوش بماء الورد على جدران القلب

بطاقة الشهيد

■■ ولدَ شهيدنا البطل بيرما/ ١٩٧٠/١٠. في مخيم جنين، ليعيش في كنف أسرة فقيرة محافظة، تحمل معها ذكريات النزوح الأول، وأملاً أن يحظى بالعودة... ولأنّ نجيب كان الأخ الكبير «والمسؤول» نظرياً عائلياً، لكي يعين والديه في الانطلاق والتحرر فكان يكره القيد.. متمرداً.. منتمياً.. هادئ، الطباع مطيعاً لوالديه.. ولم يكن في ذلك أي تناقض.. ففي طاعته إلهامٌ وروحاني.. وفي قرّاءة قصة القضية الفلسطينية الثائرة. تلقى نجيب تعليمه الابتدائي والاعدادي في مدارس وكالة الغوث في المخيم. وبسبب ظروف لا تخفى على أحد ترك المدرسة في الصف الثاني الاعدادي.

اعتقل عدة مرات قبل الانتفاضة بسبب نشاطاته الوطنية.. حتى كانت انتفاضة الحجر المباركة، فكان لشهيدنا معها.. ملحمة تروي بالشهادة.

في الكفّ حجر..

الرياح في بلادنا تضرب أن تهدأ قصة صمود بالفلاح سارت تدوي..
وجه الشجر.. لكن الشجر شهيدنا الخالد خلال لأكثر من ذلك.. فلا يقل
ظل يقاوم الرياح، ترفل الانتفاضة، لكن القلب المزيد.. إلا المزيد..

نجيب في ذاكرة الشعر

يا أيّها البطل الذي كل الأسى حد...
كي يقتلوا فيك الشهـ ..ادة والبديلة يرضعوك
تأبيت إلاّ أن تكون مخلداً.. قد خلّدوك
جاءوا اليك مع الـ... حصار غزاة أرض يقتلوك
نجلت في دمك الثر.. ـى أرضاً بها قد يدفنوك
وحملت سيفاً للحها... د به الأماني حمّلوك
قد يخضعوا بالسيف جيشاً تنحني منه الملوك
لكنّهم مهما سعوا لن يخضعونا ريخضعوك
ستظل يا ذاك النجـ.. ـيب على الجبين يزينوك
بطلاً تقدسه الرجال علماً رج ملوك
قد دنّسوا الأرض غزاة ظالمين واحرقوك
أن ترفع الرايات في القدس ولكن جرّدوك
فأبيت أن تحيا الحياة بذلّها ا ماكروك
ورضيت في ثوب الشهادة ثوب عزّ يلبسوك
ورصفت مجداً يا نجيـ.. ـب به الأحبة يذكروك
قد خلّدوك يذكرهم وتخلّدوا مهن نجيبوك

الرياح. ويبقى الشجر.. الصغير صار حجراً. ويظل الرصاص على

أول الفهود

بتاريخ ١٩٩٠/٢/٩. التحمت قوات الاحتلال منزل السيد «أبو عبد الله» والد الشهيد والمطارد نجيب، وكانت ثمّة ضابط المخابرات واضحة حينما لم يجد «النجيب» في بيته، فما كان منه (الضابط) إلاّ أن تناول صورة «نجيب» ووضع شارة (ا) على رأس الشهيد وكتب بجانب الشارة كلمة شهيد، ثم كتب على الجهة الثانية من الصورة رسالة مقتضبة لنجيب تحمل معاني كثيرة ليس أقلها حقداً مسموماً وتيّة مبيتة في اغتيال شيخ الشباب. كتبَ ضابط المخابرات «الى الأخ نجيب من «جيرو» من أجل خاطرك ان تأتي للمركز ربما تلعب مطقوب.. هه لعب رسمية للمخابرات.. التوقيع نير».

وهذه الحادثة موثقة بالصور.. ومحفوظة بالتاريخ.. ولكل الأجيال التي ستقرأ.. لكن كلمات الضابط لم تلامس إلاّ قشرة الأذن..

للمخيم موضع وأحزانه. في القريات ذكرياته.. ثم يمـ ليمه ظل من مستشفى المقدر.. كل هذه العوامل رميام الى مستشفى مجتمعة قادت نجيب يوم الاتحاد في نابلس.. حيثُ الجمعة ١٩٩٠/١١/٣م كانَ مع الموعد على موعد الى منزله ليستحم ويؤدي قبل الأول من آذار.. وقبل صلاة الجمعة في مسجد زهار الربيع تفتحت ورود المخيم.. وعقب الصلاة الشهداء في الجنان جنّي وكأنه يودع حيّه.. الورد.. وكانَ اليوم هو حيث ذكريات العائلة.. الجمعة... وأيضاً عشيّ رما هي إلاّ دقائق معدودة صلاتها المباركة.. لترحل ولذا بسيارة مدنية ويها على أكف الملائكة الى عدة أشخاص هم في حيثُ لا ألم.. ولا نهر ولا حقيقة الأمر جنود تنكروا عدولي.. الى حيثُ الجند. بزي النساء ولم يخف ولكرامة.. جنباً الى جنب الأمر على شهيدنا ولكن مع من سبقوه.. وبانتظار

ملحق رقم (18) قصيدة زرعين يا درة المرج

شعر: ياسين السعدي

جنين - فلسطين

زرعين هي قرية تاريخية عريقة، وهي بلد النائب المقاوم جمال حويل، ومن القرى العربية المدمرة، كانت تقع على مفترق الطرق بين بيسان شرقاً وحيفا غرباً، وبين جنين جنوباً والناصرة شمالاً. وقعت فيها معركة عين جالوت المشهورة سنة 1260م، بين المسلمين والمغول في السهل الممتد أمامها شمالاً. ويروى أن مسقط رأس الشاعر، قرية المزار، سميت كذلك لأنها دفن فيها كثير من شهداء هذه المعركة التاريخية، حيث صارت مزاراً لقبور هؤلاء الشهداء الذين سقطوا دفاعاً عن الإسلام.

ناجيت أطلالها؛ إذ رحتُ أبكيها وأسأل الدهر عن أمجاد ماضيها

ورحت أندبها، والقلب منفطر حزناً عليها، بدمع العين أرثيها

وفي ذرى القمة الشماء قريتنا تبدو (المزار)[69] بأشواق تناجيها

[69] المزار : قرية الشاعر ومسقط رأسه . تقع إلى الشمال الشرقي من جنين على رأس جبل جنوب شرق زرعين . من القرى المدمرة

يـــا أخـــت (نـــورس)[70] أيـــن الأهـــل؟ قـــد رحلـــوا ... وأيـــن عهـــد التـــآخي بـــين أهليهـــا؟!

إذا نظـــــرتُ إلى (زرعـــــينَ)[71] تســـــبقني ... مـــدامع العـــين تجـــري في مآقيهـــا

كانـــــت منازلهـــــا بـــــالعز عـــــامرةً ... واليـــوم صـــارت ظـــلالُ الحـــزن تعلوهـــا

ودمرتهـــــا يـــــد بالحقـــــد طافحـــــةٌ ... لم يبـــقَ منـــها ســـوى الأطـــلالِ تَنعيهـــا

صـــــارت خرائـــــبَ، فيهـــــا البـــــوم ناعقـــــةٌ ... مبـــاهجُ الأنـــسِ غابـــت مـــن لياليهـــا

تبـــــدو تلـــــوح بهـــــا الأطـــــلالُ شاخصـــــةً ... فهـــي الشـــواهد تحكـــي مـــا جـــرى فيهـــا

إذا اســـــــتدارت إلى زرعـــــــينَ أعينُنـــــــا ... ترتـــــدُّ حاســـــرةً، والـــــدمعُ ماليهـــــا

يـــا لهـــفَ نفســـي علـــى زرعـــينَ، كيـــفَ غـــدتْ ... مهجـــــورةً، وغـــــدت قفـــــراً مغانيهـــــا

***** *****

صـــــحائفُ الـــــدَّهرِ في زرعـــــينَ قـــــد نُشِـــــرَتْ ... فلـــــيس مـــــن أمـــــةٍ إلا وتتلوهـــــا

كـــــلُّ الغـــــزاةِ هنـــــا مـــــرَّتْ جحـــــافلُهُمْ ... مـــرّوا كـــأنْ لم يكـــنْ ذِكْـــرٌ لهـــمْ فيهـــا

لكنمـــــا المجـــــدُ، كـــــلُّ المجـــــدِ ســـــطَّرَهُ ... جـــيشُ المماليـــكِ، للأجنـــادِ يُزْجيهـــا

بهـــا يصـــد عـــن الإســـلام شـــر عـــدى ... مـــن المغـــول، أتـــت والشـــر حاديهـــا

هنـــــاك (بيـــــبرس)[72] قـــــد صـــــال صـــــولته ... ومثلـــــه (قُطُـــــزٌ)[73]، للخيـــــل يجريهـــــا

هـــــز اللـــــواء، ونـــــادى فـــــوق صـــــهوته ... فارتجـــــت الأرض، واهتـــــزت روابيهـــــا

و (العـــــز)[74] يصـــــرخ: وا إســـــلام! حـــــين بـــــدت ... جحافـــــل (المغـــــل)، والفرســـــان تعلوهـــــا

---

[70] نورس : من القرى المدمرة أيضا تقع أسفل جبل المزار شمالا ، قرب عين جالوت المشهورة في التاريخ

[71] زرعين: من القرى المدمرة أيضا، كانت تقع على مفترق الطرق بين الناصرة وجنين وكذلك حيفا وبيسان، قريبا من العفولة.

[72] بيبرس: القائد الذي هزم المغول في معركة عين جالوت

[73] قطز: سلطان المماليك الذي قاد معركة عين جالوت قرب زرعين سنة 1260 م

[74] العز: هو العز بن عبد السلام، صاحب الصرخة المدوية: وا إسلاماه!، في معركة عين جالوت

هنـــــا قـــــد انتصـــــر الإســـــلام، وارتفعـــــت راياتـــــه، ورجـــــال الحـــــق تُعْليهـــــا

ردوا المغـــــول عـــــن الأوطـــــان، وانـــــدحرت جيوشـــــهم، وذيـــــول الـــــذل تتلوهـــــا

******

يـــــا (يـــــوم)[75] زرعـــــين، والتـــــاريخ شـــــاهدنا أنـــــا لأوطاننـــــا بـــــالروح نفـــــديها

يـــــا يـــــوم زرعـــــين، والأجيـــــال تـــــذكره يـــــا وقفـــــة ســـــيظل الـــــدهر يرويهـــــا

يـــــا يـــــوم وقعـــــةِ زرعـــــينٍ، بـــــه انتصـــــفتْ بنـــــو العروبـــــة حقـــــاً مـــــن أعاديهـــــا

تـــــرى العـــــداة بهـــــا صـــــرعى كـــــأنهمُ أعجـــــاز نخـــــلٍ، وعصـــــف الـــــريح يلقيهـــــا

(ســـــعدون)[76] يـــــزأر في أبطالـــــه أســـــدا يـــــرد جـــــيش العـــــدى عنـــــها، ويحميهـــــا

(زريفـــــةُ البـــــدر)[77] يـــــا فخـــــراً يجللـــــها علـــــى الزمـــــان، ويســـــمو ذِكْرُهـــــا تيهـــــا

يـــــا مـــــن رأى (خولـــــةً)[78]، والســـــيف في يـــــدها هـــــذي زريفـــــة، في الهيجـــــاء تحكيهـــــا

تمنطقـــــتْ برصـــــاصٍ في حبائلـــــه تســـــتنهض النخـــــوة العصـــــماء؛ تُـــــذكيها

*****

مواســـــم الخـــــير في زرعـــــينَ دافقـــــةٌ كانـــــت مـــــلاذاً؛ وكـــــل النـــــاس تأتيهـــــا

يـــــا دُرَّةَ (المـــــرج)[79]، يـــــا تاجـــــاً بمفرقـــــه يـــــا جنـــــةَ الأرض في أسمـــــى معانيهـــــا

أُمُّ الغـــــلال، وهـــــل مـــــن مثـــــل سِمْسِـــــمها؟ بكـــــل زرع لقـــــد جـــــادت أراضـــــيها

علـــــى (البيـــــادر) يبـــــدو القمـــــح مؤتلقـــــاً كأنـــــه الـــــذهب اللّمـــــاع تشـــــبيها

[75] يوم زرعين: معركة زرعين وقد حدثت في 1948/4/19 وبها انتصر المقاتلون العرب وردوا قوات البالماخ المهاجمة.

[76] سعدون: قائد المتطوعين في جيش الإنقاذ وهو سوري من دير الزور.

[77] " زريفة البدر ": من نساء زرعين، كانت تثير النخوة في المقاتلين. وهي مشهورة بمواقفها (الرجولية)

[78] خولة: هي الصحابية، المشهورة في التاريخ الإسلامي. وأخت الصحابي ضرار بن الأزور.

[79] المرج: مرج ابن عامر المشهور بخصب أرضه في شمال فلسطين.

كانـــــــــــت خليـــــــــــةَ نحـــــــــــلٍ في مواسمهـــــــــــا والكـــــــــــل في دَأَبٍ يغـــــــــــدو ويجنيهـــــــــــا

فالنـــــــــــاس في وطـــــــــــني، لـــــــــــلأرض تعشـــــــــــقها كـــــــالأم؛ بالحـــــــب تُعطينـــــــا وتُعطيهـــــــا

هـــــــــــذي فلســـــــــــطيننا؛ ذرّات تربتـــــــــــها تـــــبرٌ، ولكـــــن قـــــومي قـــــد أضـــــاعوها

غـــــــــــداً تعـــــــــــود؛ إذا القـــــــــــرآنُ رائـــــــــــدُنا علـــــى هـــــداه نـــــربي مـــــن ســـــيفديها!!

نشرت في مجلة الإسراء المقدسية العدد رقم 75 - أيار / حزيران 2010م؛ صفحة 75

المرجعية (قائمة ببليوغرافية)

المراجع المكتوبة

- الآغا، نبيل . *مدائن فلسطين*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.1993.
- إدريس، عدنان إدريس. *انتفاضة الأقصى تقويم وقراءة سياسية*. بيروت: مركز الفكر العربي- الإسلامي. 2008.
- جبر، كامل . *مخيم جنين رمز المشهد الفلسطيني*. جنين: إصدارات بلدية جنين. د.ت.
- جرار، حسني وخالد سعيد. *المخيم وجنين ملحمة الصمود والبطولة*. عمان: صحيفة السبيل. 2003.
- الجيوسي، عبد الفتاح الجيوسي. *الانتفاضة: أربع سنوات من المواجهة قراءة في الحقائق والأرقام*. عمان: المكتبة الوطنية. 1992.
- حنيطي، حرب. *قصة مدينة جنين*. الإسكندرية: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. د.ت.
- الدباغ، مصطفى. *بلادنا فلسطين—الجزء الثالث*. 1988.
- دمج، ناصر. *الصارخون حتى الصمت*. رام الله: مطابع أبو غوش. 2003.
- داري، جوس وسيبفر دينس. حرب إسرائيل الإعلامية: التضليل والمماثلة في النزاع الإسرائيلي الفلسطيني. دمشق: الأهالي للطباعة والنشر .2004.
- دقة، وليد. *يوميات المقاومة في مخيم جنين*. رام الله: المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية- مواطن، 2002.
- روس، دينيس. *السلام المفقود: خفايا الصراع حول سلام الشرق الأوسط*. بيروت:دار الكتاب العربي. 2005.
- الزعاترة، ياسر. الدبلوماسية الفلسطينية بعد كامب ديفيد 2.www.islamonline.com استرجع بتاريخ 17-3-2011.
- السعيد، مخلص. *جنين ماض وحاضر*. جنين: منشورات المؤلف. 2009.
- سويشر، كلايتون. *حقيقة كامب ديفيد*. بيروت: الدار العربية للعلوم. 2006.
- السمان، أحمد . "من جنين إلى بغداد.. الإدارة الإعلامية لحرب المدن،" *القدس*. عدد 55. 2003.
- سويد، محمود (محرراً). *الاجتياح الإسرائيلي للضفة الغربية من محاصرة المقاطعة إلى إخلاء كنيسة المهد*. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 2002.
- السويدان، طارق . *فلسطين: التاريخ المصور*. نسخة الكترونية www.sitamol.net . استرجعت بتاريخ 2011/2/4.
- سويطات، نايف. *مخيم جنين النصر قادم من الشمال*.د.م. د.ن. 2002.
- شلايم، آفي. *الحائط الحديدي*. القاهرة: مؤسسة روز اليوسف. 2001.
- شير، غيلعاد. *قاب قوسين أو أدنى من السلام*. عمان: دار الجليل للنشر. 2002.
- الشيخ، عبد الرحيم. "الآخر انتحارياً: الآخر الإسرائيلي، ورديفه الأمريكي بين العيان والتجريد." أقواس. العدد 6. 2002. 20-40.
- عباس، محمود. محاضرة في المؤتمر السادس لدار الحياة. http://www.palestine-studies.org/files/word/mdf/7862.doc استرجع بتاريخ 20-3-2011.
- عقل، سوزان. "لجنة تقصي الحقائق في أحداث جنين." *مجلة مركز التخطيط الفلسطيني*. العدد 6/5. (2002): 154-161.

- قاسم، يوسف. *أثر الحرب النفسية الإسرائيلية على الذات الفلسطينية: انتفاضة الأقصى نموذجاً*، بيرزيت: جامعة بيرزيت، 2007.(رسالة ماجستير في الدراسات العربية المعاصرة).
- قريع، أحمد . *مفاوضات كامب ديفيد-الرواية الكاملة*. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 2007.
- القلقيلي، عبد الفتاح. *الأرض في ذاكرة الفلسطينيين اعتماداً على التاريخ الشفوي في مخيم جنين*. رام الله: مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني- شمل. 2004.
- كابليوك، أمنون. "جنين: تحقيق حول جريمة حرب،" *صامد الاقتصادي*. عدد 130/129. 2003. 289-295.
- المبيض، أمين. *جنين غراد-الاجتياح الإسرائيلي ومجزرة المخيم*. د.م: د.ن. 2003.
- مركز زايد للتنسيق والمتابعة، *جنين مجزرة ضد الإنسانية*، الإمارت: مركز زايد للتنسيق والمتابعة، 2002.
- مصلح، روز شوملي. "مخيم جنين في التاريخ الشفوي، مراجعة في كتاب الأرض في ذاكرة الفلسطينيين." *حوليات القدس*. عدد 4. (2006): 107-112.
- نزال، غسان. *مخيم جنين أسطورة... هزت العالم*. عمان: المؤلف. 2002.
- النشاش، عبد الهادي. *الانتفاضة الفلسطينية الكبرى*. دمشق: دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع. 1994.
- يخلف، يحيى . *يوميات الاجتياح والصمود*. رام الله: دار الشروق. 2002.
- Ben-Yehuda, Nachman. Masada Myth: Collective Memory and Mythmaking in Israel. Madison: University of Wisconsin Press. 1995.
- Goodman, Hirsh and Jonthan Cummings (editors*), The Battle of Jenin A Case Study in Israel's Communication strategy*. Tel Aviv: Jaffee Center for Strategic Studies, 2002.

المقابلات الشخصية (استخدمت المعلومات الواردة في بعض هذه المقابلات بحدِّها الأدنى، وسيجري توسيعها في الكتاب الذي سيصدر عن هذه الرسالة)

- الأسير مروان البرغوثي عضو اللجنة المركزية لحركة فتح ورئيس أركان انتفاضة الأقصى.
- من تبقى حياً من أعضاء غرفة عمليات معركة جنين، ومقاوميها.
- الدكتور ناصر القدوة عضو اللجنة المركزية لحركة فتح،رئيس مؤسسة ياسر عرفات،ومندوب فلسطين السابق في الأمم المتحدة.
- الدكتور صائب عريقات عضو اللجنة المركزية لحركة فتح كبير المفاوضين الفلسطينيين
- اللواء أبو حسين الطيراوي عضو اللجنة المركزية لحركة فتح ،رئيس جهاز المخابرات الفلسطينية السابق.
- النائب عزام الأحمد، عضو اللجنة المركزية لحركة فتح.
- السيد نبيل أبو ردينة-الناطق بلسان الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات.
- اللواء فيصل أبو شرخ رئيس حرس الفلسطيني الرئيس الراحل ياسر عرفات.
- اللواء محمود ضمرة-أبو عوض، رئيس حرس الرئيس أبو مازن سابقاً.
- السيد وليد العمري-مدير مكتب فضائية الجزيرة في رام الله.
- السيد علي السمودي-مراسل جريدة القدس في جنين.
- السيد محمد بلاص-مراسل جريدة الأيام في جنين.
- السيد ناصر أبو بكر-مراسل تلفزيون فلسطين.
- السيد ثائر أبو بكر-صحفي فلسطيني.

الأفلام الوثائقية

فيلم جنين جنين- محمد البكري-2002
http://vimeo.com/22505047

أولاد أرنا - جوليانو خميس
http://www.youtube.com/watch?v=cQZiHgbBBcI

مسلسل الإجتياح - تأليف رياض سيف- إخراج شوقي الماجري- انتاج المركز العربي عمان
http://www.youtube.com/watch?v=IR6Kqpw3hBk

The Road to Jenin - A Peirre Rehov Production-
http://www.youtube.com/watch?v=7xT7HFftdmE

Jenin 2002 "No One Need Cry"- Produced by Cooperative Suttvuess- Directed by A.A.V.V
http://www.youtube.com/watch?v=unNRnn73m6c